

حصار وسقوط الخرطوم

يناير ١٨٨٤ - ١٨٨٥

ميدونه مسرفهسي حصه

بحث قدام لنيل لدرجة الماجستير

شعبة التاريخ

جامعة الخرطوم

سبتمبر ١٩٧٠

المحتويات

	وحدة التحليل
	ألمة شكر وتقدم ير
	رموز المصادر
	قائمة بالملاحق
	الفصل الأول
١ - ٢٩	تقييم المصادر الأساسية
	الفصل الثاني
٣٠ - ٤٣	تقديم : نبذة في تاريخ مدينة الخرطوم المهدى من أبا المصطفى الخرطوم
	الفصل الثالث
٤٤ - ٦٩	مهمة فورون ومخططة السلمية
	الفصل الرابع
٧٠ - ١٠٥	مخططات فورون والمهدى للسيطرة على الخرطوم
	الفصل الخامس
١٠٦ - ١٤١	مشاكل الحصار
	الفصل السادس
١٤٢ - ١٨١	عوامل هزيمة في تقرير نتيجة الحصار
	الفصل السابع
١٨٢ - ٢١٢	عمليات الحصار وسقوط الخرطوم

٢١٥-٢١٣

الغسائمة

الملاحق

٢١٢-٢١٢

المصادر

٢١٣

المسائل

خريطة منطقة الخرطوم

وحدة التشغيل

هذه دراسة للمعقدة التاريخية ، التي شهدت آخر مراحل المواجهة بين الحكومة المصرية في الخرطوم ، والانصار في الفترة ما بين مارس ١٨٨٤ الى يناير ١٨٨٥ . وهي فترة حاسمة في تاريخ السودان السياسي ، انهما شهدت نهاية حكم دام قرابة الخمسة وستين عاما لم تفلح كل امانياته الحديثة ، والتي كان له فضل ادخالها للبلاد - من تأمين التمسك لسه .

تتكون الرسالة من سبعة فصول وخاتمة .

يشتمل الفصل الاول على تقديم للمصادر الاساسية التي عالجت تلك الفترة من تاريخ المهدي . ويقع الفصل الثاني نبذة مختصرة عن تاريخ مدينة الخرطوم بوصفها موطن الصراع . بالاضافة الى خلفية تحدد - في محاولة منه - مسيرة المهدي من ابا الى ان وقف على عتبات الخرطوم .

اما فكرة البحث ، فهي ان سقوط الخرطوم في اعقاب انتصارات المهدي وسيطرته التامة على رقعة كبيرة من البلاد كان حتميا ، ان الهدف المرحلي بعد معركة شيكان اصبح الاعداء على الخرطوم بوصفها معقل السلطة الحكومية الرئيسي ، وسيحني الحزبين المتصارعين سيطرة الانصار على السودان بمرته . فشرع المهدي من توه في اتخاذ التدابير التي تؤمن له تلك السيطرة . ومن ناحية اخرى قام رجال حكومتي مصر وبلانيا باسداء خدمة للمهدي من حيث لا يدرون وذلك بانشغالهم بالجدال والمناقشة حول ما اذا هم فاعلون بالسودان او لم يكن عامل الزمن ، بالتاكيد ، في مصلحتهم ، وحتى عندما تقرر ارسال مسودون الى السودان فقد تباينت الاراء حول مهمته وكيفية تنفيذها ، الامر الذي كان له بعد الاثر في بنائه حبيبا داخل تلك المنظمات زهاء التسعة اشهر (الفصل الثالث) .

تمكن الانصار ، بعد صراخ امتد على مدى عامين ، من تحديد

استراتيجية عسكرية خاصة بهم امتلأوا عليهم ، بدراسة كبيرة ، وطبيعتهم كخيارين غير مدربين على فنون القتال وغير مسلحين بأسلحة حديثة بمقاييس تلك المدة (الزمان) . برزعت هذه الاستراتيجية من استراتيجية الحصار على فعاليتها . في عدة محاور ولم يكن هناك يد من تطبيقها في الشرط . وما ان وجد غوردون نفسه في موقف المواجهة مع الممدى حتى حاول كسب القضية سلميا وذلك بتأجيل خطة اصلاحية قد تفرى الاعالي بالمرودة الى طاعة الحكومة وتحتلها في ذات الوقت قواعد التي لم تنزل في ولائها لها . الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل ولم تفلح لي اعدادات اي تغيير جذري بين صفوف الاعالي في مصلحة الحكومة (الفصل الرابع) . فتزايدت جموع الانصار حول الخرطوم مما ادى الى نشوب ببلطة مشاكل (حتى غوردون بالكثير منها) وهذا بالطبع ينسجم تماما مع طبيعة موقف مدينة محاصرة . فحصلت هذه المشاكل دورا اساسيا في ترجيح كفة الانصار لصالح ميزان القوى بشكل قاطع لصالحهم (الفصل الخامس) .

ولم تقتصر نواحي الضعف التي عاناها غوردون على ما سبق ذكره بل شملت ايضا اسلوبه الدعائي ومسلكه الشخصي (كوقوف الازل عائقا امام خلق جيبة وطنية تتمكن من دفع الخطر الممدى عن الخرطوم وبثقة المراكز التي لم تنزل تحت سيطرة الحكومة . ثم جاء الثامن ليؤكد حتمية اللجوء للسلاح لايجاد تسوية للقضية (الفصل السادس) . وصل غوردون عند ذلك للمقطة استحال التراجع عليها وكان لا بد ان يدخل مع الطرف الاخر معركة مسلحة . الا ان ضعف امكاناته البشرية والمادية حال بصورة مباشرة دون تحقيق الانتصار النهائي له ، في حين تفوق الانصار على جنود بايمانهم المطلق بالقضية التي من اجلها يحاربون فابدوا استعدادهم دوما للتنحية بارواحهم في سبيلها . كما تفوقوا عليهم باعدادهم الزائلة وشمسهم بعوقف المناجحين طوال مدة الحصار (الفصل السابع) .

وتتضمن الخاتمة نتائج سقوط الخرطوم .

كلمة شكر وتمني

الان وقد خرجت من كتابة هذا البحث أجد من واجبي ان اتقدم بكلمة شكر وعرفان بالجميل لكل الذين تقدموا لي المهن الديادي والمساعدة المقدرة . واخص بالشكر من «د. لا» السيد الدكتور يوسف فضل حسن أستاذ التاريخ بكلية الاداب ومدير شعبة البعثات المودان بجامعة الحمراء اختبره بالاشراف عليه . فكانت توجيهاته ومقترحاته القيمة مبرهن لي في ابراز هذا البحث بالصورة التي هو عليها الان .

وبالشكر والامتنان اتقدم ايضا الى البروفيسور مكي شبكة الذي ساعد تنبي مقترحاته في انجاز اجزاء من هذا البحث كما مكنتني ارشاداته من الوصول والاطلاع على بعض الوثائق التي تساهل الفترة تيمد الدراسة .

واتقدم بشكري أيضا الى المستر رطل الذي لم يدخر وسعا انحاء وجوده في مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة درمام لماروني في الاطلاع على كسل الوثائق المحفوظة لديه .

وبكثير من التقدير اتوجه الى البروفيسور عثمان عباس الاستاذ بالجامعة الاميركية ببيروت الذي تغفل مشكورا ، رغم كل مشاغله ، فقام بمراجعة مسودا البحث فصحح وتم ما اعجز من قواعد اللغة .

لهو لا اله الا هو ولكن من قدم لي مساعدة مكنتني من اعداد هذا البحث عنايم شكري وفائق امتناني .

رموز المصادر

الطريقة التي اتبعتها في الهوامش بالنسبة للمصادر كثيرة التكرار هي طريقة المصدر المختصر (Short Reference) . وقد أثبت أدناه المصدر بالتأمل مع اختصاره المستعمل .

واخترت اسم المؤلف ليؤلف المصدر باستثناء حالات ثلاثة :

- أ - المصادر التي اشتهرت بعنوانها أكثر من اسماء مؤلفيها ، أشرت الرمز إليها بالأولى كما هو الحال بالنسبة للقبولات الوثائقية لمصاحب الخلافة المصطفوية .
- ب - في حالة الاستفادة من أقوم من مصدر واحد لنفس المؤلف اضطررت الى الرمز إليها بعنوانها كما هو الحال في منشورات المهدي .
- ج - اثر عدم تلبية القاعدة " ب " على مؤلفات محمد نصحي باشا . فقد اشتهر تقرير مجلس الشباط باسمه فمرزت به اليه وأبقيت عنوان تقرير شندي " جرنال الحوادث " كما هو .

- ابراهيم البوريني ،
 سمار الغفران وسقوله
 ابراهيم فوزي
 السودان بين يدي كتلتهم وفردوني
 احمد المصوم
 سميرة العلوم المتعار والعام
 اسماعيل بن عبد القادر ،
 سعادة المستندي في سيرة الامام المهدي
 اسماويل بن عبد
 القادر .
 بابكر بدري
 تاريخ حياتي
 عبد الرحمن النجمي ،
 مشطوط النجمي
 عوض الكريم علي المسلمي
 الفيوضات الوعبية لمصاحب الخلافة المصطفية
 محمد المهدي المختار
 فيوضات
 محمد احمد الممدي ،
 - منشورات الامام المهدي الجزء الاول
 - منشورات الامام المهدي الجزء الثاني
 - الاختام والاداب
 محمد خالد زقل ،
 مشطوط محمد خالد زقل
 محمد عبد الرحيم ،
 النداء في دفع الافتراء
 محمد عبد الرحيم

محمد نصحي باشا ،
 جرنال السودان

جرنال السودان

نصحي باشا ،
 جغرافية وشايخ السودان

نصحي باشا

يوسف ميتايل

يوسف ميتايل

تاريخ حياتي

Cuzzi, G., 15 Years Prisoner of the False Prophet

Cuzzi

Gordon, C.G., Journals of Gordon At Khartoum

Journals of Gordon

Nushi Pasha, & Native Officers, Life of Gordon Pasha in Khartoum

Nushi Pasha

Ohrawlder, J., Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp 1882 - 1892

Ohrawlder

Slatin, R., Fire and Sword in the Sudan

Slatin

Sudan Notes and Records

SNR

Dictionary of National Biographies

DNB

Bulletin of School of Oriental & African Studies

BSOAS

British Museum Additional Manuscripts

BM, Add, MS.

الملاحق

- عبد القادر إبراهيم الي غوردون
١٨ ذو القعدة ١٣٠١
- عبد القادر الي عبد القادر رابراهيم
بلا تاريخ
- عبد القادر رابراهيم الي غوردون
٣٠ ذو القعدة ١٣٠١
- غوردون الي عبد القادر رابراهيم
٣٠ ذو القعدة ١٣٠١
- عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الي غوردون
٢١ ذو القعدة ١٣٠١
- غوردون الي عبد الرحمن النجومي
٢٣ ذو القعدة ١٣٠١
- عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الي غوردون
٢ ذو القعدة ١٣٠١
- غوردون الي عبد الرحمن النجومي
٢ ذو القعدة ١٣٠١
- عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الي غوردون
(بلا تاريخ)
- المعتمد الي غوردون
٢ محرم ١٣٠٢
- عبد الله محمد جبار الي غوردون
- احمد المصطفى الامين الرشيد الموسى الملك
١٩ ذو القعدة ١٣٠١

م ط ه

أحمد المسماقي الأمين إلى عثمان بك

٦٢ ذوالحجبة ١٢٠١

السديق الدارو إلى والد أديس الشايب إلى عثمان بك

٦٢ ذوالحجبة ١٢٠١

صورة القنصل السادر من غوردون إلى فيج الله بك

٣ صفر ١٢٠٢

صورة جواب من الصلحاء إلى الشيخ عبد الغادر ولد النجمي

٦٣ ذو القعدة ١٢٠١

زيارة الخراف

قائمة بالاسماء التي وردت خطأ في يوميات غوردون

مع تصحيحها

الفصل الاول

تقرير المصانير الالمانية

تقسيم المصارف والاسماء الشخصية

كانت الظروف في حالة حرب في الفترة ما بين مارس ١٨٨٤ الى يناير
واحدة فقد كان لا بد ان تتعرض بعض الوثائق التي تعالج تاسك
من جانب المصارفين والمصارفين الى الضياع غير المتعمد او
سواء كان من غوردون (C.G. Gordon) يواظب على
المقصود . كان غوردون (١) استعان بعد ذلك بالجواسيس
تجاربه الى حذر فند أن وطئت قدماء ارض السودان الا ان الانصار لم
تقامت مجموعة منهم بنزع اعدة ملك التلغراف وقطعت
تجاربه الى حذر فند أن وطئت قدماء ارض السودان الا ان الانصار لم

ولا بد ان كثيرا منها قد تعرضت للنسيان . بالانفاة الى هذا هناك مجموعة من الوثائق لها قيمة تاريخية من الدرجة الاولى ، تلك هي الرسائل التي كتبها ستيرت (J.D.H. Stewart) معه عند منادرتة الخرافم في ٩ سبتمبر ١٨٨٤ . وقد شملت هذه مجموعة من الرسائل ورسائل فوردون الى السندوي و بيرنج (E. Baring) (١) عن الحالة في المدينة هيووميات ستيرت التي بدأ في تسجيلها منذ اول ايام وصوله . ومن المبرح ان تكون هذه الوثائق هي ضمن الاوراق التي اخذها جماعة سليمان نسيان ود ثمر من الباشرة " العباس " وارسلوا الى بيرنج حيث تم نقلها الى المهدي وكان في ذلك الحين قد وصل الى مشارف الخرطوم . كانت فكرة المهدي في بادئ الامر هي ارجاع الرسائل بكاملها الى فوردون الا انه عدل عن هذا وكتب اليه رسالة مطولة ضمنها مقتطفات من المداينات التي وقعت في يديه بهدف تأكيد الواتعة لفوردون . وجاء في خطاب المهدي اشارة الى رسائل باللغسية الانجليزية توضح " كيفية حصار الخرافم وكيفية صناعة الوابرات ومندار ما بها من العساكر والاسلحة والمدافع ومن الحركات العسكرية وانهمزام جماعتكم والمكبكم الاسفاف بالامدادية ولو بفرقة " (٢) ولعل هذه هي مذكرات ستيرت " وسواء

- (١) بيرنج ، أفلين . لورد كرومر الاول (١٨٤١-١٩١٧) - 1st Earl of Cromer
تخرج عام ١٨٥٥ من مدرسة وولريك الحرية وشغل اول منصب له في جزر ايونيا (Ionian Islands) . بدأ عمله الدبلوماسي في كورفو (Corfu) وفي عام ١٨٧٢ رافق نورث بروك (Northbrook) الى الهند كمسكرتير خاص له . وفي عام ١٨٧٧ عين ممثلا لبريطانيا في (Gnise de la Delta) وبعد الاستلال البريطاني لمصر اوكلت له مهمة انجاز الاصلاح الداخلي في مصر .
سبتمبر ١٨٨٣ واصبح منذ ذلك الحين المسئول الفعلي عن السياسة المصرية فقام بدور رئيسي في محاولة مشكلة السودان بعد هزيمة هكس . باشا في نوفمبر ١٨٨٣ . شغل منصب مندوب بريطانيا في مصر حتى عام ١٩٠٧ .
Cromer, Modern Egypt

(٢) المهدي ، الى فوردون ٢ صفر ١٣٠٢ ملحق ٥ و

ان نيامت تلك الرسائل عند سقوط المدينة ارنيم بعد اوان الممدي قام باعدامها في وقت استلامها خشية من تسريبها بوسيلة ما للذان فهو امر يقع في دائرة التكتنيات حتى اللحظة .

هناك ايضا مذكرات مفقودة تخص دستور نكولا الاغريقي الذي عينه غوردون اثر وصوله للبحر ايم مفتشا ايبا لها وبقى هناك حتى سقوط المدينة وربما نيامت مذكراته تلك فيما بعد .

اما الحصاد المصنوعة حاليا فهي اساسا تقارير ورسائل الافراد الذين عاشوا تلك الاحداث والتي في مقدمة هؤلاء غوردون والممدي . فمن ناحية المتحريين هناك التقارير الرسمية وشبه الرسمية التي بعثت بها كل من غوردون وستيورت الى بيرنج قبل انقطاع خط التلغراف . بالاضافة الى رسائل سسل غ . بور (F. Power) التي نشرتها صحيفة " التايمز " المندنية . ورغم ان هذه تعتبر مصدرا اساسيا في كشف وجهة النظر الرسمية الا انها تشمل فترة اقل من شهرين وهي الفترة التي لم يكن الحصار قد بوشر خلالها لها بصورة فعلية .

اما بالنسبة للحقبة التي اعقبت انقطاع الخط التلغرافي فمصادرنا هي معلومات مستقاة من التقارير التي كتبها الاشخاص الذين عاشوا في المدينة أثناء الحصار . وتختلف هذه التقارير عن بعضها البعض في عدة نواحي من حيث الحجم والزمن الذي سجلت فيه ومكانة الكاتب ودوره في الاحداث وفي حين جاءت يوميات غوردون مثلا في مجلد من ستة اجزاء اقتصرت بعض افادات الجنود والمدنيين على بضعة اسطر .

ورغم ان هذه المجموعة الاخيرى تعوى معلومات ذات قيمة تاريخية الا انها تعاني من عدة نقائص فهي شديدة الاختصار بناء على ما ردا على استفسار معين او حادثة محددة بالاضافة الى انها بلا استثناء قد كتبت من الذاكرة نقلا بعد سنوات من الحصار .

رسا-ناول في الصفحات التالية القاء مزيد من الضوء على تلك التقارير وبعض المصادر الاخرى التي عالجت الفترة قيد البحث .

١ - يوميات غوردون :

بدأ غوردون في تسجيلها في ١٠ سبتمبر ١٨٨٤ - أي بعد مغادرة
ستيرت مباشرة - وانتهى منها في ١٤ ديسمبر من نفس العام .

تتكون هذه من ستة أجزاء متفاوتة الاحجام . يتج الجزء الاول - في
١١ صفحة ويغطي الفترة ما بين ١٠ سبتمبر الى ٢٢ منه . استعمل غوردون ورق
الحسابات العادي ويبدو انه قد انده من مكتبه . جاء في اول صفحة ما يلي :
" غاشية : هذه اليوميات سوف تاج الى تصنيف اذا رؤى نشرنا ١٠ / ٩ /
١٨٨٤ " ثم الحق ورقة صغيرة كتب عليها " الالجزء الرسمية في تلك التي
م يوضح شرط منتسفا " .

يقع الجزء الثاني في ٤٨ صفحة ، ويبدأ من ١٢ سبتمبر الى ٣٠ منه
استعمل غوردون نفس النوع من الورق الذي استعمله في الجزء الاول ، ويلاحظ
ان اغلب صفحات هذا الجزء قد حطت خدأ في منتصفها اشارة الى انها
ليست للاستعمال الرسمي . (وفي الفترات التي كان يحتاج فيها بعنف رجال
الحكومة البريدانية) اما الصفحات ١١ - ١٢ فهي مقتطفات من كتاب
للميردوتس ، صفحة ٢١ رفعت من المصمومة والمصق في صفحة ٥٣ قصاصة
من صحيفة يقرأ فيها اعلان الكتابين لبيرنج .

ويقع الجزء الثالث في ٨٤ صفحة ، كتبت على ورق شفاف . ويبتدئ
الفترة ما بين اول اكتوبر الى ١١ منه يقع الجزء الرابع في ٦٥ صفحة وقد بدأ
في ١٢ اكتوبر وانتهى في ٣٠ منه . استعمل غوردون مرة اخرى ورق
الحسابات ما عدا الصفحات الخمس الانيرة فكتب في ورق شفاف .

يتج الجزء الخامس في ٨٢ صفحة ، يبدأ في ٢١ اكتوبر وينتهي في
٤ نوفمبر . استعمل غوردون الورق الشفاف في الصفحات ١ - ٥٦ أما
٦٠ - ٨٦ فقد سجلها في ورق البرقيات .

يقع الجزء السادس في ٨٥ صفحة و يشمل الفترة ما بين ٥ نوفمبر الى ١٤ ديسمبر . وقد سجله فوردن في ورق البرقيات ايضا .

تعتبر اليوميات مسدرا جيدا لتتبع هذه الفترة اذ ان مؤلفها هو الريتل الذي كان يجلس على قمة الجبل المسؤولة في الخراب . ولقد سجل احداث المدينة اليومية اوار فترة ثلاثة اشهر فبدأت ان يباعته وعواله بمثابة الرأي الرسمي . كما ان بعض الرسائل التي العشا باليوميات تكشف لنا عن عدة جوانب للمماروعي في ذات الوقت النسخ الرعية التي وجدت حتى الان .

اتبعه فوردن أثناء تسجيل اليوميات اترايين ، فهو يدون الاحداث اليومية المتعلقة بالاستعدادات العسكرية والامور المالية والادارية وموقف التامين ونشاط الاعالي . وسجل من ناحية اخرى ، شواظ وارا متعلقة بالسياسة العامة . فهو يتعرج لتطور الاحداث في البلاد منذ مجيئه ويملاء الصفحات بنقد مركز لسياسة كل من مصر وبريدانيا . وقد شغلت حملات الانقاذ جزءا كبيرا من تفكيره . فامعجب في تقديم المقترحات عما يجب عليه تنفيذ . ولا بد للمرء ان يلاحظ ان هذا الاتجاه قد تغلب على الاتجاه الاول فجاء ذكره لاحداث المدينة عابرا مقتطعا .

ولعل القارئ يريد له عذرا فقد كان يعيش فترة عرجة تأكد له خلالها ان حصار الخرطوم بواسطة جموع الانصار قد اصبح حقيقة واقعة ، فتم عزل المدينة عن العالم وجاء فشل مهمة ستيرت ليقطع امله الاخير في الانتصار بالذبح . ولقد اتمنى في اكتوبر ان مجموعة من اعيان المدينة ومن امرائهم كانت تفصل سرا بالمهدي وتقدم له العون المادي والصنوي ، اذ في الوقت الذي امتدت فيه وطأة أزمة الغذاء . كما شهدت تلك الفترة اعنف المصارك ضد الانصار فقد فيها أهمية رجائه . ام يكن فوردن يرى في هذا الجو انفاق مبررا سوى ممن عسكري من الخائن ، ومن ثم فقد اتمنى في شرح أهمية هذا العون مضمنا تفصيل عن قوته والدليل التي يجب سلكها على امل ان تصل هذه المفاوضات الى المخطات ويحجوا بالتنفيذ . ولا بد ان تكون هذه

من تاريخ تلك الحقبة ، الا
 من تاريخ راجل الخطوط حائل
 قيمة الوضع في
 مشاكل نوردين الادارية
 لا صريحة ونظريتها حسن

التفاصيل ذات قيمة حقيقية لدراسة جوانب
 انما لا تنفذ كثيرا في محاولة البحث عن
 فترة العصور . فالبيانات لا تتحدث كثيرا عن
 والمسكنة والذخايرة بل اننا نجتمع هنا
 مصادر اخرى .

للمسكنة الا احصاءات

تتأني اليوميات اينما من ضعف آراءه فهي لا تدرج
 ثلاثة اشهر فقد من العشرة اشهر التي قذت المدينة تمت الى ساروما ان
 تسجلها قد بدأ بعد مدة اشهر من وضع الدمار فهي تسير الى قضايا لا يجد
 القارئ نفسه ملما تماما بجدورها وبداياتها . وليس طبيعة تسجيل اليوميات
 لا تساعد دائما في التعرض لمشأ القضية . قبل الخوض في
 تطورها كما هو الحال في كتابة التقارير . يوميات

غوردون هي في الواقع شواهد ومقترحات ومجموعة افكار تمثل مركزا اوليا في
 دراسة شخصية له ولكنها لا تمثل بالنسبة للموضوع قيد البحث مصدرا غنيا
 بالمعلومات التي يمكن ان تبنى عليها دراسة شاملة .

قام اجمونت هاك (Egmont Hake) بنشر اليوميات دون ان
 يتعرض لمستوياتها بالتعقيد او التصعيب الا في حالات الاسماء الالمانية .
 كتب غوردون بعض الاسماء الاعلام واسماء الاماكن بطريقة غير مألوفة جعلت
 ما ترمز اليه غائضا في اغلب الاسماء لتكهنات القارئ .

ولقد صاحب ذلك هذه المشكلة بنقله بعض الاسماء بطريقة متايمة
 لتلك التي طورت بها في اليوميات . ولعل هذا بالامر الشان فقد كان كل من
 المرأة والناشر غربيين عن عالم الاسماء العربية بصفة عامة والسودانية
 بصفة خاصة ، ورغم زيارات غوردون المتكررة للسودان فلم يكن من السهل
 عليه التمكن من اللغة السنح للاسماء فدرج على كتابتها كما يندلقها .
 وبومعوق في هذا فلم تزل كتابة الاسماء العربية بلغات اخرى مشكلة عتق

اليوم بعد مني اكثر من نصف قرن من الزمان • اما اسماء الامان فقد كانت
ولم تنزل • فخاصة اشير من المفردات بين الباشين ولعل راجع Sudan Gazetteer
بواسطة مصلحة المساحة السودانية يساعد في ايجاد صيانة واحدة لكتابة
هذه الاسماء •

ولقد قمت بمحاولة لتصحیح بعض الاسماء التي وردت في اليوميات
وتحسرت اما هي وثلب الاسماء التي ذكرت بحجة في الاصل ونشأت
معرفة • (ملحق ن) •

الرسائل المتبادلة بين

غوردون وامراء المهدي :

وبعدت من يوميات غوردون مبعوضة من الرسائل التي تبودلت بينه وبين امراء المهدي ، أثناء فترة العصار . ولقد وردت الناحية تربطه لبعض هذه الرسائل ما سأل في الصفحات التالية اشارة فطام مبعوضة بعدد ما والتصرف لبعض اجزائها .

تتكون المبعوضة من خطابين من الشيخ عبد القادر ابراهيم (١) وثلاثة خطابات من عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور (٢) وخطاب من عبد الله ودياره (٣) وخطاب من المهدي (٤) . يلاحظ ان هذا هو الخطاب الوحيد من جملة خطابات المهدي الذي ارتقه غوردون من اليوميات . ورسم ان بعض المصادر تشير الى انه تسلم خطابا بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٨٨٤ اي قبل ان ينتهي من كتابة اليوميات في ١٤ ديسمبر لانه لم يحترقها ضمن ملاحظتها . هناك ايضا نسخة من رسالة العلماء التي بحثوا بها للشيخ عبد القادر ابراهيم وعبد الرحمن النجومي (٥) ، وثلاثة خطابات من امراء المهدي وبينهم قائد غوردون (٦) . اما ردود غوردون فهي تشتت على خطابين لعبد القادر

(١) ملحق أ - ب

(٢) ملحق ج - د - ...

(٣) ملحق ز

(٤) ملحق و

(٥) ملحق ل

(٦) ملحق ح - د - ...

ابراهيم (١) وثالثين لعماد الدين النجدي (٢) ، وهناك ايضا نسختين رسالة برقية بعث بها غوردون الى غير الله بيت فرمندان طابيه ام درمان بتاريخ ٢٠٢ ١٢٠٢ (٢٤ اكتوبر ١٨٨٤) (٣) .

يعمل اول . الخاب وعل لغوردون من الزمراء تاريخ ١٨ ذو القعدة ١٣٠١ (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) (٤) لم يتبين بعد بصورة قاطعة ما اذا كان غوردون قد تسام رسائل قبل هذا التاريخ الا انه من الأرجح ان يكون هذا قد حدث . فنصحتي باشا يتيران كلا من السياسات الجديدة والنسب ابراهيم الجريفي والتمني معنوي قد يستوا برسائل لغوردون قبل آخر مارس كما ان الشيخ الحبيد قد بعث له بخطاب وقد رد عليها بمصفا . وقد ذكرنا ان مصدر أن محمد عثمان ابي قريه قد كتب رسالة لغوردون سال واوله خانج بوابات المدينة . ولان هذه المجموعة قد وعاته قبل ان يبدأ في تسجيل يومياته . اي قبل - مثادرة ستينورت الهرايم - فلهذا قد ارتفعها مع يوميات : هذا الاخير كما اعتقاد ان يفضل ولا بد انما فقدت بالتالي منها .

ولم يحط الناشر ترجمة حرفية لكل المجموعة بل عمد الى التاريج بين الترجمة الكاملة لبعضها والتلخيص لبعضها آخر واستألف فئة ثالثة ولم تأت الترجمة في كل الحالات سليمة ، بل هناك عدة امثلة لتغييرات استحدثت في اللفظ او المعنى كما ان هناك حالات صحيحة تم فيها حذف اجزاء ذات أهمية .

جاء في اول رسالة من الشيخ عبد القادر الى غوردون قوله : " . . . نحن نبوت حتمية . ذا الامام المهدى المنتار عليه السلام عندنا من ابتدى ظهوره مانع لنا من قبول منابهم والخودة اليكم " . وقد اورد المترجم السبارة الغتنامية

(١) ملحق أ - ب .

(٢) ملحق ج - د .

(٣) ملحق ت

(٤) ملحق أ

لتمني ، " الرد على خطاياكم " (١) . لا بد ان تعدت مثل هذه الترجمة بعض البلبلة . فقد اثبتت الوثائق المعروفة ان الشيخ عبد القادر قد بحث بشهادات اخرى لغوردون فيما بعد ، ويعني بحبارة "السودة اليكم " انه لن يهود لدقامة مرة اخرى ، في المعرطين حيث كان عند وصول غوردون اليه .

درج المترجم ايضا على استعمال كلمة " الدراويش " (٢) على اسمان الشيخ عبد القادر في حين ان هذا لم يظهر في اي رسالة منه ، بل كسان يدعون بـ " فتراء الانصار " ولعل المترجم كان متأثرا بذلك الفلك السامع الذي كان يبالغ على اتباع الميدي ، وكثر تداوله لدرجة ان الميدي اصدر منشورا يترجم فيه استعماله .

لم يلتزم المترجم ايضا الدقة في نقل الاسماء كما وردت في الاصل فهو يقول عبد القادر ابراهيم مرة و ابراهيم عبد القادر مرة اخرى (٣) .

جاءت النسخة المصرية لرد غوردون على هذه الرسالة رديئة الخلق ، مخيفة الاسلوب وبلا تاريخ (٤) ولقد وردت في مؤثرتها العبارة التملية

Journals of Gordon, pp. 279-81 (١)

Ibid, pp. 279 - 81 (٢)

Ibid, pp. 279-81, pp. 298-9, pp. 299-301 (٣)

(٤) غوردون الى الشيخ عبد القادر ملحق أ *

"وانا كان ... محمد احمد ممدى قلمناذا يفضل لند الان بالابيض بل اللانم ان ... كافة البلاد " . الاشارة لنا واضعة الى مدينة الابيض ولكن المترجم يقول ان الكاتب يعني النيل الابيض (1) .

اما رد غوردون الثاني فتسوية تطلب عن ماله من حيث التغطية
والاسلوب ولا بد انه قد حرر بواسطة كاتب اخر، فبالا مقررنا ودفترنا ٢٠ آذار
المعددة ١٣٠١ (٢١ سبتمبر ١٨٨٤) (٢) ورد في النسخة العربية
قوله : " فاشهروا ولد النجومي وابو قربة بأنهم يتوجهوا لدرخان وفيما
بعد عند عمل ترتيبات نجعلهم سلاطين " وفتح المقترع كلمة دنقلا مكان
درخان (٣) وهذا نصيبهم الجدد له ما يبرره .

وَقَدْ كَسَّانَ غَمُورِدُونَ يَعْنِي كَرْدَنَ
وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّجُورِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ النَّوْفَرِيُّ رَسَالَةً
الْمُورِدُونَ بِالْقَوْلِ " ... تَذَكُّرُوا لَهُ أَنَّهُ يُخْبِرُنَا نَحْنُ رَأُوبَرْتِجَةُ نَتَوَجَّهُ لِدَارِ
الْمَغْرِبِ أَوَّلًا لِنَاوَعِدَ عَمَلِ تَرْتِيَّاتٍ تَعْمَلُونَا سَالِطِينَ " (٤)

حذَّب المترجم من تلك الرسالة فقرة ذات أهمية فهي تختلف لما ان غوردون كان يحاول استمالة الشيخ عبد القادر بكافة الرسائل فبعث له بمسدية اشار اليها بقوله ، " ٠٠٠ وانا اعرف انه يلزم لكم صابون لئلا تسلم وجهكم فهذا هو صواب لكم عند ذوق من غير من غسيل وجهنا " (٥) .

شمل أول خطاب من عبد الرحمن النبوي وعبد الله النور تاريخ
٢١ ذو القعدة ١٣٠١ (١٣ سبتمبر ١٨٨٤) حيث في المرسوم فقرة قد تساعد

Journals of Gordon, pp.281-2 (1)

(٢) غوردون الى الشيخ عبد القادر ملتن ب*

Journals of Gordon, pp. 298-9. (r)

(٤) عبد الرحمن النجومي ربيع الله النوراني غفر له وبأشياء ملحقه

(٥) غورد ون الو، الشيخ عبد القادر مدني م.

ان المؤدى يهلك بدون مدافى ولا حرايج فما هي الحقيقة ؟ كما ان ذرة فقرة اخرى تعدس مباينة غوردون في قدرته الذاتية وعدم تقديره لقيمة التأييد الذى يسبغه عليه سكان المدينة فيقول " ٠٠٠ " وذلك الا بالي والسلماء الذين تناولوا انهم ملا رين مسنا وباطنهم صحتهم ربيهم ما يفسد القتال يتروكسا ويهربوا عندكم غاننا امير حاربهم بطرفنا ولا يهابونهم من التوبة لدارهم .
توجههم وعدمه على هذا سوى رانانا لم يتوجهوا لمقابلتهم " (١) .

ولقد ارسل غوردون غديا با آراسيد الرحمن النجومي بتاريخ ٢ ذو الحجة ١٣٠١ (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) وتناقب مع خطاب النجومي الذى يحفل نفس التاريخ (٢) . اغفل المترجم الجزء الاول من هذه الرسالة رغم ان ميتها في تصوير اساليب غوردون لارباب نصحه باعدائه معلومات مباين نيتها عن قوة حملة الانقاذ ومن مصادره لم تحدث على الاطلاق اعتبتها انتصارات وعمية . فهو يصف الحملة " ٠٠٠ " الذين رملوا من بيوش الاثليز لجهمة مروى عشرة اليات بياده وخياله والوجيهه والباقيين الملقوم في دنلا وراى خلفا وان مدير دنلا اجرى قتل الفتي النمدى والشريف محمود ٠٠٠ وصار قطع بيوشهم عن اغرضهم ومن انباريه اخرى حضرت لنا من مغموص من جهمة ببربان وابوراتنا دخلوا ومنتارين حضور الصمة رية ٠٠ " (٣) .

اما خطابات الامراء ، فهي تتمثل على خطاب من الصديق الناصر وعامد ولد ادريس الشايب الى عثمان بك قائم الدايه ام درمان (٤) وعالمين من احمد المصطفى الامين ، اسد ما الى عثمان بك والاعز لخشم المومى (٥)

(١) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ملحق

(٢) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ملحق

عبد الرحمن النجومي وعبد الله الشير الى غوردون باشا ملحق

(٣) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ملحق

(٤) الصديق الدار وعامد ولد ادريس الشايب الى عثمان بك ملحق

(٥) اسد المصطفى الى عثمان بك ملحق

اسد المصطفى الى خشم المومى ملحق

لم يرفق غوردون أي نسخ اردود على هذه الرسالة مع اليويات ويبدو ان قاده
لم يبعثوا اردود كما هو واضح من خطاب احمد المصطفى في سويسرا اليهم :
" اينما الاعباب لقد دعا دعاؤنا الى الله ورسوله ومحمد به عليه السلام بهد
البرية فلم كان تسمروا ولا ترسلوا لنا رسل من ارفعكم عما املنا منهم ذلك " (١)

عمل خطاب المصديق الداعي روح احمد ولد ادريس الشايب تاريخ
١٢٠١ ذى الحجة ١٢٠١ هـ (٥ أكتوبر ١٨٨٤) • اعدى الترتيم ملخصا لهذه
الرسالة ولكنه نقل اسم المدين المار " السيد المار " (٢) • كذلك حصل
خطاب احمد المصطفى لعثمان بك نذر التاريخ • فسر الترتيم الاشارة الى
البشارة التي عطيت شيراز اسمي بانه باسم " خرطوميه " (٣) ولكن لم
تكن بين اسماء غوردون ونعمل هذا الاسم • وعندما يقول الكاتب ان
" الواو الغراموية قبضت والفترا " دلوا من غيرا " فلا بد انه يعني البشارة
" السبا " .

(١) احمد المصطفى الى عثمان بك ملحق ط

(٢) Journals of Gordon, pp.311-2

(٣) Ibid, pp.313-4.

تقرير مجلس الضباط.

في يونيو ١٨٨٥ (رمضان ١٣٠٣) وضع مجلس من الضباط من والمدنيين برئاسة محمد نصحي باشا تقريراً بالمشة المصرية عن حصار الخرطوم منذ وصول فوردون اليها وحتى سقوطها تحت عنوان " حياة فوردون باشا في الخرطوم " (١) . اقتضت عضوية المجلس على كل من السيد افندي امين الذي كان أثناء الحصار قائدا للفرقة الرابعة واعتل موتاً من هذا النار فوردون بوابة الكلاكلة ، وعسن افندي عبد الله وكيل المديرية ، ومرزوق افندي ، زيدا وعبد القادر بك ، وعسن ومينائيل ، افندي داود . ليست هناك معلومات مؤيدة عما اذا كان هؤلاء قد اقاموا في الخرطوم طوال مدة الحصار والتي ان سقطت المدينة ولكن يلاحظ ان اعضاء المجلس باستثناء نصحي باشا ومرزوق افندي زيدا قد قدموا شهوداً في محاكمة عسن بك بهنساوي التي انعقدت في القاهرة (٢)

(١) محمد نصحي باشا (١٨٣٨ - ١٩٠٢) تزوج الابن لرس العلوم العسكرية في برلين واشترك في الحرب الروسية - التركية ١٨٧٧ - ٠٨ ذهب الى السودان وشهد اندلاع الثورة المصرية وسام في عصار المشركم الا انه غادر المدينة بأخر سبتمبر ليتود الاسطول المكلف بانتظار حطة الانقاذ في شندي . بعد سقوط الخرطوم رجع من الحملة الى مصر وفي نفس العام تمت ترقية الى رتبة لواء ولكنه تقاعد بعد ذلك بتليل .

Hill, A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan, p.241.

(٢) كان حسن بك بهنساوي أثناء الحصار مسئولاً عن خط الدفاع الممتد من النيل الابيض وحتى بوابة الكلاكلة . ولقد اتهم عند رجوعه الى القاهرة بتجارته في سد هجوم الانصار عشية ٢٦ يناير ١٨٨٥ . فسدت له محكمة عسكرية في ابريل ١٨٨٧ وبعد الاستماع الى عدد من الشهود قررت تبرأته .

Wingate, Mahdism and the Egyptian Sudan, pp.556-90

غلا بد أنهم قد عاصروا الحصار وشهدوا السقوط . إلا ان نصبي يابا لم يكن هناك ان غادر المدينة التي شندى في ٣٠ سبتمبر ١٨٨٤ ولم يجد اليها مرة اخرى . ولم يذكر المؤلفون عما اذا كان تقريرهم قد كتب من الإدارة ام انهم استعانوا ببحر الوثائق التي سجلت اثناء الحصار .

من المرجح ان يدون نصبي يابا قد احتفظ بمثل هذه التسجيلات ان انه ترك لنا يوميات ساطلة عرفت بـ " جورنال الـ رادش " سجل فيها وقائع الفترة التي قضاها في شندى . واسله قد فعل ذات الشيء " اثنا " وبسوء في الخرطوم .

ويبدو ان التقرير قد كتب بمبادرة من المخابرات انفسهم في محاولة لتسجيل اعداد تلك الفترة من وجهة النظرهم . ولقد فعلت كل الجهود التي بذلتها بمساعدة الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم مدير دار الوثائق المركزية للتحسين على نسخة من الاصل . فاعتمدت على ترجمة له اجرايا نسيم شخير . ويلاحظ ان شخير قد اعتمد على التقرير في تأليف الجزء الخاص بحصار الخرطوم في كتابه " جغرافية وتاريخ السودان " . ولان كل الذين تطرقوا لمعالجة المسألة تلك الفترة اعتمدوا في الاساس على نسيم شخير بهذا التقرير المصدر الذي اعطى حصار الخرطوم صورته المعروفة حتى الان في التاريخ .

كان ونجت على علم بـ **برجود التقرير** الا ان ماولاته في المصنوع عليه كتب ان از كتابه (**Mahdism and The Egyptian Sudan**) لم يثمر ولبنه علم فيما بعد ان **المخدري** يحتفظ به في مكتبته الخاصة فامتأذنه في الاطلاع عليه وقدم ملخصا له في (**SNR XIII, 1950**) . اعتمد ونجت هنا على ترجمة نسيم شخير ونشرنا كما هي ، اللهم الا تعديلات طفيفة في الاسلوب وحذف بعض الفقرات التي رأى انها ليست على اي قدر من الأهمية .

يلامعظانه اسقط عبارة تقول : ان غوردون لم يرد على رسالة من محمد عثمان ابي قزينة لانه لا يتراسل مع السيد • واهل ونجته قد مدغوا كي لا تعطى اناباعا سيئا عن غوردون ولكن من ناحية اخرى لا يبرر عدم وجود رسالة من غوردون الى ابي قزينة البزم بعد ان رواية التقرير ، من **المعتل ان يرد غوردون** قد بسط برد ولكنه فقد **كما حدث لرسالة ابي قزينة** نعتسا • بالاساعة السوي ان اسقال ونجته لتلك الفقرة **قد لا يعني اكثر من أنه لم يرنا ذات اسية •**

يعتبر التقرير الوثيقة الوحيدة المصروفة حتى الان التي تعالج **حصار الانرام** منذ بدايته الى نهايته وبصورة **تفصيلية •**

فدويقي في حوالي ٢٨٠ صفحة فليساك تكتب بخط اليد • وقد ركز على الاسداث اليومية دون ان يسجل اي انباعات او اراء سياسية • **ولعمل** هذه هي ميزته الرئيسية على يوميات غوردون • فاهدنا التقرير بمعلومات عن موضوعات شتى ، منها سكان المدينة من حيث عدد دم وتعارفهم مع **غوردون** واستجاباتهم لاجراءاته وعلاقتهم بالانصار • واعطى تفصيلا عن الامور المالية والادارية والمسكنية ، وتطرق الى مشكلة الغذاء ودورنا في **تصعيد الازمة** والتعجيل بالسقوط ، وكشف لنا ايضا عما اتخذ من خطوات في سبيل تنفيذ الانتلاء كما اورد معلومات عن البعثة التي اوفدها غوردون لانتلاء رحمة الانقاذ في منفدي •

تضمن التقرير ايضا ملحقات لبعض الرسائل المتبادلة بين **غوردون** والانصار وبين هذه الرسائل رسالة من عبد القادر ابراهيم ورد غوردون عليهما ، ورسالتان من المندي ورد غوردون نالينهما رسالة من علماء المدينة الى المندي ورسالة من ابي قزينة ورسالتان من الشوي ورد غوردون عليهما •

وانا ما قارن القارئ التقرير بالصادر الاخرى ، فأنه قلدا **يجسد** تناقضا في الحقائق الاساسية كما ان ابراهيم البورديني ، ورتا بر مصري اقام في الانرام حتى سقوطها ، قد كلف براءة التقرير وتسجيل ملاحظاته عليه ورغم انه ابدى بعضي التحفظات ولكنه قبله بصورة عامة •

ويلمس القارئ بين سطور تحليل البورديني ان نصحي باشا قد البس نفسه ثوبا اكبر مما يستحق ، وانه لم يكن بأى حال ذلك الرجل الذى صوره المؤلفون . واذا استخنا بالمصادر الاخرى ثبت بالفعل ان نصحي باشا قد اضطل على اثناء الحصار ببعض المهام ذات المسئولية والاعنية . فتاد بعض الحجلات العسكرية الناجحة ضد الانصار .

كما ان بعثته الى سنار عادت مخطئة بالافذية ، فحسب رياء غوردون وانجم عليه بلقب الباطنية ، ثم عقد اليه لواء قيادة اسطول شندى مما يدل على ان غوردون كان يثق به .

ولكن يبدو ان تلك الثقة لم تكن ، للقة وربما فان ارساله لشندى محاولة لا بصاد . خاصة ، ان غوردون سبق ان طلب منه مغادرة البلاد مع الجنود المصريين . كما يلاحظ من يوميات غوردون وبيروال السوادث انه دج على مغادرة نصحي باشا بلمحة عنيفة لحوال مدة يتائه في شندى . بالاضافة الى هذا فقد رفع توصيه عن طريق يومياته لقائد حملة الانقاذ طالبا منه بالا يعود بأى من "الجنود البيض" المتمركزين في اسطول شندى مرة اخرى للشراف . ومن ثم لا بد ان يعيل القارئ الى الاعتقاد بأن نصحي باشا قد جنح الى المبالغة في تصوير نشاطه اثناء الحصار ولعله كان يهدف من وراء ذلك للحصول على اكبر قدر ممكن الانعامات المادية والمعنوية من الحكومة المصرية .

ومن ناحية اخرى ، علينا ان نأخذ تحليل البورديني بعذر ، اذ لا يبدو انه مثال من الخلق . فقد كتب تقريراً منفصلاً وعور نفسه تاجراً يشار اليه بالبنان وسائد غوردون الايمن الذى كثيراً ما انقذه من الازمات المالية والادارية الا ان مؤلفي التقرير تبنا لوه تماماً ولم يذكروا اسمه الا في مناسبتين لم يكن الحديث لهما من مصلحته . وكانت المناسبة الاولى تتعلق بعادته التاجر الاغريقى الذى يملك مغيزاً مناصفة مع البورديني وقد اهتم هذا التاجر باخفاء الذرة حتى يتمكن من بيعه بسعر عال عند استداد الحصار . رغم ان الاتهام لم يوجه للبورديني الا ان الاشارة كانت كافية لاثارة الشك حول نشاطه . أما المناسبة الثانية فتشير الى ان البورديني كان يدل احمد سليمان عند سقوط

المدينة على الجميلات من النساء والاثرياء من الاثالي . وقد انكر البورديني
التهمة الاولى ولكنه اعترف بالثانية وهرجا بأنها كانت ضرورة لحماية امصاره
الخاصة . ولعل استماتة البورديني في الدفاع عن نفسه لنا كانت مرتبطة
بغذائه من ان يتهم بالتعاين مع الانصار ويتعذر عليه بالتالي استرداده اي
مبالغ فيعتل ان يكون قد اقربنا لغيره من مقابل اوراق البون اثني عشر
الانصار . فربما بناءً على تشككه في الدور الذي لعبه نصفي باشا كـ
فعل لشبائل المؤمنين له .

ولقد اورد التقرير ترجمة للمدعيين بحث بهذا فوردون الى المهدى
اولئها بحث به بعد استلامه لرد المهدى على غيبة الاول والثاني ارسله
له بعد وصوله الى ام درمان (١) ولم تذكر اي مصا در اخرى شيئاً عن
هذه المخطبات سوى نعم شقير (٢) وقد اجتمعت البورديني ان فوردون لـ
يبحث للمهدى سوى رسالة واحدة تلك التي تحمل تاريخ ١٠ فبراير ١٨٨٤ .

نقل التقرير ايضا ترجمة للمخطبات التي بحث بها الامراء
لفوردون الا ان اجزاء من هذه تختلف اختلافاً كبيراً عن الاصل كما يلاحظ
القارئ في بعض الحالات وجود فقرات لم ترد على الاطلاق مما يدل على
انهم كانوا يكتبون عن هذه الرسائل من معلومات سمعية او انهم قد
قرأوها في وقتها ولكنهم نسوا معتوياتها عند كتابة التقرير .

وفي ترجمة لغضب من عبد الرحمن النجومي ذكر المؤلفون على
اسمائه " انا امير امراء قوات المهدى ه فاتح كردفان و زبل قدير

Nushi Pasha, p. 74, p.182.

(١)

(٢) نعم شقير ص ٨٤٧

الملقب بالسيف المشهور" (١) لم ترد هذه العبارة في أى من مخططات النجومي ولعل الفقرة التي سمح بها المؤلفون في قوله (ان الخيلة) "تد مينانحن العاملين المذكورين بهذا وامدنا بنزال ثقات من اهل ابيه يستجيبون الموت كحبكم للحياة" (٢) .

ولقد تعرفنا نورد من التعريف ايضا ، ولطفاً فانوا يستجيبون التي تعنيها كالبطل العتدال الذي لا ينسحب من اية خصمه بل يهجمه مثل "عليكم ان تتأكدوا اني لن اعرس بكم المزيد، المندى اعتماما ومسترون مما قريبه جيشكم منهارا كما حدث لقوات ابي قرعة وبني ابي عثم في الملقاية فامسكوا السندكم وكلاوا عن هذا النزاع" (٣) .

اختلفت المبادر حول الكيفية التي استسلم بها صالح الملك عندما كان معاصرا في جزيرة فداسي من قبل اعران محمد الدايب البشير . ذكر التقرير ان هذا تم نتيجة لندوة من ابي قرعة والصيد بدر المذنين او كما صالح الملك بان النيران قد سقطت . فما كان منه الا ان رمى مدته وقطعه الى ربي في القهروا استسلم وغر مكنب (٤) وقد ذكر التقرير ان ابا قرعة اختار هذه الخيلة بعد ان ذهب الى الغراوم وتأكد له انه لن يتمكن من اقتحام بواباتنا بالقوة التي لديه . فسار الى فداسي على امل ان يعتبر صالح الملك على التسليم ويحجز جيشه بجنود النافية واسلحتهم . ولكن اسماعيل بن عبد القادر يورد رواية مختلفة يذكر فيها ان صالح الملك قد استسلم من تلقاء نفسه وكتب رسالة للمهدي يعلن فيها اعتذاره عما اترقه سابقا في حق الاسار يسأله ان يبعث بأحد قادته ليتم التسليم على يديه . فان كان متحفوا من التسليم لصعد الدايب

(١) Nushî Pasha, p. 113.

(٢) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى نوردون باننا ملحق

(٣) Nushî Pasha, p. 113-4

(٤) Ibid, p. 63.

اليسير خشية من ان يتعرضوا لغيره الى بعض الاجراءات الانتقامية .
فاستجاب المريدى لطلبه وحدث بمحمد عثمان ابي قربة الذى صار من تـمـره
لقداسي وتوجه انما الى الشرطى حيث شرع في وضع الحصار ولقد ايد ابراهيم
فوزى هذه الرواية .

ونذكر التتيرايينما عادة في هذا الشأن تجعل القارىء يتشكك في
صدق رواية المؤلفين . فسيقول ان غوردون كان على علم بنوايا ابي قربة
فبما برسول لـمـالـج الذى يذكره الا يـمـير اى انباء ينقلها له ابرقـجـة
الثقات (١) . وقد تأكد تبليغ تلك الرسالة لـمـالـج التى فاذا بان الامر
اذلك و لماذا استسلم ويوحى علم سلفا ان رواية سقوا المدينة انما هي
محتوى التلاق .

٣- تقرير ابراهيم البورديني

كان ابراهيم البورديني يعمل بالتجارة في الخرطوم ريثما انتهى وصول غوردون . ولقد عاش فترة الحصار على سقوط المدينة . ثم هاجر الى بربر فيما بعد . وتحدث عن الفرار الى سراكن في يونيو ١٨٨٧ ومنها وصل الى القاهرة . ولقد كتب تقريراً بعنوان (حصار الخرطوم وسقوطها) (ذو العدد ١٢٠٤) . ويوقع في حوالي ٦٠ صفحة تشمل الفترة منذ وصول غوردون الى ما بعد سقوط المدينة .

ويعالج البورديني في الاساس الجانب العسكري فهو يصف المعارك التي جرت بين قوات الحكومة والانصار ويزتر على المرحلة الاخير من الحصار .

وذكر التقرير ان المندى ارسل لغوردون " تسوة الزهاد " مع خطاب بعد وصوله الى ديم ابي سعد ولكن اذا قد تم قبله صبيء المندى بحوالي خمسة اشهر حينما كان مقيماً بالرك . ورغم ان البورديني قد اجهز في معرته تعليقه على تقرير نصحي باشا ان غوردون لم يرسل للمندى سوى رسالة واحدة الا انه يهود ويذكر في تقريره ان غوردون قد كلف ابراهيم بك رشدي ليكتب خطاباً للمندى يخبره من الاتصال به مرة اخرى . وقد جاءت هذه الرسالة بعد تسلمه لخطاب المندى الذي يرفض فيه سلطنة اردفان .

ان اسمك السوام كاتباً نصراني باشاً وتلقى اليك الشكر على بعد معرفته
 القل الكبير وقد ابدى تعالفاً مع المماليك وبذل محاولات لاقتل الانجليز
 بدعوتهم فذل يغضب لانية في التبعصبات فنددوا بوفور فورون وشيخدا
 بانتصارات المماليك . **مما اورد فورون في كتابه** فقال انه عسر
 بعض الخطابات التي بعثت **بها فورون للامراء** . ولكن ما ان وصل المماليك
 الى ام درمان عثى عاود سيرته القديمة . فذكرت بعض المصادر انه كان يقسم
 بكل ما من شأنه ان ينصب الحكومة وفي النهاية اوفر لامماليك النساء انفسهم
 النار بمنزلة الذئبة فانتشفت امه وقرر فورون الحكم عليه بالاعدام ونفذت
 نورا .

وفي الراقع لم ترد في نصيحتته اشارة واضحة الى تمييزه الى جانب
 دون الا ان كان يبالغ من الفريتين السعي لايمان تسوية سلمية فهم
 يقول " . . . فان طالما بنادلتهم (السلاطين) بالعلم سرا ونصحت لهم في
 دار الحكومة جهرا على مسمع من زليوا النصراني ومن عسر من كتبة الديوان
 في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة رباء ان يمسوا في ايجساد
 الصالح بين اللائنتين المتحاربتين عمدا باسألله . . . فلم اجد فيما بينهم
 محققا كلا ولا ساعيا بذلمة حتى لاخمد هذه الحرب بين المسلمين وعباد الله
 المؤمنين . . . ولذلك انتزلتكم وجميع الحكومة وجميع المستعصرين الامن بساء
 يسرى وريغش فابذل له معنى النصيح " .

ولقد كتب السوام نصيحتته في ٢٠ رمضان ١٢٠١ ومدرنا بقوله
 " هذه الرسالة المسماة بنصيحة السوام للنحاس والعام من اشراف الاليمان
 والاسلام في وجوب اتعادهم واقتلاف قلوبهم باتباع سيدنا امام الزمان محمد
 المهدي المنتار عليه السلام " . وهي ليست سجلا للاحداث بقدر ما هي
 غواير وارا في الدين والسياسة رقع في حوالي ٦٠ صفحة قسمها الى خمسة
 فصول كما هوآت :

الفصل الاول : في وجوب اتحاد المؤمنين وعباد الله المسلمين راضين قلوبهم
وتحريم الحرب بينهم .

الفصل الثاني : في بيان الحرب المجائز وقوعها بين المسلمين اذا قامت بها
المصالح الدينية وعلمت بوجوب الشريعة المستمدة .

الفصل الثالث : في بيان ما كان يجب على السلطان عبد الحميد ونائبه تؤذين
ان يندلاه قبل مبايعة هذه الحرب .

الفصل الرابع : في شروط الامانة المباحة .

الفصل الخامس : في مقابلة الاالي لشؤونهم .

وهو وان الغرض من كتابة الفصححة كان رغبته في النيل من الحكومة
التركية فتموه حطتها كافة مسؤولية ما جعل بالمسلمين من يلاي لان الحكماء
لا يخفون بكتاب الله وسنة رسوله . وويدعو المسلمين الى عدم اتخاذه
اليسود والفساد واليهاء لئلا يزدجوب وقفا القتال بين بعضهم البعض والالتفاف
عزل الميدي لانه يدعوا الى اقامة دين الحق .

المسودات بين يدي كتشنر وفوردون :

ضمن ابراهيم فوزي كتابه بالعنوان اعلاه فمما ذكره عن مسار الدعوات في
وصولها اليها مع فوردون في ١٨ فبراير ١٨٨٤ . ولم يكن ابراهيم فوزي غريباً
عن البلاد فقد سبق ان عمل فيها أثناء ولاية فوردون الاولى وقد اتفق
بالاشتراك بتجارة الرقيق . بينما كان حاكماً على بحر الخزان ، ولأن فوردون عفا
عنه رآه انه ان يسود منه مرة اخرى للسودان عندما التقى به في القاهرة .

أورد ابراهيم فوزي معلومات أساسية عن أحداث المدينة من
استعدادات عسكرية ووصف للمشارك والموقوفين الخ. ووصول قوات الانصار
ولكنه يميل الى الانحياز ويعطي أحياناً معلومات غير دقيقة . وهو يقول ان فوردون
بعث بنائاً به الى المهدي من كورسكو وفي حين يذكر ستيرت ان هذا قد تم من
قرية شمال بربرتليل ولعل تاريخ الخطاب (١٠ فبراير) يؤيد هذا الرأي
الآخر .

ويورد المؤلف أرقاماً مبالغاً فيها ، من ذلك مثلاً تقديره لسكان الخرطوم
الاجانب بـ ٢٠٠ الف والبولنديين الذين هجروا المدينة الى المهدي بـ ٣٠ الف
وقدر قوات أبي قريحة بـ ٢٠ الف مقاتل والذين شاركوا مع المهدي ٨٠٠ الف
تقريباً .

محمدة المستنصرية في سيرة الامام المهدي :

لمؤلفه اسماعيل بن عبد القادر ابن اخت احمد الولي الوردفاني .
درس في الأزهر واصبح مفتيا امديرية كردغان وقيما في الالبون . عند وصول
المهدي الى مدني فابا اعلان تأييده له وبقي في مسكنه الى ان كلفه الخليفة
عبد الله بكتابة سيرة المهدي . فامتحان بالانصار الذين شاركوا في الاحداث
فكتب سيرة شاملة للفترة من تيا المهدي الى ما قبل موقعة توشكي (رمضان
١٢٩٨ الى ٢ ربيع اول ١٠٠٦) . ولقد روى به المحدث ففاه الخليفة
ابو الوجاف ١٨٩٣ وحرق كل نسخ سيرته وادى احد المهاجرين تمكن
من انشاء نسخة استبان بها نسخ شقير فيما بعد في كتابة تاريخه .

ويبدو انه سلمها لوثبت فحفزت مع اوراقه في جامعة درهام .

وقد رثر اسماعيل بن عبد القادر على المصارت التي خاضها الانصار
عند قوات الحكومة بل شويحالح تاريخ المهدي من خلال " الغزوات " . فسجل
حصار الشرم من خلال عمليات الامراء مبتدئا بـ " سريه محمد عثمان الشهير
بابي قرينه " ثم " سريه عبد الرحمن النجومي " ثم " ذكرى غزوة المهدي
عليه السلام الى المراءم " ثم " ذكر فتع فندك ام درمان " .

ورغم انه قد اعطى تفاصيل للاحداث الا انه لم يورد اي ارقام وملاحقة
القاري انه لم يذكر شيئا عن الرسائل المتبادلة بين غوردون والامراء .
رسالة ابي قرينة .

Guzzi, G., Fifteen Years Prisoner of the False Prophet.

جاء المؤلف جوسبي كوزي الى الانرام في ١ / ٩ / ٨٢ كمستدوب
لاحدى الشركات التجارية التي فيها الرها بدد خبطة يوسف الشارلي حيمين
سافر الى سنار، ولكنه عاد مرة اخرى في يونيو ١٨٨٢ ومضى حتى آخر نوفمبر
ثم سافر الى برونقي، هناك الى ما بعد سقوط المدينة . ووقع في اسر
الانصار حتى اطلق سراحه عند مجيء جيش كشنو . اذن ، فالمعلومات التي
اوردنا عن الدعارة في ميمو السماعية لانه لم يكن داخل المدينة اثناء تلك
الفترة رغم انه قد زارها لمدد قصيرة . ونقول هذا لم يؤلف الكتاب بنفسه بل
اعاد المعلومات لمصنفه الماني فنتسبها لهذا باسمه في ابريل ١٨٩٩ .

ولقد اورد في الفصل الاول والثاني معلومات عن الممدي من منذ بداية
الدعوة في ابا والى معركة شيكان واصله تدعمل على هذه من بعض الانصار
الذين التقى بهم اثناء الامس . فاشتملت على وصف مبالغ فيه للبرائم التي
ارتكبها الانصار ، فهو يذكر مثلاً انهم كانوا يتناولون ينة ويسرة عند دخولهم
الابيض . في حين ان هذا لم يحدث على الاطلاق .

ولقد ركز في الفصل الذي قلته هذه (الثالث - الرابع - الخامس -
السادس) على اسدات بربر وصبيته الى الخرطوم كرسل من قبل معمد الخير
ثم سطره لمقابلة الممدي ورجوعه مرة اخرى الى بربر ، وفصل الفصل السابع
للفترة التي اعقبت سقوط المدينة وحتى مجيء جيش كشنو .

ولقد انشأ كوزي حينما قال ان غوردون ارسل يدية مع كتاب
الى الممدي بعد وصوله الخرطوم ، فقد تم هذا قبل وصوله الى بربر ، ثم
ان غوردون لم يحترق به سداً فاعلى السودان الغربي حسب رواية المؤلف بل
على كردفان فقال .

النساء في دفع الافتراء

عالج مؤلفه محمد عبد الرحيم مونسفات متفرقة عن تاريخ المزدية • وأن المؤلف قد شهد بمصار الشراوم مع الانهار ولكنه سجل بعض الاحداث المتعلقة باليهانيين ، فوصف الممارك التي دارت مدحمة بالتواريخ والاسماء •

ولقد انورد هذا المصدر بايراده نسا قيل انه للخطاب الذي المقام غوردون عند وصوله للمدينة رغم انه تضمن بعض المعلومات التي ردتها مصادر اخرى الا ان القارئ لا يملك الا ان يتشكك في بعض التفاصيل • ههنا مثا قول غوردون " . . . وقد شابت السيد محمد احمد المزدى بغشوى مأموريته " ومصدر الشك هنا ان غوردون كان يشجب دعوة المزدى بهذا الاسم لان هذا يعني الاعتراف به ، وقد هنا ايه في رسالته التي ضمها مجموعة الممسلي بـ " السيد محمد احمد " فقال وأشار المؤلف الى ان غوردون قد اعترف به سلطانا على " السودان الغربي برمته " ولكن خطاب غوردون يعهد السلطنة بـ " بـردفان فقط • وعن تجارة الرقيق ذكر المؤلف ان كل الاوامر السادرة بشأنها قد انضيت ورغم ان نصتي باننا قد اردد معلومات مائة الا ان المنشور الذي أصدره غوردون في هذا الشأن كان ينادى بالنساء الاتفاقي الصادر عام ١٨٧٧ والذي نص على عتق الرقيق بحام ١٨٨٩ فقا • كما ان المؤلف الذي أصدره غوردون لم يشمل " جميع المدينين على انتلاف جرائمهم " كما يذكر المؤلف هنا بل استثنى القتلة •

تواريخ عيادتي

كان بابكر يدري ، مؤلف هذه السيرة ، يقيم مع عائلته برفاعة عند اندلاع الثورة العرابية والده لدعوة الميمني فغضبوا عليه اليان درمسان فوجد الميمني عند استغفرني ديم ابي محمد . ولقد اترك المؤلف فـ... السجلات التي : يدتها الايام الاخيرة من الحصار وثان بين اوائل السجديين دخلوا المدينة في ليلة ٢٦ يناير من المزمز البنوي الشري من النصارى الذي يد به فيضان النيل .

واخذ فخرنا لاحداث العيادتي بنصح صفحات كانت اسما لـ... الامايج التي سبقت مؤلف المدينة ولم يورد ارقاما ولا تواريخ . وقد انما... في تاريخ بعض الاحداث فيسويذا مثلا ان السيرة التي قتل فيها ساتي بك تمسك به سدي سجن النهموي ولتتم في الراقع قبله و يقول ايضا ان صالح الملك قد سلم للشيخ السيد بدر ولدن الدمار تتفن على ان التسليم قد تم على يد ابي فريجة وربما بعد مورالينغ الحبيد .

المفصل الثامن

تمهيد

نبذة في تاريخ مدينة الخرطوم

يجمع المؤرخون ان الخرطوم - قرية صغيرة يومها صائدوا الاسماك - قد وجدت في التاريخ منذ ازمان سبقت قيام مملكة الفونج في ١٥٠٤ الا انها لم تحصل على اهتمام من جانب احد الحكام ، ولعل كل ما اكتسبته في العهود الجديدة هو قيام عدة سلاسل لرجال الدين في منطقتها (١) ، فنشأت احادي هذه الخلاوي في قرية توتي وكان من رجالها الشيخ ارباب الحفائ الذي ما لبث ان انتقل الى الخرطوم في ١٦٩١ (٢) وبدا وان بعض الاهالي قد سمعوا الى التقرب من الشيخ فانتقلوا الى الاقامة معه في القرية الا ان هذا لم يكسبها شهرة تذكر فبقيت كما هي ، قرية للميادين لا تجذب انتباه المسافرين الاجانب فلم ترد اى اشارة لها في كتاباتهم او خرائطهم رغم ان البعض قد وضع قرى اخرى ، مثل توتي وأم درمان والتفافية في مواضعها الصحيحة (٣) .

بدأ تطور القرية مع فتح محمد علي باشا ، اذ قام احد اعضاء الشيخ ارباب ، محمود ود علي ، باستقبال اسماعيل باشا في مكان مقابل للحفافية عند وصوله في ٢٤ مايو ١٨٢١ . وعند عبوره النيل استقبله في الخرطوم الفكي ارباب ود علي - خليفة الشيخ ارباب (٤) . وفي اولى مراحل تنفيذ الادارة

(١) Stevenson, "Old Khartoum 1821-1885", SNR 47, (1966), p.3. (١)

(٢) ايوبي ، "معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم" ص ٤ ، انظر ص ٢٣ (٢) Stevenson, "Old Khartoum 1821-1885" SNR 47, (1966), 23. (٢)

Ibid, B.4. (٤)

بعد الفتح ، وضعت الخرطوم في نطاق مديرة سنار الا ان الاحتفاظ بحامية صغيرة في كبرى قد اسبق على المنطقة بعض الاممية . ثم جاء مقتضى اسماعيل باشا والفاشي التي صعبته لتستحوذ على اهتمام السلطات الكامل في كل من مصر والسودان ولم يكن التفكير في تعمير البلاد واردا في تلك الايام فبقيت الخرطوم بعيدة عن الانواء .

وفي ١٨٢٤ استلم عثمان بك برنجي ، واليد السلطة من الدفتردار ، فأتى بتائب اعاقية من الدفتر شيد لهم مسكرا في ام دومان في حين عبر هو النيل الى الخرطوم واستقبله هناك الشيخ شنبول ودندي الذي تم تعيينه ، فيما بعد ، مديرا على المندوبة الجديدة من حجاز المسجل الى جبال الفونج (١) . ويبدو ان عثمان بك قد لطن الى استراتيجية موقع الخرطوم فعين عثمان بك شربوطلي وكيل له في القرية (٢) . وقد أعقب هذا تشييد مبنى الرئاسة الادارة الحضرية نقلت اليه وحدات من المصالح ومغزونات الدولة (٣) .

بعد انتهاء ولاية عثمان بك برنجي ، خلفه مدينته مديرة مديرة ناتي بجنوده وشيد لهم مسكرا في حلة شوجلي شمالي الخرطوم (٤) وعظمت القرية ببعض الشجرة عندما اجتم بها مشردائم للحكومة فيها (٥) .

(١) الشيخ احمد الشونة ، تاريخ ملوك السودان ،
مراجعة م . شبيكه ص ٢٢ ،

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ ،

(٣) Stevenson "Old Khartoum 1821-1885" SNR 47 (1966) P.8

(٤) الشيخ احمد الشونة ، تاريخ ملوك السودان ،
مراجعة م . شبيكه ص ٢٢ ،

(٥) ابوسليم ، معلومات عن تاريخ مدينة السودان ص ٦٢

بدأ تفكير الحكام الجدد يتجه نحو إيجاد جامعة للبلاد بعد أن اتضح أن مناج سنار لا يلائمهم صحياً • وقد امتدعت وقد مدني لنفس المسبب فيما بعد والمعتقد أن محمد علي باشا قد اختار شندي مقراً لجامعة ملائمه بناً على توصية الأطباء • إلا أن مقتل ابنه هناك جعله يصرّف النفوس عنينا (١) •

فيران خورشيد باشا تنبه عند مجيئه إلى أهمية موقع الخرطوم ورائها أطلق شعار أن يجرى القرية بدعوة أهالي المناطق المتاخمة لها ويصمم عائلات سنار إلى الإقامة بها • فأُسبغنا هذا بعض أهمية ومزارت تحوى حوالي خمسمائة منزلاً جديداً • وفي ١٨٢٨ بدأ تشييد مباني للمصالح الحكومية ويستند أنها قد أعلنت جامعة للبلاد في عام ١٨٣٠ (٢) •

وأصل خورشيد باشا تشجيعه للأهالي بالانتقال للخرطوم من طريق إمدادهم بالأراضي وسواد البناء من طوب وأخشاب كي يستعملوها بدلاً من البلود والقش وهي المواد التي كان يستخدمها السواد الأعظم في تشييد المنازل بامتدادها مما كن أعفاد أرباب الحفائذ ونكي حديدنا الطلـه وقبيلة البلاد فاب فقد قامت هي الوسيدة في القرية التي بنيت من الطوب (٣) • واستعمل خورشيد خرائب سوريا لإمدادهم بالطوب فأوكل الشيخ عبد السلام زعيم المنارمة المنيين في حلة كوكو بترعيه إلى الخرطوم (٤) ولكن -مران ما أدى ازدياد الطلب عليه إلى قيام كمائن في كل من بمصرى والبريف (٥) •

(١) أبو حليم "مدونات عن تاريخ مدينة الخرطوم" ص ٨

(٢) المصدر السابق

(٣) الشيخ أحمد الكاتب المرونة • تاريخ طوب والسودان • مراجعة م • شبكية ص ٢٩

(٤) المصدر السابق

(٥) أبو سليم • "مدينة الخرطوم في التاريخ" • الخرطوم يناير (١٩٦٦) ص ٧

وقد صاحب اعلان الخرطوم عاصمة للبلاد توسع في المباني الحكومية ،
مبنى مشييد مستعرا للجهادية وبناها حكوميا الا انه ادم في عام ١٨٢٤
ليقوم مكانه آخر اكبر سمعة منه (١) . وقد شهدت تلك الفترة ايضا نشاء
مطبخا من قبل الاسالي لتدمير قوتهم وتجهيلها .

ويبدو ان زيارة محمد علي باشا المرتقبة في عام ١٨٣٨ قد زادت من
خطار المسوء ولين والاسالي لتدمير القرية في ابني حطلمها (٢) . فامتدت
من مرقع حديقة الجنان الاسالي الى مباني جامعة الخرطوم (٣) .

ولانت احياؤا : الامانة هي حي الحكمدارية الذي يقع شرقي المدينة
حيث يقع قصر الحكمدار الذي شيده ممتاز باشا (١٨٧١ - ٧٤) كمقر
رسمي للحكمدار على مقربة منه تقع السرايا وهي مقر الحكمدام الخاص . وكان
اول من شيده هو محبته الا ان عهد اللطيف بك (١٨٥٠ - ١٨٥٢) اعاد
بناؤه وبندده ممتاز باشا فيما بعد ثم اكمل في زمن اسماعيل باشا ايروب
(١٨٧٣ - ١٨٧٦) .

والى الجنوب من قصر الحكمدارية قامت مباني المديرية ، وهي تشمل
البريد والبرق والمالية التي نقلها غوردون اثناء الحصار الى القصر . وكانت
هناك ايضا مطبعة ملحق بها مصنع للورق (٤) وقد بدأ ممتاز باشا في

(١) الشيخ احمد كاتب الشوه ، تاريخ ملوك السودان ، مراجعة م . شبيكه ص ٣١

(٢) ابو سليم ، " مخطوطات عن تاريخ مدينة النرام " ص ١٠

(٣) ابو سليم ، " مدينة النرام في التاريخ "

النرام ، يناير (١٩٦٦) ص ٦

(٤) ابو سليم ، " مخطوطات عن تاريخ مدينة النرام " ص ١٠

تشيد مستشفى أدمه اسماعيل باشا ايوب فيها بعد (١) • وكانت شوشة
الحيش تقع الى شرقي المسرايا وأقيم فيها موسى للمسن رورشة لتسليحها •

اما حي المسجد فكان مرقعه الى الغرب من حي الحكمدارية وفي منطقة
سكية للاعبان وكبار التجار (٢) وهي مقربة من هذا قامت عائلة موسى بسك
التي جاء اسمها من اسم العقيد ارموس بن محمد (١٨٤٤ - ١٨٦٥)
باعتبار انه شيد اول منازلها (٣) اما اسما سلامة الباشا والنيه • وبسبب
عرباني فقد استوطنها فقراء الا الي (٤) •

وبسبب تلور الخراب المصاري تطور اقتصادي عام فالتحقت حركة
التجارة الداخلية والخارجية واتخذ عدد من التجار من المدينة موطنها
اهم • ففي حين كانت منطقة السوق تشمل حوالي العشرين بيتا فسي
اوائل سني الاحتلال (٥) نجد انها قد توسعت فيها بعد لتعمل منطقة
للأجناب وأخرى للروانيين امتدت كل منهما في مساحة اربعة فدادين (٦) •

وبدرا ان أهمية الخرطوم كمركز تجاري قد ساعدت في ابراز اسم

-
- (١) ابو سليم ، " مدينة الخرطوم في التاريخ " الخرطوم يناير (١٩٦٦) ص ١١
 - (٢) المصدر السابق ص ١٤
 - (٣) Stevenson "Old Khartoum 1821-1885" SNR, 47 (1966) P. 24.
 - (٤) ابو سليم ، " مدينة الخرطوم في التاريخ " الخرطوم يناير (١٩٦٦) ص ١٥
 - (٥) Stevenson, "Old Khartoum 1821-1885" SNR 47 (1966) P. 9
 - (٦) ابو سليم ، " معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم " ص ١٢

المدينة في الايام الدولية همار يغشاها كتيبر من الالافيين والشرقيين ولعل
 اول من دخل النروم من الالافيين هما النابطان ، قايسر (Caisson)
 وكادر (Cadeau) اللذان كانا في احدى فرق جيش اسماعيل
 باشا (١) ، يعتقد ان اعدادا اخرى قد دخلت البلاد بعد الفتح فحسب
 انه في عام ١٨٢٩ كان ثمة قنصل فرنسي مقيم في الخرطوم (٢) وقد مثل
 برينانيا قنصل سوري الاصل يدعى تاليل الكافي (٣) . وفي ١٨٤٨ وصلت بعثة
 الرسالية النسوية . وفي ١٨٥٠ تم تعيين البارون ميار (Baron willer)
 قنصلا للنمسا ، وعينت بريطانيا جون باتريك (John Patherick) مساعدا
 للقنصل . الان القنصلية قد انشئت في ١٨٦٤ عندما تواترت انباء عن
 اختار القنصل لبيتجارة الرقيق . هينت برينانيا بعد ذلك روست (Rosset)
 قنصلا لهما ، وتلقاه فافخا بارون الذي كان مراسلا لصحيفة التايمز في ذات الوقت .
 واقد بقى في الخرطوم وشهد الفد الفل من الدمار وفي سبتمبر ١٨٨٤ افتاله
 الماصير وهو في طريق هروته الى القاهرة . وقد توافد بعد ذلك مشلو كثير
 من الاقطار الى الخرطوم وكان بينهم معان من ايطاليا واليونان وايسرران
 وامريكا .

وتزايد عدد سكان المدينة طوال فترة الحكم المصري التركي فقد كانت
 بورفها عاصمة البلاد ومركزا هاما للتجارة تنم عددا كبيرا من الاجانب من
 المولفين والتجار .

واقد نشأت طبقة مهنية تشمل ارباء وقضاة ومعلمين مجاهات طلابهم

Hill, Egypt in the Sudan, p. 78.

(١)

(٢) ابو ماسيم ، " معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم " ص ١٩

(٣) سليمان كشه ، تأسيس مدينة النروم ، ص ٣٤

مع الفتح • كذلك جاء فلاحون من مصر لأرشاد المزارعين السودانيين إلى وسائل الزراعة الحديثة • وشمل مع هؤلاء الذين ازدهرت الزراعة منذ رات وبأفة السود ثم تبعتهم المندوبون والمهندسون والتجارون (١) ثم جاء النصارى لتسهيل زراعة تسليح السنن • وهكذا نرى أن المندوبين تفكروا في فترة الحكم التركي المصري • ولما للزنى في دواوين الحكومة مكتبة ومخبرين أو في الأعمال السرية •

هكذا أصبحت إلى السودان فئة قامت تجدد فيه ملاذا للتجديد من الترائب الباطنة التي تنبؤ في زمال الوادي بنسبة أعلى من أفي بنسبة (٢) •

وقد ورد عدد سكان الخرطوم بـ ١٥٠٠٠ نسمة تقريبا في ١٨٣٠ • ثم قفز هذا العدد إلى ٤٠٠٠٠ في ١٨٤٠ وإلى ٣٠٠٠٠ - ٤٠٠٠٠ في عام ١٨٥٠ وفي ١٨٧٥ قدره أحد الزوار بـ ١٠٠٠٠٠ (٣) • إلا أن آخر قدره في عام ١٨٨٣ بـ ٥٠٠٠٠ (٤) •

وبسبب أن هذا الانخفاض يعود إلى اندلاع الثورة المصرية حيث هجرت المدينة أعداد كبيرة من الأجانب والوهابيين •

لقد خلق الفتح التركي المصري الشرط والمزاج من قرية صغيرة أصبحت إلى عام ١٩٠٠ تتفتح ببعض مقومات الحضارة بمقاييس من تلك الأزمان • وقد تلمست الجهود تبذل على مدى السنين مما أصبح الشرط مقرا مرصدا للحكام والتجار وممثلي الدول الأجنبية ورسم هذا

Hill, Egypt in the Sudan, p. 48.

(١)

(٢) أبو مسلم • "معارف من تاريخ مدينة الخرطوم" ص ١٣

(٣) المصدر السابق

(٤) Stevenson, "Old Khartoum 1821-1885" SNR 47 (1966), P. 17.

فقد تضاربت الآراء حول نجاح تلك الساعي ، فوجدنا أحد الزوار بأنها
تتمتع بموقع ممتاز وأبيسة سا رة حيث ترفده لهم منتقى النيلين الأبيض
والأزرق ، وتبدو المدينة متحضرة (١) وخلق آخر بأن الخرطوم تكشف عن
ذوق مسمارى سي' لتحقيق شوارعها وعدم تناسق مبانيها ويذكره المقاييس
في وسط المناطق السكنية (٢) .

(١) أبو سليم ، " معلومات عن تاريخ

مدينة الخرطوم " ، ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق

المهدى من أبا الى الخرطوم

في عام ١٨٨١ تقادرت الانباء لرؤوف بانبا ، اعتمادا على
السودان ، بأن شيئا يدعى محمد احمد قد أعلن انه المهدى المنتظر
في جزيرة أبا (١) . ومن توه سار رؤوف بانبا الثامين صاتدة علماء
المدينة له تهل ان يعلن انه لن يتبارون في قمع مشيرى مثل : بذلالا (٢)
ومن ثم بعد ، بأحمد محاونيه ، محمد ابو السعود ، ليمود بالمهدى الى
الخرطوم بالتى في اسس .

(١) محمد أحمد بن السيد عبد الله ، ولد في حوالي ١٨٤٠ في جزيرة ابس
قرب دنقلا . هاجرت عائلته الى الخرطوم وراء البعث من جدان أغنى وأكثر رعا
لمناعة المراتب والنفس السبب وأصلت العائلة . هجرنا جذريا حتى استقرت في
جزيرة أبا حيث تتراجد دميات ونيرة من ششب الغابات . تلى محمد أحمد
تسلم القرآن في خلوة لـ رمال الدين وأبدى ميلا لـ زيادة الامتزادة من العلم
فالتحق بـ شيخ الامين الصويح . ثم ارتحل الى قرية الغميش حيث تقسم
خلوة شيخ محمد الفكيه والترب من بربر . ثم ما لبث ان تركه الى شيخ محمد
شريف ، نورالدايم واستكرمه الحقام أخيرا مع شيخ القرشي .

يبد وأن المهدى ، قد بدأ اتصالاته مع قبيل الاسلام ورجال الدين بسبب
وفاة الشيخ القرشي فكان يحدوهم عن تدوير التاليد الاسلاميه وأصول الدين ،
ثم قام برحلة الى كردفان وعند عودته منها أعلن انه المهدى المنتظر .

نعم شتير ، ١٢٢ - ١٢٣
Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p. 47
Shibeika, British Policy in the Sudan, pp. 12-20

Hill, Egypt in the Sudan , p. 164.

ويؤكد أن المشيخ محمد شريف، قد سبق أن لغت نظر الحكممدار
التي تطورت النشاط الذي يمارسه المهدى إلا أن هذا لم يسهه المستفادات
وأرجع امصاره محمد شريف، الى التطاحن التقليدى الذى كان قائما
بين الزالين (١) .

ولكن مهمة أبي السعود السلمية باءت بالفشل فأرسل رؤوف باناء
قوة عسكرية لتعبر المهدى على الانصياع له ففروا - إلا أن المهدى تمكن
من انزال نهضة ساحفة بهذه القوة في اغسطس ١٨٨١ (٢) .

وقد لاقت حملة حاتم فاشودة، راسد ايين، في ديسمبر ١٨٨١ نفس
صير قوة الجزيرة أبا (٣) .

وإن ان اعتبت نهضة الحكومة في محركتين متتاليتين تساعد كبير
في نهضة المهدى . ولم يجد رؤوف باناء - ينشد من الاتمال بسالفا رة
المبا للهنون (٤) ، كانت القوات المصرية في السودان تعتقرالى المفسدة
الحقيقية للمهدى لهذه الثورة التي ظهرت بواذرها انه ان غالبية افراد معا
كانوا من الباشوزق وغير النشالامين ، وغير المؤملين عمدريا . ولم تكن
تمة استعدادات لاخوض في معرب ما كان نطاقها . فشربت السلطات في
تشديد التعصينات في المدن الرئيسية على عجل ، فجاءت تحمل كثير من

(١) Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p.47

(٢) Shibeika, British Policy in the Sudan, p.25.

(٣) نسيم شقير، ص ٦٥٧

(٤) Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p.49

اللائحة الغنية أفقدت فوائدها الدفاعية (١) .

جند المهدي من ناحية أخرى ٨٠٠٠ مقاتل تقريباً وأحياناً من خزيته لراشد أيمن بكية من المال والسلاح والذخيرة . ثم دعم موقعه أكثر بانتصاره على يونس الشاذلي في مايو ١٨٨٢ فوجه بهذا انتصاره فاصحة للحكم التركي وارتفعت مصيعة إلى آفاق أبعد (٢) فقرر عدد مؤيديه إلى ما يتارب ٢٠ ألفاً وبدأ بعضهم يشعل نيران الثورة في مناطقهم .

أثبتت الحكومة في الغالب عند ان ما يجري في السودان - مصر أمر غير ورنم إذا اقتضت استجابة على إرسال فرقة من الزنج تمهت قيادة إبراهيم بك فوزي (٣) ولما بعد عادة في مثل هذه المظاهرات من تحديات وتبريرات فقد ارجعوا المهزلة إلى ضعف في الجهاز الإداري وليس لسوء الأداء الإداري ومن ثم استدعاء رؤوف باشا وميسر مكانه سيد القادر باشا سامي في صالح ١٨٨٦ .

حال وصوله السيد القادر باشا تعليماته لتسريع التحسينات في أن من الخوض ومنازلة البار والدريم والكثرة فخشوه (٤) . وقد بدأوا في القوات الموجودة في البلاد كانت حاضرة عن احراز أي نصر . فقرر سيد القادر باشا مطالبة للقاهرة لتساعده بأمران فائض الحامية فلم يجد استجابة إذا كانت الحكومة هناك تسعى آنذاك لابتعاد مني المشاة الداخلية .

(١) نسيم شقير ، ص ١٢٥ - ٦

(٢) Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p. 50

(٣) Shibeika, British Policy in the Sudan, p. 52.

(٤) Ibid.,

بعد ان خرم قوات الحكومة في ثلاث معارك قرر المهدى التقدم نحو قلب كردفان . سقطت بارا والابيض في يناير ١٨٨٢ وتحتكما الدراز الصغيرة المتناثرة في المديرية فاختصمت له بأسرها . ولم يبق في الانصار مقتصر على كردفان وعدة شيا ، فقد لوحظ انتشار موهبات من التمرد فليس في السلطة التردية في كل من بحر النزال والامدانية منذ ١٨٨٢ . وتأكدت نشاط اتباع المهدى في جهات متفرقة من الجزيرة . وثالث سنار في حالة حصار منذ بداية ١٨٨٢ وكسلا والقصارف في نزوح من ذات العام .

وفي أكتوبر ١٨٨٢ سقطت مواكن وانقطع الاتصال بين المرائي وقري . بيان البحر الاحمر ووقع طريق مواكن -- بربر في قبضة الانصار .

واعل محكم الخرطوم خضوعهم على القاهرة لتمدد بم الجند -- ود والعتاد لوقف تيار الثورة . ولم تكن حكومة احمد يوى في موقف يسمح لهما بذلك . فقد كان الجيش الجديد لمسي اطي جراحه من التكوين

ولم تكن بريطانيا لتسح بايحاء اى وحدات منه الى السودان . فاعطرت الحكومة الى ارسال فلول جيمس فراي المسح . ولم يكن لبربر ولا رغبة في القتال نقاورا اعادة تبنيهم فخرطوا الى السودان فتوة (١) .
وكان ان دني هذا البشير الذي قاد واحد النباط البشيلانيين المتعادين -- هكس باشا -- بـ زيمة -- لقة في الناصر من نوفمبر ١٨٨٢ قتلت على جميع افراده تشرييا وكان أن ادت هذه الزيمة الى انهيار الحكم المصري في كل من دارفور وبحر النزال مباشرة (٢) .

وقد شاعفت ثقة المهدى في نفسه ومقاتليه بعد ان انزعم امامه

(١) Shibeika, British Policy in the Sudan, p. 46.

(٢) Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p. 66.

ذاك الرئيس الذي يتوده ضابط بريلاني بمساعدة مجموعة من الضباط الأوروبيين والأتراك . كان واضح أنه يملك القدرة ليس فقط على العبث بسلاسل بكاملها إذ أن هذا لا يعني أكثر من التصدي لاحتياجات صغيرة تنضم في مجموعها الباسبورين ويغير البادية . فانتشرت موجة من الذعر في الأوساط الرسمية وأيتسوا أن الزارام بلا مد ستكون هدف المهدى في القريب فانتقلت خطة ترتيبات لتقوية وسائل الدفاع في المدينة .

فانت خطة المهدى في متاعرة المشركين حتى التسليم . وبدأت أطول مراحل الحصار في مطلع ١٨٨٤ بنشوب ثورة الأتالي الذين استنفرهم المهدى في شواني الزارام . برصاص محمد عثمان أبو قريته علي رأسه فقاتليه في يونيو بدأت المرحلة الثانية من الحصار (١) ثم أوفد المهدى بعد ذلك بحيد الرحمن النجومي فباشرت قواته من تولي حصار الزارام وطارت مزيدا من الضغط

(١) محمد عثمان أبو قريته ، دنقلاوي يعتقد أنه كان يسكن في المشركين ويحمل " نوتيا " في مركب تخفى محمد الحقد ، انضم الوالانصار واشترك في معارك شيطان وشمال النوبة .

أوفده المهدى ليتم تسليم صالح الملك في فداسي طين يديه ثم سار إلى الزارام ووضع معارضا وأجيب دوا رئيسيا في أحداث ذلك الوقت في شرق السودان في زمن الخليفة عبد الله ولكنه أمته دعي إلى أم دربان بسبب الخلافات التي نشبت بينه وشمال دقة .

انضم بالاتصال بالاطالين وأبعد إلى الرباط . أطلق البلجيكي مراديه سار إلى دارفور ثم عاد إلى أم دربان بقي فيها حتى تمسك وفاته ١٩١٦ .

Hill, A. Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan, P. 279.

عليها فدخل المعسكر بهذا المرتلة الثالثة (١) وفي أكتوبر ١٨٨٤ حصل
ركاب الممدى تصحبه جميع مؤيديه فتخلفوا من السيطرة على كسمسمل
المناطق المحيطة بالعاصمة ويقروا في مواضعهم تلك حتى تم إخماد
الاستيلاء على المعسكر .

(١) عبد الرحمن النجومي ، جنلي ، انضم إلى الممدى في ١٨٨١ ،
شارك في معارك كردفان وبعد ضمّان قاد الحملة التي يبرزها الممدى
عند جبل الدامر ، لعب دورا بارزا في مسار الخطوط وبعد سقوطها تمسك
عملية الانقاذ إلى أن وصل بربر وأخذه أسدعي ثم عاد إلى الشمال مسيرة
أخرى ليقود جيشه الذي انضم في جنين . تماد السلطة التي كان مقرا
لها أن تغزو مصر فتمدت إليها قوات بربر و قتل النجومي في معركة
توشكي في أغسطس ١٨٨٦ .

Hill, A. Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian
Sudan, P. 17.

الفصل الثالث

مهمة فوردون وخطته السامية

جاء الاحتلال البربراني لحدس في سبتمبر ١٨٨٢ ليخلق له ازمة في كيفية التمديد للمسئلة التي نشبت في السودان انه لم يجد التديسوري وحكومته ما السلطة صا حبة العمل والعقد بل اعني لزاما عليه ان يستشير جهات اخرى قبل اتخاذ خطوة ما .

ولقد اتصت رتبة السلطة لتشمل مندوب المديوب البربراني ، أفان بيرنج ، وخزومة عا حبة الجلالة نفسها . ويتحدد مراكز السلطة تتحدد المتطلبات حول الرسمية العثلي لحل ازمة السودان . كانت كل جهة تحاول ربح الحس بآرونها ومعالجتها الخاصة ، فبان لا بد من الدراسة البادة المتأنية للموقف بدل متالباته حتى يحد الاتفاق حول سياسة موحدة وانحة المسالم . بيد ان شيئا من هذا لم يتم تتباينت وجهات التدافع واختلعت الاراء بالصورة التي سيتم عرضها في هذا الفصل .

ثبت لمراد السلطة ان نفوذ المهدى آخذ في الازدياد ولم يكن هناك بد من سحب الرأيا من يند رمدنيين من البلاد . في نهاية عام ١٨٨٢ بدأت المشاورات تدور حول النية التي سيتم بها الانسحاب ورغم ان الاتفاق قد تم آخر الامر على اختيار فوردون المخلص بالسردان الا ان الصحاب التي اعترضته فيما بعد كان مردا بدرجة كبيرة الى الاسلام الذي حولت به المسئلة من اساسا فصولا بديز بالارتجال واقتصر للدراسة الموضوعية .

المهمة غوردون

ولمصل اولى القضايا التي مولجت بهذا الاسلوب في المهمة التي بحث غوردون للسودان من اجلها . فمن جهة تعتقد انهم انمشارية بعثة ه التي طرف آخر يعتقد من البداية انما تنفيذية من الدربة الاولى ه التي مهمة ثالثة درست على تدير مونغنا بين هذا وذاك .

ويبدو ان هذا التضارب في الاراء يعود الى الدوافع والمقدمات التي صاحبت اختيار غوردون لتلك المهمة .

في مالى نوفمبر ١٨٨٢ قدم وزير الخارجية البريطاني ه برانفيل (١)

(١) جرانفيل جون ه ايفسن - جاور (١٨١٥ - ١٨٩١) من زعماء حزب الاحرار شارك هارفلتون في ثابته عند تقاعد جلاد مستمرون وانسحابه من الحياة العامة في ١٨٧٤ ولئن عند انهزام حكومته الما فلان في ١٨٨٠ نودي بجلاد ستن ليشكل حكومة من الاحرار فسنل برانفيل فيها منصب وزير الخارجية ه عمل جرانفيل مع زملائه مسؤولية مقتل غوردون في الخرطوم وشيخ الحاميات ورغم ان الحكومة قد استقالت في ١٨٨٥ لفشلها في كسب التأييد الا ان لامر يتصل بالميزانية الا ان السبب الحقيقي كان في سياستهم نحو السودان ه وفي وزارة جلاد ستن الثالثة عين جرانفيل وزيرا للمشتريات وبعد خروج تلك الوزارة من السلطة بقي زعيما لحزبه في مجلس اللوردات حتى وفاته D.N.B., P. 3326.

اقتراحا الى رئيس الوزراء جلال ستون (١) يردى الى ايضاح غورديون الى
" مصر " دون ادنى تحديد للدور الذى سيلعب به (٢) وجاء هذا
الاستراح فى وقت لم تكن فيه بريطانيا قد قررت شيئا عينا يختص بالسودان
بعد . بل ستنهض حالة لانتلاخ فقط ام الاستثناء عنه كلية ام ستترسل
قوات انجليزية لاحتلاله ؟

ولقد كان واسعا لدى الرأى السام المبرم انى ان المصروفات حسب
المقترحة على سياسة التسرد هذه وجد ونجوة ، ومن ثم وجبت خصومات
نقد عنيفة للحكومة من الدوائر الشعبية والبرلمانية علالها باتخاذ
موقف حاسم وهاجل ويبدو ان براغيل تقدم باقتراحه لارسال غورديون ليحاول
التخفيف من حدة ذلك الهجوم ، فمى ليست خطوة ايجابية فحسب بل
ان الدبرال كان يمتنع بمهمة وثيقة لى كل من مصر وبريطانيا ، وتعيينه
بلا شىء سيعتبر انية بنوعين الرنا والاحتضان لى البلدين (٣) وبعد
ان تأدى براغيل من موافقة جلال ستون ، أبرم بيرنج يسأله اذا كان

(١) جلال ستون ، راسم - اوارت (١٨٠٩ - ١٨٩٨) زعيم حزب الاحرار ،
جاء للحكم عام ١٨٨٠ بعد تنزيمه المحافظين بقيادة د. زوايلي . رغب
فترة حكمه تم التصديق المصبرى لثورة مراهي في مصر في سبتمبر ١٨٨١ .
كرسى جيمه وزارته للالعلاج البرلمانى الذى كان على حساب الاهتمام بشدة
السودان فخطروا لى اتنا ان الدعاوات المالية فى الوقت المناسب لانقاذ
غورديون . انتمت حكومته بعد عدة اشهر من سقوط النورلهم ولأنه عمسار
مرة اخرى فى ١٨٨٦ لبقى لفترة قصيرة
D.N.B. p. 4001-2

(٢) براغيل الى جلال ستون ، ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢ . B.M. Add. MS. 44176.

(٣) براغيل الى جلال ستون ، ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢ . B.M. Add. MS. 44176.

بالامكان الاستفادة من غوردون وكيفية هذه الاستفادة (١) هيكلين ان يستشف من هذا ان المرحلة التي ستوكل لغوردون لم تتحدد لدى برانفيل بعد .

سارع بيرنج ورفقته بهذا العرض الا انه لم تضر ثلاثة ايام بينت حتى بحث برسالة يطلب فيها الموافقة على تعيين أحد النواب البريطانيين للعمل في السودان وتجنب الإشارة الى امكانية شغل غوردون لهذا المنصب (٢) .
• وتجدد الملاحظة هنا انه حتى هذه اللحظة لم تكن خطتهم لحصر السودان قد اتخذت شكلا نهائيا واضحا .

وفي مطلع يناير ١٨٨٤ استقر رأي بيرنج والحكومة المصرية على اغلاق السودان . تبعث لوزارة الخارجية البريطانية بنص برقية كنان دي كتلوجي (Do Costlogon) قد بحث بها للخديوي مسـسـن الخطط وفيها يحثه على ضرورة الاسراع باعداد تعليمات الانسحاب مباشرة ، ان ان البلاد باكملها قد اعلنت الحرب ضد الحكومة المصرية التي لا تملك الامكانيات الدامية لمواجهتها . ون ثم ارفق بيرنج مع هذه البرقية نسخة مذكرة جاء فيها " ان التعليمات الاولية قد صدرت للاستعداد للانسحاب ، سيصل وزير الخارجية الجديد غدا حيث يكون بالامكان اصدار تعليمات مفصلة للاغلاق " (٣) لسم يشربيرنج هنا الى امر النواب البريطانيين الذي سبق ان طلبه ، ربما لانه كان يأمل ان يوكل بالمشقة التسمي عدد من المنساقين لاجل القادريانما ملهي وزير الخارجية المصري الذي جاء ذكره في المذاتية .

(١) جرانفيل المني بيرنج ١ د سبتمبر ١٨٨٢ Bz, Add. 5.44176

(٢) بيرنج الى جرانفيل ٢١ د محبر ١٨٨٣ Egypt, No. 2

(٣) بيرنج المني جرانفيل ، ٦ يناير ١٨٨٤ Egypt, No. 1

أعقب هذا اقتراح من جرانفيل يعرض فيه اسمي غوردون وتشارلز
ولمن مستشرا عما اذا كان هناك سبيل لاستخدام اي منهما (١) ويبدو
ان بيرنج قد فهم من هذا ان وزير الخارجية يسعى لايجاد احد هـــــــــــــ
تجادة عملية الانسحاب . وما انه كان يكره في اعداد المهمة لمصير
القادر باشا فقد جاء رده للمرة الثانية بالنفي (٢) . بعد ثلاثة
ايام بحث اليه برسالة جاء فيها " سيمتنع عن القادر باشا الذي
الذي لم يدرت التعليمات لاختلاف النساء والامال . . الخ . . .
وسيمتداه منار الى الخراف " (٣) . في نفس اليوم استشار جرانفيل
رئيس الوزراء في امر تعيين غوردون المهمة . وفي نفس اليوم قيادة الحاميات
المنسحبة ، ان انه كتب يقول " علينا ان نمتنر غوردون اذا كسبان
بامكانه ان يستغل نفوذه الشخصي وسط الثبائل لتأمين انسحاب الجند
والانجلي من الشرط الى سواكن " (٤) .

تجاهل جرانفيل رفض بيرنج عندما طلب منه امتخدام غوردون
مرتين على التوالي . هذا الى مشاجرة قديمة بين الرجلين (٥) .

وفي ١٥ يناير امرت جلاد متون وزير الخارجية مسيرا عن تأييده
المطلق لكل مقترحاته (٦) . ان كان قد كان جرانفيل يأمل في ارسال
غوردون في مهمة تنفيذية . ولكنه عندما ارسل اخطارا لبيرنج بهذا حدود
له مهمة غوردون بصورة مزايرة تماما لتلك التي اوضحها لرئيس الوزراء . فقد
ذكر لبيرنج ان ايفاد غوردون قد يساعد في جمع معلومات عن الموقوف

Egypt, No. 2.

(١) جرانفيل الى بيرنج ١٠ يناير ١٨٨٤

Egypt, No. 2

(٢) بيرنج الى جرانفيل ١١ يناير ١٨٨٤

PRO, FO No. 21

(٣) بيرنج الى جرانفيل ١٤ يناير ١٨٨٤

BM, Add. MS. 44547

(٤) جرانفيل الى جلاد متون ١٤ يناير ١٨٨٤

(٥) المصدر السابق

BM, Add. MS. 44547

(٦) جلاد متون الى جرانفيل ١٥ يناير ١٨٨٤

الراشدين في السودان (١) . هناك عاملان يحتمل ان يكونا السبب وراء هذا التفكير المفاجيء ، اولهما من الجائزان يكون جرانفيل قد تسام رسالة بيرنج التي اُعلن فيها تعيين عيد القادر باشا بحد أن بحث بمذاكرته لبلاد مستون ومن ثم عهدا فاد غوردون في مهمة تكميلية لخدمة عيد القادر باشا . اما العامل الثاني فهو المقابلة التي تمت بين غوردون وولزلي والتي أوضح فيها غوردون انه لن يحتال ان يتقدم بأية توصيات دون الاطمان بأطراف القضية في مرقسها . فمزوانن يرفض ان يقوم بعملية تنفيذية ويعوض خدماته لدراسة الوضع قديا وهذا بالضبط هو المفهوم الذي سنده جرانفيل في رسالته لبيرج . وهذا يعني ، من ناحية اخرى ، أن التوصيات التي يقطن ان يرفسها غوردون قد تتعارض تماما مع سياسة الاخلاء التي سبق أن اقترها الحكومة ، والتي اعتبرت غير قابلة للنقض . ومن هنا اتجه تفكير جرانفيل ليكسب المشيئين ، ان يرسل غوردون للسودان لا لمتقدم لهم بمقترحات حول كيفية حل المشكلة ، بل ليقترح لهم داخل الاطار العام لسياساتهم في الانسحاب ، فحجاث التعليمات لغوردون ليقرر لهم افضل السبل التي يمكن اتباعها لتأمين انسحاب الداميات المصرية في سلام (٢) .

فان بيرنج بوصفه الرجل الاول الذي يقع عليه عبء مسؤولية المشكلة أكثر احساسا بخلورة الوضع واكثر دراية بمتطلبات الموقف من حكومته ، فكان رأيه اعمم ليسوا في حاجة لاي معلومات عن كيفية تنفيذ عملية الاخلاء بل ، من في حاجة الى من يقود العملية مباشرة ، فالامسور تتلور بسرعة مذهلة ومن الضروري الشروع في التنفيذ والا ضاعت فرصة وسايا الدولة المصرية في الفجأة .

رفق عبد القادر باشا على المنصب الذي عرض^{عليه} وقد تم
بحث بيرنج برمسالة الى جراففيل موجهة من الحكومة المصرية فساد بها
ان هذه الاشيرة " مستعسر بالامتنان اذا اعارتمها بريدانيسا احمد الشهاب
المؤيد ليس ليقيم بالمهمة التي رفضها وزير الخارجية ، وسيجلى سبلات مدالقة
عسكرية ولدنيسة لتنفيذ عطية الانسحاب" (١) . وفي ذات اليوم تسلم
بيرنج برتبة من جراففيل مقترحا تعيين غوردون للمرة الثالثة . فصار
كان معه الا ان اجاب بأن غوردون هو الرجل المناسب تماما ليس للمهمة
التي حددتها جراففيل في رسالته السابقة وانما كيديل لوزير الخارجية ولا
بد ان الحكومة البريطانية قامت على علم بأن مهمة وزير الخارجية بمصر
مهمة تنفيذية ولا مجال هناك لرفع توصيات او تقديم معلومات .

ان بحالفة تعليمات غوردون بعد يومين من استلام رسالته
بيرنج وشهد يدنا لمهمته بأننا تقريرة فقط ، تكشف انهم قد تجاوزوا تلك
الرسالة تماما . وقد ارفق جراففيل مع تعليمات غوردون مذكرة السن
بيرنج يقول فيها انهم قد ارجعوا غوردون لعدم علم بمعلومات . ويبدو ان الحكومة
البريطانية ارادت التحقق في هذا الامر انه في حالة ايفاده في مهمة تنفيذية
سيكون لزاما عليهم مساعدته بكافة الوسائل حتى يتم تنفيذ تلك المهمة .

اما المهمة التي وافقوا عليها كتابة في تعليماتهم فهي تلزمهم فقط
بضمان سلامته شخصيا ، ولعل هذا يفسر لنا وجود السفيرة التي تنزعها
ان ينفذ غوردون اي مهام توكل اليه من قبل الحكومة المصرية ، ولم يكن
سرا ان الحكومة المصرية ستعتمد اليه بقيادة عملية الانسحاب .

وقد وافقت الحكومة البريطانية ضميا على هذا ولذا يصبح

(١) بيرنج الى جراففيل ١٦ يناير ١٨٨٤ Egypt, No. 2

الصعب وجود تفسير للزراء التي تضمنت في التعليمات ، فريم يبعثون
بغوردون ليعدهم بمعلومات عن أفضل السبل لتنفيذ الاشغال من ملزم نفسي
ذات الوقت بأنه سيقوم بهذه المهمة فور وصوله * ولعل الحكومة البريطانية
ارادت ان تحفي نفسها من المصروفات فأتت للمهمة المصرية او تخشى
غوردون ليعتد تلك المهمة وتتعمل في بالتالي التبعات المترتبة على هذا
دون ان تمنح بالحكومة البريطانية في المسألة *

وضح بيرنج تعليمات جرانفيل جانبا وأخبره في رده عليه أن
الامراء قد صدرت للجهات المعنية لتعمل على ترسيم المدنيين التي يزر
وأوضح ان واجب غوردون سيكون أساسا تنظيم عملية الانسحاب (١) ، ان
قد كان بيرنج يراه في مهمة غوردون من البداية الى النهاية عملية
تنفيذية بحتة وقد جاءت آراءه الممنعة في رسائله منذ التاسع من
يناير ١٨٨٤ تتوافق تماما مع هذا الفهم * اما جرانفيل فقد اقترح
في بادئ الامر مهمة شاملة غير واضحة المعالم ، ثم عاد فحدد لـ
لمهمة تنفيذية وانتمى بمهمة تقريرية * اما غوردون فرغم اعلانه
بأنه لن يتطوع ان يقدم بتوصيات دون مراجعة الموقف على الطبيعة
سرهان ما اتخذ موقفا مخايلا * فبعد اربعة ايام من مغادرته لبريطانيا
كتب مذكرة مطولة مفادها ان مهمته هي تأمين اشغال المدنيين والجند
من تلك البلاد بسلام (٢) وقد كان من جراء هذا ان ام تناقش المهمة
بوصفها هذا على أي مستوى في بريطانيا قبل مغادرة غوردون ، اذ كان
شواالحكومة البريطانية يعتقد ان أنه مبدوء ليرفع لهم تقرير سررا
فقط *

Egypt , No. 2

(١) بيرنج السن جرانفيل ١٩ يناير ١٨٨٤

Egypt, No. 7.

(٢) مذكرة غوردون ١٦ يناير ١٨٨٤

اشغاله السودان :

لمعمل تضارب الآراء حول المنحة نفسها ، والنتيجة المنطقية للاستلزام الذي عولجت به طبيعة مرمقة غوردون • فبعد رجوعه الى القاهرة تم الاتفاق ، بصورة عامة ، بين الادارات المعنية على ايفاده ليشمل السودان دون التعرض للتفاصيل هنا ، اي هل سيغطي كل الحاميات التي ما زالت صاعدة في وجه قوات المهدي ، او انه سيغطي حاميات بعينها ، وما سي بهذه الاثيرة ؟ وهل تشمل العملية كل المدنيين ، او فئسات مشرم ، او اولئك المقيمين في مدن معينة ؟ كانت كل جهة تحمل اقتسارا خاصة فيما حول هذه المسائل ، الامر الذي ادى بصورة مباشرة الى بقاء غوردون داخل استحكامات الخرطوم عاما كاملا محاولا ان يعمل مسج الاطراف المعنية الى اتفاق ، في حين استفاد المهدي من عامل الزمن وعند ملاقاته حول المدينة •

تضاربت الآراء منذ البداية حول موضوع الاشغاله ، ففي الفترة التي كان جبرائيل يدعو فيها الى ايفاد غوردون لقيادة عملية الانسحاب ، كان من رأيه ان تشمل العملية كل الحاميات الموجودة داخل السودان باستثناء موانئ البحر الاحمر (١) • وقد قدر عدد جند الحاميات في ذلك الحين بحوالي ١٥ الف ، وكان توزيعهم في اواسر

.....

(١) جبرائيل السبي بيمرنج - ٤ يناير ١٨٨٤
Egypt, No. 3 Enclosure 209

١٨٨٣ كالاتي : (١)

٨٩٧	دسقلا
٦١٦	بريد
٢٤٩٠	الشرط
١٢٥٩	كسلا
٣٨٦١	منسار
٥٩٣	قلايات
١٠٨٧	الدوم
٥٠٠	الكسوة
٢١٣١	فشمودة
٨٨٦	بعر الخزال

وبعد وان الحكومة البريطانية قد باتت تعتقد بحد ارسال غوردون
ان مهمته التي سيجب جميع الحاميات ان يخرج رئيس وزرائها في مجلس
الخميس بان غوردون سيعمل على اخلاء حوالي ٢٩٠٠٠ شخص (٢) •
ولعله يدير هنا الى الخمسة عشر الف جندي بالانفاة الى عدد مماثل
من المدنيين • كما اعلن احد اعضاء تلك الحكومة نورث برونك في وقت
سابق ان عملية الانسحاب ستشمل كل الحاميات الموجودة داخل القلعة (٣) •

(١) تقرير من بيرنج الى برانفيل ٣ ديسمبر ١٨٨٣ نشر في التايمز
١٨ فبراير ١٨٨٤ •

(٢) هانارد جلالهستون Hansard, Parliamentary Debates Vol. 284. P. 724.
(٣) نوت برونك الى بيرنج ١٣ ديسمبر ١٨٨٣ • PRO, FO/633 No. 6.

اما بيرنج فقد أبدى تناقضا ملحوظا في آرائه فيما يتعلق بسياسات
الحاميات يجب سعيها . ففي الثاني والعشرين من نوفمبر ١٨٨٣ بعثت
برسالة الى جبرانفيل يقترح فيها ان تشمل عملية الانسحاب شامية الخرطوم
والمراكز المجاورة بالانعانة الى التجار الاوربيين والقساوسة الكاثوليك الموجودين
في الشامعة (١) . ومن الصعب تشديد اي الصرائير على سياسة
انه يشير الى سياسات الجزيرة المصرية المنتشرة جنوبا الى جزر الدويسم
والكويت ومن المستبعد ان تكون شامية سنار داخل هذا التعريف ، ان
قدر العدد الكلي بحوالي ٦٠٠٠ نسمة (٢) ولكنه عاد وغير رأيه بعد حوالي
شهر من هذا ان بات يعتقد ان الناباط البريطاني الذي سيؤخذ من
السودان سيغطي سياسات كاملة ليقوم باحلال جميع الحاميات (٣) . ويستقر
بيرنج بأن هذه العملية ستكون شاقة معقدة ، وان سحب حاميات سنار والخرطوم
وسدنها سيجلب مشاكل لا يحصرها .

ولعله لهذا يقترح ترك الحاميات النائية في أماكنها ان افرادها
لا يتعرضون لخطر مباشر فهم قد استوطنوا في تلك الاسواق وغلبوا علاقات
ود مع الانجليز (٤) . ومن الجائز ان يكون رأى بيرنج قد استقر اخيرا
على سحب حاميات الخرطوم والجزيرة وسنار الا انه لم يشر الى هذا من قريب
او بعيد في التعليمات التي صدرت لفرودون من القاهرة .

اوضحت تلك التعليمات ان الخديوي له رغبة اكيدة في بديل
كل ما يمكن من جهد لاختلاء وسياسات الحكومة المصرية دون اراقة دماء

(١) بيرنج الى جبرانفيل ٢٢ نوفمبر ١٨٨٣ PRO,FO./633 No.14.

(٢) المصدر السابق

(٣) بيرنج الى جبرانفيل ٢٢ ديسمبر ١٨٨٣ Egypt, No.1.

(٤) بيرنج الى جبرانفيل ١٤ يناير ١٨٨٤ PRO,FO./633.No.12

ولم تعدد بالتالي أماكن أو فئات معينة (١) • ووصف لربان القميين مائة غوردون بصورة فضفاضة هي اختلاء السودان وسحب البند المصري من دون التدخل في التفاصيل (٢) •

اذن فقد كانت السياسة المقررة في بادئ الأمر هي سحب كل الصلاحيات المصرية في السودان وقد أكد هذا اقتراح بيرنج فيما بعد الرأي إلى التوضيح بصلاحيات سنار وحز الخزال والاستوائية اذا ثبت أن هناك امتمالة في اختلائها (٣) • وهذا يعني أن الخطة الأولى كانت تدرجها وقد كان غوردون يحمل هذا الرأي منذ أن صاغ أول مذكرة له فمسي ٢٢ يناير ١٨٨٤ (٤) • وقد جنسات رسائله من الخرطوم تحمل التزاما بتلك السياسة •

وفي مطلع مارس ١٨٨٤ بحث لبيرنج برسالة يقول فيها أن اختلاء الخرطوم مباشرة لن يكون في مصلحتهم • إذ أن سقوطها في أيدي الانصار سيكون خطيرا وسيحذر وفقا لهذا سحب البند والمدنيين من كسلا وسنار وحز الخزال والاستوائية (٥) وأوضح له أنه لن يصادر السودان حتى لو تم استدعاءه الا بعد ان يتأكد من ان جميع الرعايا الاجانب قد غادروا البلاد (٦) •

(١) بيرنج إلى جرانفيل ٢٨ يناير ١٨٨٤ Egypt, No. 6

(٢) بيرنج إلى جرانفيل (التذييل إلى غوردون باشا ٢٦ يناير ١٨٨٤)
Egypt, No. 12, Enclosure 15

(٣) بيرنج إلى جرانفيل ١٤ مارس ١٨٨٤

(٤) مذكرة غوردون ٢٢ يناير ١٨٨٤ PRO, FO. 78/4194

(٥) غوردون إلى بيرنج ٣ مارس ١٨٨٤ Egypt, No. 7.

(٦) المصدر السابق PRO, FO. 78/13668.

وقد كان هذا رأى غوردون من البداية الى النهاية ولم يعترض عليه بيرنج ولا الحكومة البريطانية ، اذن ليس هناك أساس مقنع لقول بيرنج ان غوردون قد حور في مضمون تعليماته لتتناوب ورفقاته الخاصة وان مهمته كانت تقتصر على محبب عامية الخرطوم وبذل ما يمكن من جهد لمبسيقية الحاميات (١) . هذه بالتأكيد لم تكن السياسة التي سبق ان اعلنت وشهد غوردون بتنفيذها ووافق عليها بيرنج والحكومة البريطانية . حقيقة لقد حدثت مراجعة للموقف فيما بعد عندما خابهم غوردون باستحالة اخلاء جميع المناطق دون عون عسكري وسياسي من الخانج . أعلنت بريطانيا عندئذ اعتراضها على ارسال أية قوات للسودان ، ووجهت غوردون السبب قيادة عامية الخرطوم شخصيا الى بربر مباشرة (٢) . وكان رأيهم انه اذا تمكن غوردون من سحب حاميات الخرطوم وبربر ونفلا سيكون هذا في ذاته مكسبا كبيرا (٣) . ولكن غوردون رفض هذه المراجعة وأعلن انه لن يفادر البلاد متى يحصل على كل شخص يفتني العودة الى مصر الفرصة ليفتحسب هذا (٤) . وأصبح اعتقاده انه ملتزم امام الحاميات بالسعي لاجلائها فبات الامر بالنسبة له اخلا لا بالوعد الذي قطعه وسألة كرامة وسمعة شخصية . ولقد نتج عن هذا الموقف المتعقد من الاسلوب الذي هيمنته به تعليمات غوردون فلم تعد له مهمته بوضوح ولم تبين له أي جزء منها يعتبر رئيسيا واجبا قانونيا .

(١) بيرنج ، تعليقات في كتاب مورلي " حياة جلاستون " PRO, FO/633

(٢) جرانفيل الى بيرنج ١٢ مارس ١٨٨٤ PRO, FO/78/3669

(٣) جرانفيل الى بيرنج ١٤ مارس ١٨٨٤ PRO, G/D.29/I62 NO.37

(٤) Journals of Gordon, Vol. VI, 9th November 1884. (٤)

مستقبل السودان السياسي

لن يكون يؤول الحكم في السودان بعد انسحاب المملكة المصرية ، تلك هي المسألة الثالثة التي انطلقت حولها الآراء وتباينت ، ففرم انه كسان هناك اتفاق بضرورة عانة على ضرورة ايجاد حكم بديل موافق لضرورة ما للحكم الانجليزي المصري ، الا انه لم يكن هناك اتفاق على أهمية هذا بالنسبة للأغلاء ، ولاى منهما تعالى الاسبقية وكيفية تدعيم الحكم الجديد ، بل مستوفين من خلال معركة ام بالرسائل السلمية ٢ .

ولعل عدم الوضوح هذا ، يحود الى أن موضوع التسمية السياسية قد عولج بضرورة متقطعة وغامضة ، لوال الوقت ، ففي مناقشات نوفمبر ١٨٨٢ لم تبد أى اشارة الى ضرورة ايجاد بديل للحكم المصري عند انسحابه . ذكر بيرنج بهذا لأول مرة في رسالته المؤرخة ٢٢ ديسمبر ١٨٨٢ (١) .

لم تعلق الحكومة البريطانية على هذا ، ربما لان القضية الباصرة والعاجلة التي كانت تشغلهم في ذلك الحين هي ماذا هم فاعلون بالسودان اذ ان سياسة الاغلاء لم تكن قد تقررت بعد . رثي ٤ يناير عند ما قسمروا الانسحاب لم يرد أى تعليق على مسألة المستقبل السياسي (٢) ، ويبدو ان رأيهم كان نحو الاستغناء عن السودان بعد اغلائه . حتى ان التركيز كان على الجنرال الذي سيقود عملية الانسحاب (٣) ولم تجد مسألة الحكم اهتماما في هذا النارف بالذات لان الانباء التي كانت تتوارد من السودان

(١) بيرنج الى برانفيل ٢٢ ديسمبر ١٨٨٢ Egypt, No. 1

(٢) برانفيل الى بيرنج ٤ يناير ١٨٨٤ Egypt, No. 3, Enclosure 209

(٣) الرسائل المؤرخة ١٠-١١-١٤-١٥ يناير المتبادلة بين بيرنج و برانفيل

تذكر بأن شراً مستديراً قد يلحق بالرحايا ويهدد ديارهم بمصير يشابه ذاك الذي انتهى إليه جيش نكس باشا .

كانت القضية الحرجية كيفية انقاذ هؤلاء ، ومن الذي يتولى المذمة ؟ حسنت رسالة بيرنج بتاريخ ١٦ يناير امر القائد وأوصت انه سيتولى عمال-يات عسكرية ومدنية لينفذ الانقاذ ولا شيء غيره ويبدو أن اقتراح ٢٢ ديسمبر تمسك في ناحية الخسائر في الوقت المتأخر ولعله من الطبيعي ان تأتت تعليقات لندن التي صيغت بعد يومين من هذا سألية من اية اشارة المسن مسألة الحكم . ولم يكن ثمة تشكيك في كيفية ملء الفراغ السياسي الذي سينتسج بعد انسحاب السلطات المصرية من البلاد (١) .

جاء غوردون ليخبر لاندوغان مرة أخرى مسألة مستقبل الحكم في السودان ، فأورد في مذكرته المؤرخة ٢٢ يناير ١٨٨٤ اقتراحاً يقضي بتسليم السلطة في السودان لاولئك الاشخاص الذين كانت عائلاتهم في الحكم عند فتح محمد علي باشا (٢) ، وقد وافقت الحكومة البريطانية على هذا من علمسي الفكرة رغم ان المشروع كان يفترض الدراسة الجادة المتأنية . ولعل التخيير الجوهري الذي طرأ على سياستهم المتعلقة لم يعد غالياً على احد . فقبول هذا الاقتراح يعني ان سياستهم نحو السودان لم تعد الا استغناء عنهم ، بل اخلاء الرحايات الجانب من جنود ومدنيين وتخصيص حكم السودانين يدبرون لهم بالولاة وعافلون على بقايا النفوذ الانجليزى المصرى ولو بسرية تكميلية .

ولا يجب ان يخذلنا تصريح رئيس الوزراء البريطاني تحليقا طموح، الثورة الهندية بأن السودانيين يكافحون من اجل الحرية ولهم كل التمسك في هذا (١) . لقد جاء هذا القرن اثناء مناقشة مسألة ارسال قسوات للسودان للعمل على انقاذ المصالحات ، ولقد رقت الحكومة البريطانية بضائبة عند هذا الامر فجاءت قوله -بالادستون- لتبرر هذا الرضى ، ان لا يستقيم عقلا ان تهمش بقوات لتعارب مواطنين يكافحون لاسترداد حريتهم . الا ان التناقض الواضح يكمن في مراعاة الحكومة البريطانية على اقتراح غوردون الرامي الى خلق طبقة حاكمة جديدة في البلاد ، هذه الدجبة قد تفسر عن عرضا على المواطنين الذين هناءم جلاله ستون بعديته . ليس هذا فحسب بل ان الحكومة البريطانية قد وافقت على كل المفاوضات التي اتخذت في القاهرة لخلق مراكسز نفوذ منبادة للمهدى ، وأعلن نورت برك أن انجح وسيلة لايقاف زحف المهدي هي وضع حكام مسلمين في كل من الخرطوم وبربرونقلا (٢) . وهذا اثير موضوع الحاكم السدي سيخلف غوردون جاء اعتراضهم على التفاضيل وليس على المبدأ نفسه ، فكان ان اعلنت الحكومة البريطانية انها ليست بالسلطة التي تملك حق التعيين ، فطالبوا ان الامبراطورية العثمانية هي صاحبة الحق قانونيا فعليها ان تسمي حاكما للسودان (٣) وقد رفضت اينما التمديق على تعيين الزميرباشا خلفا لغوردون ، استنادا الى عدم صلاحية شخصه وامين على الجهاد ، انما سارعت باعلان استعدادها للموافقة على اي يدل له وامداد به بقرار من الحال (٤) .

(١) -خداية جنزوت ستون Hansard, Parliamentary Debates, Vol. 288, P. 55

(٢) -نورت برك الى بيرنج ١٤ يناير ١٨٨٤
ERO, FO/623.

(٣) -جلال ستون الى جرانفيل ٢٠ فبراير ١٨٨٤
BM, Add. MS. 4547.

(٤) -جرانفيل الى بيرنج ١١ مارس ١٨٨٤
ERO, FO. 78/4194.

وأيدت الحكومة المصرية اقتراح غوردون بشأن التسليم
المحليين في السلسلة (١) كان واضحا من التخطيطات انهم ان يتسكنوا
السودان يقع فريضة في ايدي الانصار، فكلف غوردون بتكوين حكومة محلية
في البلاد وبالسعي لتأمين العدالة والنظام في انبائها (٢) .

ولقد اعلن بيرنج - سراقة - ان مسألة ايجاد رجل واحد، مرسى
من الرجال لتنفذ النظام في السودان أمر له أهمية من الدرجة الاولى ان
أن هذه هي الوسيلة التي ستجعل المهدي يقف عند حده . وكان رأيهم
أن انسحاب الحكم المصري من وضع بهيل في مكانه يعني سيادة المهدي
على البلاد ، الامر الذي سيدفع الموقف العسكري والمالي في مصر بمدرجة
خطيرة (٣) .

اما غوردون فقد كان يرى في السودان موقعا استراتيجيا هاما
بالنسبة للنفوذ البريطاني في منطقة الشرق الاوسط ، ولا بد من السيطرة
عليه . فالمناورات التي تعدت في السودان سيكون لها رد فعل بعيدة
المدي في كل من مصر وبقية البلدان العربية (٤) .

كان رأيهم انه اذا تم الاستغناء عن السودان فسيقع في ايدي
المهدي بلا منازع ، وستتعرض كل قرية في مصر وفقا لهذا ان بإمكانها

Egypt, 12, Enclosure 15 in No.3.

(١) فرمان التسيين

(٢) المصدر السابق

PRO/G/D 29/162.

(٣) بيرنج الى - براغيل

The Times, 10th January, 1884.

(٤)

التشكي وراء الدين لتدارك الدخيل الفائر (١) . كما ان برادير قد اعياى الامبراطورية
العثمانية تبجل من الضروري ان تقرر بين النيا ميديرتنا . . . رايو مدعوة ايجابية . .
لمن الدول العربية حتى تتمكن من استلام السلطة الكاملة عند انهيار النظام
العثماني . . . ريتا نفوذنا في السودان مبيد من فرمتونا لغرض ~~تفسيه~~
السيطرة (٢) .

وعندما وضع غوردون خطة تنصيب النظام المسلمين رأى ان الممدي
الذي لم تكن حالته ضمن اولئك الذين كانوا في السلطة عند فتح ماسد
علي باشا يجب الا يؤخذ في الحسبان على الاطلاق (٣) ولتكن عدل فمن
شخصته هذه عند دخوله الاراضي السودانية واعترف بالممدي سلطانا على
نودان (٤) . ولعله قد لمس عن كتب مدى التأييد الذي يتلقى من
الممدي وسلك الا ليلين ، فأراد أن يحتال عليهم ويحد من هذا التيار باقتناعهم
ان زعيمهم قد أصبح حاكما على جزء من البلاد . فليس هناك ما يعجزهم
الثورة بعد ذلك . يلاحظ في ذات الوقت ان تعيين الممدي حاكما على
نودان يعني بقاءه بعيدا عن الظروف وبالتالي يمكن غوردون من تشييد
مخيمته بتنصيب حكام وفق اختياره في الظروف وفيه المناطق المتاخمة لمصر
والتي هي في الواقع مصدر الشك والحقيقا ما نودان فتبد وأبعد من ان تترس
تأثيرا مباشرا على مجرى الاحداث في الشرق الادنى .

كان غوردون يعتقد ان باستعانة هؤلاء الحكام جميع الممديين
حولهم وخلق مراكز ثقل منادة للممدي وان ان السند الذي يرى الممدي
يلفاه يحد في اعتقاده الى دونه الجانب القوي القادر على حماية اوراخرهم

The Finca, 10th January, 1884. (١)

PRO. No. 28/419.

Egypt, No. 7.

(٢) غوردون الى بيرنج ١٨ فبراير ١٨٨٤

(٣) مذكرة غوردون ، ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤

(٤) غوردون الى الممدي ١٢ ربيع اول ١٣٠١ (١٠ فبراير ١٨٨٤)

معلومات جـ / ١ / ١٥١ .

وممتلكاتهم وليس لأنه زعيم ديني • كان رأيه أن المهدى يتغلبه من الديكتاتور
مشارا ليخطي أعمالا لا يستند بها الحق •

وقد صرح للصحافاء عند وصوله الخرطوم أنه من المتهنى أن يفتلس
الغائب عن دياناتهم ويتبعوا مدعى المهدية فقد ليحتملوا ممتلكاتهم وفقدوا
أرواحهم (١) • أن أن السودانى يميل إلى الاحتفاء بأفئامه إذا دلت عليه
أن يختار بيننا وبين ربه (٢) • وهم لهذا قد أبدوا المهدى ضد الحكم المصرى
المتهالك الذى فقد القدرة على حمايتهم • فلو تمكن من ذلك حكم مصر
تسانده بريطانيا بدم من المال فقد ينتج في جذب انصار المهدى الحسى
عنه •

ولحل تجريده للثورة من محتوا L الدينى وتفسيره على أساس
مادى • هو الذى دفع غوردون لتنفيذ مخطا له الرامى إلى إعلان سياسة
إصلاحية يمكن أن تجذب الانجليه اليه • فبات يعتقد أن مناصرة السودانيين
للمهدى مرد على قوته التي اشتهر خلال عدة معارك • إلا أنه اعترف في
ذات الوقت بالهزم والشبه اللذين ظل يعاني منهما الانجليه ليلة فتمسرة
الحكم التركى • فتصور الحل للآزمة في ايجاد جهاز ادارى قوى يعتمد
على الوطنيين وينفذ برنامج للاصلاح المالى والاجتماعى يشمل بصفة تناسلات
في الضرائب وتجارة الرقيق •

وما أن بدأ غوردون مسيرته جنوبا حتى تكشفت له بعض برادر

Journals of Gordon, Vol. 1, 12th September 1884, (١)

Ibid., (٢)

نفوذ المهدي قد تغلغل وسط السودانيين بصورة ينسب منها انخلاصهم
بالطرق السلمية (١) كما أكد له هذه الحقيقة بعض القساوسة الناثوانيين
الذين كانوا في طريقهم من الخرطوم الى القاهرة وادعوا له ان المهدي لن
تخضعه الا القوة (٢) ثم ان غوردون كان قد التقى بأحد المهديين
البريطانيين ، مستر بيرد (Baird) فحاوره الاخير بأن مشاهير
السودانيين ، وحتى في تلك المناطق قد اتبعت بسفلة قادمة نحو
المهدي (٣) .

ويلاحظ ان ستيمورت ، مرافق غوردون في تلك الرحلة ، كان له رأى
مغاير تماماً لرأى غوردون ، انه بات يعتقد ان هيبة الحكومة المصرية آخذة
في الزوال فعلا (٤) .

ولكن يبدو ان تفكير غوردون قد استقر بصورة قاطعة نحو
تنفيذ الخطة الاصلاحية ولم يشأ ان يأخذ في الاعتبار رأى مرافقه او
اولئك الاشخاص الذين هيأت له الظروف البقاء في موقع الاحداث ولهم
الحقائق منذ بدايتها والى ان وصلت الى ما هي عليه .

(١) ابراهيم نسوزى ، ص ٢٦٥ - ٦

(٢) المصدر السابق

(٣) مستندات ستيمورت ، ١ فبراير ١٨٨٤ PRO, FO, 78/5668

(٤) ملاحظات ستيمورت في رسالة غوردون الى بيرنج ٨ فبراير ١٨٨٤
PRO, FO, 78/5667.

وما أن وصل إلى بربر، حتى وجد في الأحداث مخاضاً غامضاً جديداً لتناوله . فقد كان استقباله حافلاً ورفعت له حوالي أربعين حريضة من المواطنين الذين يهجون العمل في الحكومة ، ففسر هذا بأنه تأييد للسلطة التي يمثيها ورغبة في إخلال السلام (١) وبدأت فكرة الإصلاحات الإعلامية تروق له أكثر فذكر عندما سئل عن الهدف من مبعثه بأنه يستحسن للوصول إلى استقراراً من بشارق ملعية (٢) . كان استقبال غوردون في بربر مدعاة إلى الوصول إلى تلك الأحكام أن أعداداً كبيرة من السكان تشاركت نحوه في مبنى المدينة ، وفي أيديهم عرائض ذات أهداف متباينة ، وكان رد غوردون إيجابياً ، يتجمل في توزيع بعض قطع قماش كانت موزونة (٣) ، ولعل هذا يفسر لنا نزاحم الإنجلي حول مكانه ، إذ أن الحصول على قماشة تقود مقابل حريضة لا تكلف سوى قيمة الورق الذي كتبت عليه لتروا وشديد الأضراء ، وبالاعانة إلى هذا أمر الجنرال بتوزيع كميات من الذرة على الإنجلي (٤) . ولعل هذه الإجراءات قد أدت إلى استقالة بعض سكان المدينة إلى صفه فسارع بدوره إلى تكوين حكومة يمكن أن يلتفت حولها المؤيدون . عنده الحكومة قوامها مجلس من الشيخين يكون مسؤولاً لديه رأساً بوصفه حاكماً عاماً للسودان وممثلاً للحكومة البريطانية (٥) وقد كان يعتقد أنه بوساطة سيتمكن من القضاء على المهدية في ظرف شهر واحد لن يدعى بمهدية " محمد أحمد بأنه المهدي المنتظر " (٦) .

(١) غوردون إلى بيرنج ، ١٢ فبراير ١٨٨٤ بداخل رسالة بيرنج إلى برانفيل
نمرة ١٢٦ Egypt, 12

(٢) Guzzi, p. 50 (١)

(٣) Ibid., p. 51. (١)

(٤) Ibid., p. 53. (٤)

(٥) مذكرات سيحوت ، ١٣ فبراير ١٨٨٤ . FRD, FO, 78/3668.

(٦) غوردون إلى بيرنج ، ١٢ فبراير ١٨٨٤ ، بداخل رسالة بيرنج إلى برانفيل
نمرة ١٢٦ Egypt, 12.

مخطوط غوردون للاستحانة بالاعيان ، فهم الفئة التي تنفذ مصلحتها وذاتها من الثورات علانية على ان انما يازدم لخدمة ما ينشأ في مجلس الجينة بجموع مؤيد لهم وذوهم .

قرب غوردون اليه حسين باشا شاذلية ، زعيم الشبادة السليمانية يسيطرون على المنطقة الممتدة شمالا من بربر حتى حدود مصر ، وكان نائب عدة مزارع في تلك القرى ويملك منزلا في أسران ولا بد ان الشاذلية ساروا في مصر ممتلكاته تلك في حالة نجاح المزدى في السيطرة على البلاد ، غوردون في نفسه استجابة لتأييده فأمر له بأمر فرمان الاخلاء (١) ، وشغور حسين خليفة فطلب من غوردون الا يحلن هذا قضية من الشواغب (٢) ولكن غوردون تجاهل هذا الرأي ، فكشف فرمان لمجلس الاعيان الذي سبقه بأمر الحكومة في مديرية بنبر (٣) ضم المجلس بعض الموالفين الذين سبق ان عملوا في خدمة الحكومة امثال القاضي محمد افندي الدلائر ومحمد افندي حجل ومن زعماء القبائل بقاء بالشيخ احمد المتابري ومحمد احمد دناش وسليمان آغا ومحمد علي قمر من المناصب وشل المجتانب امين آغا ومحمد المجذوب (٤) ويحتوي تكوين هذه الوحدة الادارية بقاء المنطقة تحت النفوذ المصري حينئذ يتم تنفيذ سياسة الاخلاء ، وقد كان كشف فرمان لهم بمثابة استـ خـلال لا طامعهم وطـ و حـم في السلطة . وما داموا ^{مستقرين} عظام بعد انسحاب الحكومة المصرية فمليهم اذن الحفاظ على مملكتهم خالية من نفوذ المزدى واتباعه .

وبعد وان غوردون قد وُظف المنز على تنفيذ ذلك المخطط ، فقد كان يعلم ان الامالي في القرى ، وعوي يتقدم نحو القرى ، ومن انضمام

Onraider, p.123

(١)

Statin, p. 297.

(٢)

PRO. 50, 78/3668.

(٣) مذكرات ستيرت ١٣ فبراير ١٨٨٤

(٤) المصدر السابق

الحكومة المصرية (١) ولعلها كانت محاولة للحد من موجة الانحلال نحو المهدي ، فلذا كان الانجلي قد ثاروا ضد الحكومة المصرية فقد اعلموا لهم انسحابها وليس هناك ما يبرر انضمامهم للمهدي .

اما من الناحية المالية فقد شحط غوردون لينتفخ الحبيب الزائبي عن الانجلي كجزء من سياسة الاعلاج فأعلن تخفيضات تقديرات الضرائب التي النصف كما الخس كل المقامرات حتى نهاية عام ١٨٨٢ (٢) و أراد ايضاً ان يستغل ميول الانجلي لاكتناء الرقيق فأوضح لهم في اعلان نشره على نطاق واسع ان هدفه هو استتباب الامن العام وادخال التأمينة في النفوس ، ولما كان على علم بالتقدم الذي احدثته اجراءات الحكومة فيما يتعلق بتجارة الرقيق فقد رأى نسخ اتفاق عام ١٨٧٧ (The Anglo-Egyptian Convention) الذي كان ينص على حق الرقيق عند نهاية ١٨٨٦ (٣) . وكان غوردون يستند ان هذا الاجراء قد يساعد في استعادة شعبية الحكومة خصوصاً وقد علم من احد المعتقديين انجليز ثنائيين قبل وصوله الى بربر ان السودانيين قد أيدوا المهدي لانك يبيع لهم تجارة الرقيق .

بالانابة التي سياسة تهدئة الخواجا واصلاح ما افسدتمسسه الحكومات السابقة ، رأى غوردون انه قد يكون مفيد استعمال سلاح الارهاب ، فأعلن ان السلطان يوسف خليفة للمسلمين ، كان ينوي ارسال قوة من جنود الاتراك الذين عرفوا بشجاعتهم وبأسهم لاستعادة المناطق المتعددة ولشخصه تدخل بشخصه لا يناف تلك الاجراءات حتى تتسنى له فرصة دراسة اسباب التدمير عن كثب (٤) .

ولعل الهدف من وراء هذا الاعلان هو اطمئنان متعماله وسياسة

Chrawlder, p. 123.

(١)

PRO.FO/78/3668

(١) مذكرات ستيرت ، ١٣ فبراير ١٨٨٤ ،

PRO.FO, 78/3669

(٢) اعلان غوردون بشأن الرقيق

PRO.FO.78,3669.

(٣) اعلان غوردون للانجلي ، المينج ، الاحيان . . .

المضغوط على الاهالي لقبول الاجراءات الاملاحية • اذ ان رفضهم
والانغراط في سلك المهدية سببوا لهم الى حرب انتقامية يشتها جندود
الأتراك • وهو يكشف من ناحية اخرى عن شعور غوردون من اماكن تجمعات
الحماية السلمية التي كان يدافع عنها في بادئ الامر وعلى الاقل شعوره
من الا تكون تلك الاجراءات تؤسد ما كافية لاغراء الاهالي لالتفاف حول مجلس
الاهيان •

وفي نفس الوقت الذي كان يحاول غوردون جاهد استمساك
اهالي المنطقة الى جانبه ، كان زعماء الانصار يعطون بنفس السقدر مسن
الحماس ، فبدأت قوة منهم تحت قيادة الشيخ محمد الصغير تترقب لحسن
بربر •

ولم يخرده هذا في توجيه رسائله لنفس الاهيان الذي
وتفهم غوردون في مركز السلطة لينضوا تحت رايته • فما كان من هؤلاء
الا ان عبروا النيل الى الدمام الاخر ، حيث كانت تركز قوات المهدى ،
وانضموا اليهم دون ادنى اعتبار للالتزام بسياسة غوردون (١) •

ولمصل هذا التصرف كان نأبهما من تقدم برغم لتقسيم
المهدى بالمشاورة الورفوقه الحكومة • فقد اصبحت جليما ان
الحكومة تفقد كل هبة ارضا جديدة وتعد جاء غوردون و
يحمل معه الامنيات المدينية وينضمه حملات ذهبية لم تكن لتماوى
شيئا امام محافل الانصار •

بسالامانة السن هذا ، فقد كان اعلان فرمان الاغلاء

في غير مصلحته اذا ان الاعيان الذين اراد ان يخرينهم به قد ايقنوا
بانتماء نفوس الحكومة فلم يترددوا في اغتيالهم بهذا (١) .

فتقاطر مشايخ القرى الواقعة بنوبي مصر لافلان تأييدهم لعمال المهدي
ولي المنصية لهم يتردد شيخ مشيخة علي ود سعد الذي
عرف بأمر الثرمان من غوردون من الانضمام الي المهدي لينفذ
بنفسه (٢) .

Ohrawlder, p.124.

(١)

Ibid.,

(٢)

الفصل الرابع

مخططات نوردين والممدى للسيطرة على الخرطوم

تنفيذ الخطة الإصلاحية في الخرطوم

وصل نوردين النورام في الثامن عشر من فبراير ١٨٨٤ وما زالت انظاره الرئيسية حول مهمته تتوافق تماما مع السياسة التي سبق ان اعلفها وفقد ما في بربره ان دان يرى فيها الوسيلة العمالة لبذبه الالهي نحو حكومته . كان اعتقاده ان ثقة السكان في الحكومة المصرية لم تنزع وما زالت رغبتهم في بقائها ايدة ولا يبذل الممدى بينهم تجاريا او علفا (١) . ومن ثم استفسر رأيه حول مساندة تلك الفئة التي قدر ان يثلي مكان الخرطوم والتي كلفت من رغبة حقيقية في استتباب الامن (١) .

ولقد ابترجت المدينة التي قدر عدد سكانها بـ ٤٠٠٠٠ نسمة تقريبا بوصول نوردين (٢) ولا بسد ان اقليتهم رأيت في هجيمه انقاذا لها ولمسات ارملةا ترا من الشورة التي اوشكت ان تسير على المدينة لا سيما

(١) نوردين الى بيرنج ٢٦ فبراير ١٨٨٤ هـ PRO, FO 78/3667

(٢) نوردين الى بيرنج دالة رسالة بيرنج الى رانيد PRO, FO, 78/3667

(٣) Nushi Pasha, P. 61.

قدر ابراهيم البوريني عدد سكان الخرطوم في ذلك الحين بـ

٦٠,٠٠٠ نسمة .

وان الخرطوم كانت بموجبها عاصمة للبلاد بمقدرا لعدد كبير من الجانبين . ولا بد . ان هؤلاء كانوا يشدون قسما كبيرا من الغنمة التي رعيها غصصورد بن بثلثي السكان الذين لا يجد المهادي بيدهم تأييدا او تعاطفا . ومن ثم اعتمد من موقفها . اذا تناوله واستند على مناعه اني اصرار السيخية الذائبة لتصفية الشررة .

كان مذان الخرطوم غديطا من ثلاث مجموعات : مجموعة اوروبية وثانية : عربية واندر سودانية (١) . شكل الانبي والايحاليين والنصارين اقلية الاوربيين (٢) . اما العرب فكانت اقلية من المصريين والسوريين الذين كانوا يمثلون ابرمجموعة من الجانب على الاطلاق . ان قدر عدد سم في عام ١٨٨٠ بمائة الف تقريبا (٣) ، ولكن يبدو ان اعداد منهم كانت قد غادرت البلاد بعد اندلاع الثورة وعلى الخصوص بعد زينة مكس باسا (٤) . وشكل البعليون والناقلة اقلية السودانيين الذين كانوا يمثلون في مجموعهم مئتي مئتين المدينة (٥) . ولكن هذا العدد كان قد تقلص في عام ١٨٨٤ ، ان شجرة بعض الناقله منازلهم واستقروا بقرية القاطين بقرية الخرطوم (٦) .

يشكل السودانيون المقيمون في المدينة الباقية الفقيرة عموما

(١) ابو سليم ، " مدينة الخرطوم في التاريخ " ، الخرطوم ، يناير ١٩٦٦ ، ص ٨

(٢) المصدر السابق

(٣) ابو سليم ، " معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم " ، ص ١٤

Cuzzi, p. 41

(٤)

(٥) ابراهيم ، " مدينة الخرطوم في التاريخ " ، الخرطوم ، يناير ١٩٦٦ ، ص ١٩

(٦) (١٩٦٦) ص ١٩

Mushi Pasha, P.4

(٦)

ان استصلاح الاجانب السيطرة على ميدان التجارة بغير تيسر ولعلهم فك—ان
الاغريق لم اصحاب المذبح المعلى في هذا المجال . اما الخدمة المدنية
فقد سيطر عليها المصريون كموظفين مؤدين من قبل حكومتهم ، في حين
يحظى الاتراك بالوظائف الكبرى في جهاز الادارة (١) .

وجد ضرورون ان عند وصوله ان الاجانب يملكون اقلية
السكان وفي ايديهم الثروة والسلطة وكانوا يرون مصلحة لهم في بمقاسم
المدنية تحت نفوذ الحكومة القائمة مما كلف الامر ، ولعل ضرورون قد
لمرر المذمة حين قال ان السدي لا يبدد تأييدا بغيره . ففي رحاب
للسراجل صحيفة التامسرين الخرطوم ذكر ان فئة التجار من مسؤولي
مصر في طائفة الحال في مقاومة السدي والتمسك بالحكم المصري
لاخر لحظ (٢) . ولعلهم لهذا السبب توصلوا لضرورون كي لا يشرع
في تنفيذ خطة الاخلاء (٣) ، ان ايقنوا ان سياسته السلمية التمسك
اعلنها لن تنجح باي حال فسي قارب ميزان القوى لصالحه . وكان
واضحا بعد معركة شيكان ان الخرطوم ستكون الهدف المقبل للسدي ،
الامر السدي اثار موجة من الذعر بينهم (٤) ، واصبح جليا ان الحكومة
بامكانياتها تلك لن تتمكن من خلق شبكة دفاعية فعالة للمدينة فأتجه
التجار الى تصفية اعمالهم تأهباً لمخاطرهما حتى ما بدأ الخطر مائلا
على الابواب .

ونصحت كل مجموعة دى كتلوجن في تهدئة المخاطر ارجح الربح
ان قدسها الاقلية تقف في الحكومة ولم يعد بإمكان رجالها اخفاء حقيقة
الموقف السدي بخطه السدي ، فقد كان يكسب كل يوم اراضي جديدة
وتتساعد باحة مرموقة الكرامة ضد الحكومة والاجانب بصفة عامة (٥) .

(١) ابو مسلم ، " مدينة الخرطوم في التاريخ " الخرطوم ، يناير ١٩٦٦ ص ١٩

(٢) The Times, 21st January 1884.

(٣) مذكرات مصرية ٢٤ فبراير ١٨٨٤ ، PRO, ٤٥, 78/3869.

(٤) Guzzi, P. 46

(٥) Hold, ,

ولكن مجي' غوردون بحث في نفوسهم املا بجد يدا ، غير انهم كانوا يرون من الضروري تطبيق مخططة عسكرية لحماية المخطوط ومن هنا جاء توسلهم له للايقاع على حصون المدينة (١) ورغم ان غوردون قد شرع في بادئ الامر في تنفيذ مخططة الاسلحة لاجهاض الثورة سلميا الا انه اضطر فيما بعد الى الامتناع الى رأى تلك الفئة في مواجهة المملى عسكريا .

ورغم قلة السودانيين داخل النواحي فقد عمل غوردون على استمالتهم واستماله اولئك الذين يفهمون في المنطقة بأكملها ، فبدأ في خطابه الاول الذى أملاه على ابراهيم بك ليهب مآثر الضباية قوله : " انكم لا تهملون شغفتي عليكم وصحتي لكم وقد ساءتني ما معتمه عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنعتم من تأدية فريضة الحج التي هي من اركان الاسلام وزهدارة قبر النبي (ص) وقد ساء هذا الحال كسل من جلالة الملكة وسمر الفداوى المصطفى " (٢) ثم برز على حسن نواياه بالثناء جملة قرارات وتاقلين من تنفيذ النسيبة المقررة الى النصف من النواحي المتأخرات حتى نهاية عام ١٨٨٢ (٣) كما تم اطلاق سراح جميع السجناء باستثناء القليلة (٤) ، وأعلن ايضا انهاء الاشاق الغامض يمتنق الرئيس (٥) ، وكسان غوردون يهدف من وراء هذا الى تنفيذ الصورة السامية التي عرفت السكان عن الحكم التركي .
فهذه ادارة جديدة متساوقة معكم وتنفذ موقفا مختلفا كثيرا عن مواقف الادارات السالفة . وما دام الحال هكذا فقد يقتنع البعض انه ليس هناك ما يبرر مناعتها المبدأ بالانضمام الى المملى .

(١) ابراهيم فوزى ، ص ٢٧٦

(٢) محمد عبد الرحيم ، ص ٨ ، يذكر نسيم شقير ، ٧٦٥ ان تارىء الخطاب كان حسين المجدى .

(٣) Nushi Pasha, p.5.

نسيم شقير ، ص ٧٦٧ يذكر انه الغنى الضرائب كلية لمدة سنتين ابتداء من اول ١٨٨٤ .
محمد عبد الرحيم ، ص ٩ يذكر انه الغنى الضرائب لمدة ثلاث سنوات ابتداء من ١٨٨٤

Nushi Pasha, p.7. محمد عبد الرحيم ، ص ٩

Nushi Pasha, p.8.

(٤)

(٥)

شرح غوردون بعد ذلك في تكوين ادارة محامية قوامها مجلس
للاعيان كما فعل في بربره ويلاحظ انه لم ينشر الفرمان الخاص بالاشغال هنا
الا انه قد اشار اليه في خطابه الاول حينما ذكر انه منتدب " من قبل حكومة
صاحبة الجلالة الملكة لكون واليا على السودان ومرخصا لي فوق العادة وقد
صار فعل السودان عن مصر اتصالا تاما وفوض الي العكم المطلق " (١) .
وفي هذا اشارة صريحة الى مضمون الفرمان الا انه لم يذكر مسألة انسحاب
الدفع ربما تنوعا من رد الفعل السي الذي أحدثه الاعلان في بربره وقد
بحث برقية الى الهند يوى يختلره فيها انه لم يكشف عن امر جلاء المساكين
المصريين خوفا من الاضطرابات التي قد يثيرها الاعلان (٢) .

ونذكر غوردون لالغالي انه ينوى تشكيل حكومة من الوطنيين حتى
يستطيع السودان ان يحكم نفسه بنفسه وقد كانت فكرته هي سحب الجنود
والموظفين المصريين وتعيين حكومة جديدة يمكن ان تقف في وجه الممصريين
وتحتفظ بالخرطوم في قبضتها وهي حكومة سودانية في مظهرها الا انها تدين
بالولاء للحكومات التي اتت بها الي السلطة .

حين غوردون عند وصوله عوض الكرم ابرسن ، رئيسا لمجلس الاعيان
ومديرا للخرطوم في ذات الوقت (٣) وقد انتار ابرسن وانعلم عليه بلقب

(١) محمد عبد الرحيم ، ص ٩

(٢) المصدر السابق

(٣) عوض الكرم بانما احمد ابرسن (١٨٨٢) الابن الامير لاسميد بـ
ابوسن وعين ناظرا للشكوة في ١٨٧٢ م بعد موت والده ترك النظارة
ليلتحق بوظيفة في الحكومة بالخرطوم فعين اخوه علي ناظرا مكانه .
الا ان عوض الكرم عاد مرة أخرى للنظارة عند اندلاع الثورة المهدية
وناصر الحكومة . لم يتمكن من الحضور الى الخرطوم خلال فترة الحصار
فجاء في منطقة بربره الى أن سقطت المدينة . اعتقله الخليفة عبد الله
فيها بعد واث سجنها .

Hill, : A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian
Sudan, pp.63-4

الباشوية لانه كان شيخا ذا نفوذ وسط قبيلة الشكرية التي تشكل اكبر تجمع قبلي في منطقة الخرطوم اذ قدر عدد افراد غاب ٣٥ الفا تقريبا (بالمقارنة مع ستة الاف من الهظامين واربعة الاف من الحسنات وبضعة مئات من كل من الحسانية والاحامدة والثريات) ، فانتخا زابوسن الى جانب الحكومة مسددة شيخه كسبب لعدد كبير من افراد تلك القبيلة ، بهذا بالاضافة الى انه حتى ذلك الحين لم ينزل في ولائه للحكومة المصرية ، فقد حارب مع قسومات جيجلر باشا ضد الانتصار في عام ١٨٨٢ هـ ، وعند بداية حصار صالح الموك في جزيرة قدا سي حاربه من لجنته وحاول احتلال موقعا مقابل للجزيرة الا ان ابطمه عبد الله الذي أعلن انضمامه للمصريين سبقه الى هناك فأحتل الموقع (١) جاء اذن اختيار غوردون لابي سن بمثابة الاغراء ليقبض في ولائه للحكومة وقد يجره من ورائه بعض بطون الشكرية . وقد ضمت عضوية المجلس السيد باشا حسين وهو جعلي عمل في الجيش المصري وعرف باخلاصه لغوردون منذ ولايته الاولى في السودان ، اذ نجده اذذاك الى مؤامرة كان يحيكها سلطان الزبير بلال زور فأعظم عليه غوردون بمروءة البكباشي .

ويبدو انه كان يتمنى بتدريج الكفاءة العسكرية اذ عين في عام ١٨٨٣ قائدا لقوة الدوم . ولعل غوردون كان يسعى لتمثيل بعض الضباط في المجلس حتى يساعدوا يغيرتهم في الامور العربية التي قد تواجه المدينة ، فبالاضافة الى السيد باشا عين حسين باشا ابراهيم الغلاي ومن معه في الحكومة جاء بهابكر اخندي الباركوك ومحمد باشا حسين وهو مصري الجنسية عين في ذات الوقت مديرا لولاية . ولم ير غوردون في تعيينه خوفا لميسداً تكون حكومة من السودانيين انه أن معتمد باشا قد حضر الى الخرطوم معذ طنولته صارح التجاوة واستدريها فأصبح من كبار التجار فسي عمام ١٨٨٣ (٢) .

(١) بابكر بدري ، ص ١٨

(٢) نعم شكير ، ص ٦٩٣

وفي نطاق سياسة الاستعانة بزعماء القبائل ليكسب ذوي نفوذهم
أدرك نبي المجلس سلطان افانود الملك والحاج ناصر أبوحسن كما تمرد
إليه رجال الدين والفقه أعلام في الاستعانة منهم فيما بعد في إصدار
الفتاوى، التي تدعى الدعايات المهدية، فمثلاً بالشيخ محمد الأمين الشنقيطي
رئيس وحيز علماء السودان وحسين المهدي الذي كان مدرسا بالجسامة مع
والشيخ عبد القادر إبراهيم المسرف بقاضي الكلاكلة (١) .

أد غوردون أن يفوز أيضا بولا تلك الفئات من سكان المدينة
التي تتعاطف سرا مع المهدي فتعرض للرعاية التي يمد بها إليه نفسي
الخطاب الذي القاه يوم وصوله إلى الخرطوم بقوله " وقد خاطرت السيد محمد
أحمد المهدي بفحوى ما سويت واعتزنت له بالسلطة على السودان الشرقي
برمته على ثراء أن لا يمد يده لغيره ٠٠٠ ولي الأمل بأن الصلائق مشبهين
بني من سلطان العرب وثيقة الحري (٢) .

عند غوردون من وراء هذا بلا شك إلى كسب تلك الفئة التي أوشكت
أن تنقلب في الخط المعناد له ولا بد أن تصيرته ذلك سيجعلها تتغلب
بصورة نهائية عن أي تفكير في خلق قاعدة للمهدي وسط الجماعة نفسها .
فالمهدي لم يمد يده عدوا للحكومة فتوجب معارضة بل وبعد الاعتراف الرسمي
ولم يمد يده هناك ما يبرر رفع راية العصيان سوا في السر أو
العلانية .

(١) Nushi Pasha, p.5

(٢) محمد عبد الرحيم ، ص ٩ ، إبراهيم فوزي ، ص ٢٦٧

القول بأن المهدي قد عين سلطان على العرب غير صحيح ، إذ كتمان
التسليم على كردغان فساد ويؤيد هذا رد المهدي لغوردون حيث
يقول " أنك تزعم ارادة اصلاح المسلمين ٠٠٠ وأن تجعلنا سلطانا
على كردغان " انذارات ب ص ١٠٩ - ١٨

وعمل غوردون على كسب ثنات من مجتمع المدينة عن طريق الأفسر*
المادى فغرب اليه العلماء وجعل لهم رواتب دينية ونقدية ، واستطاع ان
يحتفل بهم في خلق شهيدة دينية مناوئة للمهدى ، فكانوا يلتقون الخشب
في المساجد يكذبون فيها دسيسة المهدى ويصرونه كعدو للمسلمين (١)

ويبدو ان غوردون قد طلب منهم تحرير الخطاب الذى ارسل اليه
الشيخ عبد القادر روليد النجومي بتاريخ ٢٣ ذو القعدة ١٣٠١ هـ وقد
تعرضوا فيه الى دسائس اقوال المهدى بنصوص من الاحاديث والفقه الاسلامي ،
ووصفوه بأنه مرئى لانه قارى الجعافة " وشق عصا الاسلام وخوب ديسار
المسلمين ونسب اموالهم وممتلك اعراضهم وسلب بعضهم على بعض بما يوجب
ارتدادهم سيئ استحلوا ثلل المؤمنين وممتلك اعراضهم ونسب اموالهم
وسدتهم الكفرة يدون وجه مع اقامتهم فساخر الدين وسلوكهم الطريق المستين " (٢) .

وقد ذهبت هذه الرسالة يا ضياء كل من الشيخ محمد الامين
والشيخ حسين المجدى والشيخ محمد خوجلي قاضي عموم السودان ، والشيخ
شادرافندى مفتي الاستئناف والشيخ موسى محمد مفتي مجلس الخرطوم .

وكانت هذه محاولة لاضعاف التأثير الذي يلقاه المهدى ، وتاراك
الذين يثقون في مقدرة العلماء يمكن ان يبرأ فيه وبلا خارجا على
اصول الدين وتعاليد .

استدل غوردون اينما دابة " الفتر " والشهيرة ذات النفوذ وسخط

(١) ابراهيم فوزى ، ص ٢٩٦

(٢) العلماء الموضحة اسد امانه الى الشيخ عبد القادر روليد النجومي
٢٣ ذو القعدة ١٣٠١ (١٥ سبتمبر ١٩٨١) ملحق لـ .

الاهالي وطلب منهم التوجه الى الله بالدعاء ليحين المدينة ، وكانوا يتناشون على هذا اجرا ثابتا من خزينة الدولة (١) . وعمل ايضا على مراعاة العادات والتقاليد الاسلامية ليدفعوا اقدامات المدي للسلطة الشرعية بين ايديهم وتباعدوا عنها للدين وانشغالها بشئ الله .

دما حاول ايضا استمالة فئات أخرى ، وذلك بالانحياز على افرادها بالرتب واللقاب ، فبدأ في توزيعها بين " وسرة عتق " وصلت رتبة البيت والباشا الرفيعة الشأن الى ارباب الناح كالحجباء والوزار " (٢) .

كانت سياسة غوردون ، اذن محاولة سحب السكان عن طريق اعتدائهم بعض السلطات الادارية وتخفيف الضغط الاقتصادي الذي كان من مختلفات الحكومات السابقة ، بالإضافة الى بعض الاجراءات الاصلاحية الاخرى . وكان يعتقد ان الحكومة التي سيكونها لمختلف الحكومة المصرية ستلقى التأييد الذي يحكمها من مواجعة المصداق . فكتب لبيرون في مذكرته على امكانية اخلاء البلد والموظفين المصريين من المدينة ذاكرا له في نفس الرسالة انه كان يخشى من اضطرابات قد تشهدها العناصر المدنية ولكنه حسب تأييدهم بواسطة بعض الاجراءات الاملائية (٣) .

ولكن يبدو أن تخوف غوردون هذا ظل قائما ولم تنجح تلك الاجراءات تماما في استمالة السكان ، فبدأ يستعين بسلاح الارباب . فأعلن في المدينة انه اولا تعامله معهم لكانوا الان تحت رخصة قسوة

Mushi Pasha, p.30

(١)

(٢) احمد المصطفى ، ص ٥٤

(٣) غوردون الى بيرون ، داخل رسالة بيرون الى بيرون ١٦ فبراير

Egypt, 12.

١٨٨٤

عسكرية ترسل خصيصا لاختصاصهم . وقد أصبح سلاح الارماح جزءا مسددا
مخطط غوردون لاقرار السلام . فاذا كان في الامكان تبليغ الاعالي بمضرورة
غير رسمية عن احتياال ارسال قوات تركية فقد يدفعهم هذا السن ويجسر
المودي (١) .

وكان يمتد أيضا انه من المفيد نشر اشاعة فعولما ان هناك اتجاها
لا ارسال قوة انجليزية للسودان ، فهذا امر بلا شك سيثير الغرض وربما سيطعد
في جنده بعض العنصر المناوئ لهم نحوه فاصبح دورهم دورا

بذلك هذا العنصر يبعد اسبوع تقريبا من وصوله يقرر
فيه انه " لعدم انبال الاعالي عليه مع ما ازاله من المال لم والمخارم والاداق
السجناء واحراق دفاتر الاعوال المتأخرة بهيمنة قد يضطر لاستحضار
عساكر انكليزية لقمع الثائرين " (٢) .

PEQ. FQ 78/662.

(١) غوردون الى بيرنج فبراير ١٨٨٤

(٢) احمد الحوام ، ص ٥٥

استراتيجية الحصار في تاريخ المهدي

اتخذ من نشاط المهدي الشخصي حتى أواخر ١٨٨٢ في كردفان وفي
-مين أوكل لاتحاد مئة ربح رايحة الثورة في انحاء مختلفة من البلاد واسم
يمتثل مناعة اواسد السودان من هذا النشاط فعقد اراء قيادات تومسا
المحمد الدايب البشير . كان تقليد المهدي هو تزويد عماله بالرسائل
والمنشورات الموجهة الى رجال القبائل والسفهاء مدعوم فيما الى مساندته
ويبدوانه قد ارسل مع ود البشير بعضا من هذه لسان منطقة الخرطوم .
وسود تاريخ اول رسالة لـ ولاء مصرقة -عاليا الى ١٠ محرم ١٣٠١ (١١
نوفمبر ١٨٨٢) اي انها قد كتبت بعد مدة الجاه من معركة شيكسان
في ٩ محرم (١) ومن المرجح ان يكون المهدي قد بعث ادم بمسودة
رسائل قبل هذا التاريخ . فويبينهم لهذا في الرسالة الدشار اليهم
اننا . راجل هذه الاخير قد امتدحت علو اعظام شام . لا خلافا عن
سابقا . من حيث انها اشارت بمرامة الى ضرورة اعلان الحرب على
الحكومة في عاصمتها . ويستطيع القاري ان يجد تفسيراً منطقياً لهذا الاتجاه
الجديد الذي برز في نشاط المهدي . لم يعد يدعو الناس للمهجرة اليه
وحسب بل لالقاء حصار على الخرطوم ثقيل به جميع المسالك ويمارس برامدته
ضغطا على السكان حتى يستسلموا او يهلكوا بداخلها جوعا (٢) جاء هذا
النداء بعد اندحار جيوشه في انكسار امام الانصار ، وهي هزيمة افضت له
السيطرة على السودان الغربي بمرته . كما كان ذلك الجيش يختلف في
عدة نواحي من البيوت التي سبق للمهدي ان سجنها .

(١) المهدي الى فلان وفلان من اجمالي النواحي ١٠ محرم ١٣٠١

فيوضات ج ٣ / ٧٩ .

(٢) المصدر السابق

فهذه قوة ارسلتها خصيصا من مصر بغرض القضاء نهائيا على الثورة
فهزيمتها تنهي حدة المردى الفائرة على دحر الجيش التي تنظمها
حكومة الهند يري نفسها بالاضافة الى هذا فخلد مجلس على قمة القيادة
مجموعة من الخبراء الهنود الذين تلقوا تعليمها في ريبا عسكريا متضلعا (١)
وكمان من الداهيين ان متضافر ثقة المردى في نفسه واتباعه بعد سحرنا
الانتصار وبدأ تفكيره ينتج هديا على السيطرة الكلية .

ومن ناحية اخرى فقد امتدت بعد شيكان الثورة التي هزمت بها مصر
وبريطانيا كمثل القوة والهيبة ، وانذا كان هذا ، والعال بالتمسك
الدولتين الكبيرتين فلا بد ان تكون سيطرة حكومة الخرطوم قد زالت تماما .
ولم تعد في تلك الحكومة المهابة التي كان جندي واحد من جنودها
" يربى رهطا من الاهلين " (٢) ولقد كان في هذا تربية نفسية من الدرجة
الاولى للمردى ليقسود حملته المختفية .

ولقد سمحت تلك التهيئة النفسية العظيمان لوثقه العسكري ، فاذ
ذات حامية الخرطوم ستدافع عن نفسها بالاسلحة النارية فقد غتم الهندى
من جهته بكس باجبا الكثير من تلك الاسلحة .

كانت ايام الهندى وسيلتان للعبادة على الخرطوم ، اولها حشد
كسل قواته في المنطقة والانتحار على الحامية في هجوم مباشر والثانية
التاء حصار طول المدينة وحماسته حرب استنزاف بطيئة يلقه فورون خلالها

(١) كان مع مكس باجبا من البريطانيين : الميهور ارثن الميهور
فارتوار ، تايقت ، هاس ، تايقت ، غارنر ، تايقت ، الناس
محمد محمد الوعيم ، ص ١٢٩ .

(٢) الم د ر المايكل ، ص ١١

اعدادا من قواته المتحاربة وعتاده ومؤنه ويضطر في النهاية اما الى التسليم او الى الدفاع الشكلي . ويبدو ان المهدي قد عزم منذ البداية على سحق انتفاج الطريق الثاني كما كشفت رسالته المؤرخة ١٠ محرم ١٣٠١ . ولعله استند في تقريره على ما علمه من ازمه السابقة ، فلم نزل متاولا المهجوم الفاشل الذي شنه على الابهة مائلة في الانسان في حين كانت عملياته واغمره من الانتشار في القوي تدهور من طريق الحصار .

ارتكزت مغلة الحصار - كما مارسها الانصار - في مواقع كثيرة في الغرب على قاعدتين . الاولى عزل الموقع المحاصر عن العالم الخارجي بصرامة تامة بحيث يستحيل على حكامه ايغا اي مبعوثين لطلب الانقاذ من مراكز اخرى ، كما يستحيل على اية قوة آتية من الخارج الوصول اليه دون ان تقهر في نفسا للمهجوم عنيف تدقاومه ونقض بالهزيمة او تؤثر النسلية بلا اراقة دماء . اما القاعدة الثانية فهي الرقابة المشددة على دخول اي مواد غذائية للمحاصرين حتى يجبروا على استئصال مخزونهم ومع الايسام تنخفض مقدرة الجند على القتال وتدهور معنوياتهم ومينما يوجه الانصار ضربتهم فأما ان يرفع هؤلاء الراية البيضاء او يواجهونم بقاومة شنة لا تخشك بأمر سياسي خطرا على المهاجمين .

يذهب تاريخ فتوحات المهدي في الغرب ان اوله تجمعة للمحاصرين قد نفذت بنجاح في موضعة البركة في مايو ١٨٨٢ متقطعا بينت الحشود بسيد الله وه النور لاستنفار قبائل العمر والهديرة والعزازة لرفع ذلك الحصار (١) ثم اخبره سمار الطيارة في شمس كردفان بقيادة المنا اسماعيل

(١) MacMichael, The Tribes of Northem and Central
Kordofan, p. ٢7.

وجند له بني قومه من الجوامع فدأ من ٢ يوليو الس ٦ أغسطس
١٨٨٢ (١) .

ولعل تجربة الهجوم المباشر الذي شنّه رجمة محمد مشوقل علم...
بارا في ٢٤ يوليو وصد ما لذلك الهجوم قد اقتصرت الانتصار أكثر بايجابية
سياسة الانتصار فتمروا في محاصرتها باحكام وتمكثوا من قتل جميع المدربين
المؤدية اليها ه وبعد صعود دام خمسة اشهر اضطرت بارا للتسليم
للفاد مواد بالذات (٢) .

ولقد بنا حصار الابيض في منتصف ١٨٨٦ لمزيد من نجسارها
المهدي في هذا الميدان ، تلك التجارب التي كان لها ابلغ الاثر في
كيفية التصدي لحماية الخرطوم فيما بعد والامتلاء على المدينة .

تعود صالة المهدي بالابيض الى ما قبل الهجوم بدعوته ، فقد دى
على زيارتها بانتظام ووجد علاقته باصحاب النفوذ فيها من الاعيان ورجال
الدين . وكان ينسربهم تساليمه الداخلية الى السود لحياة فبسر
الاساقم بما فيها من غذاء في الروح وصفاء في السيرة والسيرة .

ويبدو ان تأثير المهدي قد انصرف في تلك الاونة في غرب السودان و
الذي تمثل الابيض قلبه النهائي كهدف موحد لدعوته . عرفت المد يندسة
بتواقيتها في الميدان الثماني فامت بها الحكومة التركية عند التوسع
وجعلتها مركزا اداريا لها شيدت فيه دارا المديرية وثكنات للجيش
ولفتحت مدرسة ابتدائية واتمت مستشفى (٣) وقد قدر عدد سكانها

Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, (1)...
P. 52.

MacMichael, The Tribes of Northern and Central (١)
Kordofan, p. 38-40.

(٢) نسوم شقير في ١١٦

بشوالي خصين الملا بينهم اعداد كبيرة من تبار الجليليين والدنساقلية
والمحصين ، الذين اقاموا ينما بصفة دائمة جنبا الى جنب مع قبائسجل
تلك الجهات ، كما عرف بين سائقينا تجار من الهند والشم ودول اوروبا (١) .

ولم يكن خافيا على المهدي ان استيلائه على الابيض سيكون قفصة
كبيرة بالهدنة فمهد طريقه بالزيارات المتكررة لاهلها ووطد علاقاته بالتجسار
والاعيان امثال اولاد محمد حسن الحريق ، واولاد شري ، والفكي منكوي الركابي ،
وولد ابو عنيمة والياني باشا ام بهر ، وبانقا الرازي ، وحاج خالد الحمراي .
ويبدو انه قد قوت انماجعا حسنا في المدينة فقد اخذوا بحلحه وتواضعه
وطلاقة لمائه (٢) .

لم يتجه تغير المهدي نحو الخرطوم في ذلك الوقت ولم تضر الوشائق
الي انه قد اقام اي رحلات مع اهلها ولحلله لم يفعل كي لا يقدم نفسه
فرصة مهمة للحكومة ويواجزل من المؤيدين . فاشترى مكانا بنى عندهما
حتى تتسنى له فرصة تكوين جبهة جماهيرية عريضة تحلك القدرة للتصدي
لاي يعجزهم قد تدبره الحكومة .

ولم تقتصر اتصالاته على الابيض فحسبه بل نشط اتصالاته في الطوائف
على كل اجزاء المديرية فانتشرت خطباته بين القبائل ، فكسب تأييدهم
زعماء العمر والجوامحه ، الذين شكلوا رأس الرمن لقواته وانعزوا له بجملة
انتصارات فتحت ااه الطريق نحو الابيض . وقد استخدم نفس الاموارب قبل
انطلاقة عروب الخرطوم فسلم الشيخ الحبيد ود بدر والشيخ سحطه
الامين اد وارا مائلة لطلب التي قسام بها المناطمعيل وروحمه
منوفل .

(١) يوسف ميخائيل ، ر ٤٢

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤

أحد تحت انتصارات الممدي في البركة والخياره رد فسل في الابيض
 يتجه الذي احدثه معركة شيكان في الخرطوم . فانقسم السكان المسمى
 من بين ه فريق الثوار من الاجناب والجنوبيين والدنائلة والمسمى المسمى
 انتابه موجة من الغزو شاجر على ارضها الى الخرطوم ه ثم فريق الانسالي
 امثال الياس باشا ام بهيرو باشا الرازي وعاج بنالد العمراني ومحمد بن
 المسمى، وود سوار الد ه الذي قرر الانضمام للممدي .

وسار محمد باشا سعيد ه مدير الابيض ه الى تحيين العدينة
 بهفر خندق حولها شيد عليه الابراج ووضع حساكره على دله الا انه هدمه
 بقلة الامانات البشرية اذ اتضح ان عدد الثوار يحتاج الى ٢٠٠٠ رجل
 تدريباً لتدريبه (١) في عين لم تتد قوته ٤٠٠٠ رجل (١) بالانمالة
 الى ان الخندق لم يكن بالصمن ولا بالموت الذي يشكل تهديفاً عتبة نفسي
 وبعه الد ابعين .

فقرر المسؤولون وفقاً لذلك حصر الامتصاصات حول المكاتب
 الحكومية والديرة والفتات ومنازل المؤلفين والتهار السوريين والاغربيين
 الذين ما زالوا في المدينة (٣) .

ان اتجهه محمد باشا سعيد ان هو الامتداد المتنامية
 الممدي بالغة . الا انه بذل في ذات الوقت محاولة لعمده عليها حين
 استمد يد لثبوت من رجال السدين تدخلى دعوة الممدي . ولقد حاول
 ضرورون استخدام نفس الأسلوب فيما بعد .

Ohrawlder, p. 20 (١)

Cuzzi, p. 33 (٢)

تدرتهم شقير النامية ه ٦٠٠٠ رجل

Ohrawlder, p. 36. (٣)

ويبدو ان هذه الفتاوى قد بلغت مصاح المهدى فاشارة اليها فسي
احدى رسائله بقوله " . . . ولا تخشوا بالخطاب التي فيها في ذمنا
وتكذبنا علماء السوء كاحمد بن اسماعيل الولي . . . فقولاهم من ادخل
في قلوبهم النفاق بعصب المال والجاه " . (١)

مزيد المنا اسما حيل وجد الله النهر الذي للمهدى المستولي على
الابيض، كما سبق ان ذكره .

فوصل بجيوشه الى جبل تاي آتا من قدير في ١٢ محال ١٢٩٩ هـ
(١ سبتمبر ١٨٨٢) وهذا جليا بأنه سيوجه غريته القادمة للابيض .

وحسب التقليد الذي راج عليه حينئذ في مشاركته ، والتزم به فيما
بعد ، فقد اوشد مبصوتين عما جاوره جلي الزيان ابي ومحمد المصري
يحملان رسالة لمحمد باسا سيد واخرى لاهيان المدينة . ومن المرجح
ان المهدى لم يكن قد قرر بعد الكيفية التي سيستولي بها على الابيض ،
بل كان في انتظار رد الفصل لرسائله .

ورغم ان المحتوى العرفي لهذه الرسالة غير معروف ، يبدو انها
كانت تحمل نداء للتسليم . لم يكن المهدى قد قرر مناجمة العامة ولمعه
لم يكن ليحصل لولا استفزازه باعدام الرسولين شتيا . ولم تكن تضي ثلاثة
ايام على الحادث حتى انتقم رجاله على الابيض في معركة كان ثقتهم المهدى
فيها واضعا فوضفها اسد ذود المعان بقرانه : " كانت جيوش المهدى
دائمه لها صوت الخارية ، معزوا حلينا وصبرنا عليهم حتى اوبرا علينا ونسريت
الاربع ارباع السقيف دفة واحدة وانصبت عليهم نيران الحرب مستعمن
المدافع والمرايح وملاحج الرنة من ونحن جميعا على قدم واقفسين
مفوف حفرنا الكتف على التفت وناد اعلمنا القدير السمات واليه على الهلا

(١) المهدى ، الى فاطمة العلما والتجار والفقراء والمساكين القاطنين بمدينة
الابيض ، ذو القعدة ١٢٩٩ - اذارات بـ من ٣٨ - ٤٥

النازل من السماء عنتى انا ثقلنا منهم الماية والالوف وما زالوا نازلين علينا
بلا خوف وبنا وبنانم بالرماس (١)

لم تفته هذه المعركة بزيمة المهدي وحسب ه بل باستيغابه وربما
كان ذا نائدة هامة له في معركة النخلاف فيها بعد . لقد تأكد لـه
انه شقة جديدة متينة في انزال الخليفة ببنود المعركة الذين يحسنون
الرفاية بالاسلحة النارية من خلف حشونهم المنية . ولم تفلح كل تلك
الجموع المولفة المسلحة بالشراب والسيوف من دحر غلبة غيلة من المهاكر
الناامين . فقد المهدي لقوه ايفساد الرسل لا حصار الاسلحة النارية التي
غنمها من راشد ايمن ويوسف الشلا في وتركها في جبل قد يرتعت حراسه
محمود عبد القادر . وقال وصولها تم تكوين فرقة قوامها الاسرى مسمن
الجهادية السود المدربين على استخدام تلك الاسلحة واوكل امر قيادتهما
لحمدان ابي عنبه الذي حفظ تاريخه بالقتال مع جيش الزمير باشا وابنه
سليمان . وكان اخصا ان المهدي يدعى الى خلق فرقة على نمط قبـوات
الحكومة فأتى بالرجال الذين تلتوا شيئا من التدريب العسكري والتسييرة
العربية حتى يكونوا عند الاولئك الذين لا يهابون الا بالسيوف والشماس
الداغر وفي اسلحة برهنت الامداد اثابنا وعدنا لا تفتي .

ولقد ازداد المهدي يقينا بعد المعركة بأن دفع قواته في
مباشر حتى لو ان بالاملحة النارية قد يفتده القهر وان يمسك
الحصار في اتمر ملامة تاسر رايه عليها .

فوجه بعد يومين من المعركة نداء آتيا لسان الابيض يدعونه
فيهم اسى مراجعتهم مؤتمهم ومواناه خارج الخندق ه ولا عطل هنا انـه

(١) يوسف ميخائيل ه ص ٥٠

يخطب العلماء والتجار والحمد والفقراء والعماكين ، وقد استثنى
الحكام عن قصد . فلقد سبق ان خطبهم فردا عليه بقتل رسله .

ولم تكن فكرة تربيته الانذارات مستحقة هنا فقد درج علينا منذ
مشاركه الاولى ، وراغب علينا حتى سقطت الشرطون . كما ان مستوى
تلك الوسائل لا يختلف في جودته عن بعضه البعض . فهو يستعمل أسلوب
التوبيخ حتى يصل على تأييدهم فيقول : " اني قد كاذبتكم لظن الشيخ
فيكم واعلمتكم بالحقبة التي لا كاذب فيها . وامت فيها بمتحيل ولا متصنع
وانما نوال الحق المصدق الانبي من الله برسالة وخطبه انه لا يكذب علمه
الله برسالة الا من لا خلاف له عند الله تعالى ومن يعلم علم اليقين
ان مقام الله فيها قليل لا يزي عند الله جناح بعوضة لا يوزنه على ما عند
الله تعالى ولما نره عليه لزال كان لم يكن واعقب عليه نوره لا آخر لونا
فقد يوزن جاء الدنيا على التقوى والانقاذ بالانبياء والاصفياء الامن لا عقل له
وتأييد جيد مندين لا طاقة لي بنوام ادنى شيء . فاولا اني على نور من الله
وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تدرت على شيء ولا ساع لي
ان احكي بشيء . . . " (١) وقد سدرهم من الاستماع لراجيف الحكام
فهم لا هم المالمون الذين قال الله فيهم (ولا ترثوا الى الذين ظلموا
فتسكم النار) والمصيبة اذا بنات نس " (٢) .

ويوجههم على التسامح بقوله " فأتأتمتم وبلغتم الامر لنا في الله
ورسوله فأتروا جميع اولادكم وعائلتكم واخرجوا ملاقاتنا خارج البندرمين
غير سلاح وتكونوا من جملة الانصار فمن فعل ذلك فقد اسرز نفسه وماله

(١) المهدى الى نايبة العلماء والتجار والسود والفقراء والمساكين
٢٦ جوان ١٢٩٩ (١٠ سبتمبر ١٨٨٢) انذارات جاء به من ٢٨ - ٤٤

(٢) المصدر السابق .

عليه امان الله ورسوله ويكون له ما تركه من الاموال والارلاذ وان لسم
تعملوا ما ذكرتم قد تركنا على الله وعرضنا لجهنمكم جهنمكم لتبديد
شملكم وشواب وباركم (١).

بقي الممدي ثلاثة ايام في انتظار استيلاءه الا ان الي لفلك الرسالة
ثم اعلن بعد انواره بمناصرة المدينة " بار من سيد اليهود " حتمس
يستسلم اهلها او يهلكوا بداخلها جهنم . ورواها يسير بهذا وفهم
الخلافة التي طبقها بفجاء في مواقع مشرق من انحاء كردانان وربما كان ينوي
تنفيذ في الايام . ولكن مقتل ميهوئية كان دائما للامتقام المسيح . فقرر
ان يستولي على المدينة في هجوم مباشر . اما القوي بأنه عاجز الا بيس
بناء على تصحوة الياس باشا ام برير وبعض اهل الابيض ففيه شيء من
المبالغة (٢) فهو يفسد خطا عسكريا غير مستعد لنا ولا يخرج من نطاق
ما دبر عليه سابقا .

ولقد قام ٤٠٠٠٠ رجل تقريبا بينهم * ألف من الفرس من
بالقاء الحصار وبعد ذلك مباغرة - أي قبل نهاية شوال ١٢٦٩ هـ
(سبتمبر ١٨٨٢) . وطبق الممدي خطة خلق مستخرات من المدينة
تماما كما فعل بالنسبة للخرطوم فيما بعد .

قاد المنا اسماخيل حوالي ١٠٠٠٠ مناريسا وسكر من جهة
الشمالي الغربي وامتد فيك القوات جفريا حتى بقي الممدي في تروايتسه
من الجنوب الشرقي (٢) ورغم ان رقابة دقيقة قد فوجئت على مداحل
المدينة حتى لا تتسرب اليها المواد الغذائية . الا ان الصائرين تمكنوا

(١) الممدي الى قاعة العلماء والدار والحمد والافتراء والمساكين ٢٦ شوال ١٢٦٩
(١٠ سبتمبر ١٨٨٢) انذارات من ٣٨ - ٤٤ .

(٢) Cuzzi, p.34.

(٣) Ohrawlder, p.39.

في بادئ الامر من سلب بعض الماشية من اصحابها اثناء مرورهم
بالأرياء المدينة . وقد فطن الانصار الى هذا فوجهوا الاعراب بالتمسك
اليدى يرفعي وسط معسكراتهم ويحجبهم بالتالي ثناسة العامة .

وبعد وان بعض الانصار قد حاولوا ادخال المواد الخدائية سرا
للمدينة بؤدة ، بيعتها باسعار مرتفعة فأصدر المندى مرسوماً يحذر فيه من
انزال شوية تصوي على كل من تثبت عايه التوبة .

وقد نفذ بالفعل حكماً بقايج ايدي بعض الاعراب لانهم تجاوزوا
هذا المندور (١) .

لم تكن قوات المندى ترايد خارج المندور مغلولة الايدي ، بل
كانت تسير لاستنزاف طاقة العامة البشرية بالفتاوشات والاستبايسات
الصغيرة وذلك نحو الاسلوب نفسه الذي اتبع من بعد في عسكر
المغرام . وقد تمكن الانصار عند عصار الابيض من احتلال المنازل التي
اخلاها اصحابها وما روا يطلعون قذائفهم في عمق دائرة الاستحكامات حتى
ان احدي هذه القذائف اصاب احد القومندان امام باب دار المدينة
نفسها (٢) .

ولان لا يدري ان يتقدم مغرمون الحكومة من المؤن قرأى محمد
بالا سيد وضع عمارة تساعده على الاكل في تأجيل حدوث الأزمة والاحتياج
ان فوردي قد نفذ نادات الاجراء عندما واجهته المشكلة في الانزال غيما
بعد . ومع محمد بالاكل الذرة من التجار واقرامها بالسعر الجاري
حتى ان يتم الدفع بعد رغب الحصار (٣) . وكان من اميزك ولد الفعل التي

(١) اسماعيل بن عبد القادر ، ص ٢١٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) يوسف ، ميخائيل ، ص ٧٠

أحدثها الحصار في المدينة ، وارتفاع أسعار الذرة بشكل غير مألوف " الربع من يصد ما كان يهشوة ريال بما ربثلاثين ريال زتاني يصبغ بخمسين ريال وعلى هذا الحال في الشهر الخامس حصل مايتين ريال وفي الشهر السادس مايتين وخمسين اناية ما بلغ ثلثمائة خمسة وعشرون ريال " (١) . ثم تعذر الحصول على الذرة حتى بهذا السعر المرتفع فلم يصد امام السكان سوى " الهبطليج والشجروتش الربطة الناحية والصبغ والراد القر " (٢) . ولم يصد الكثيرون ازاء هذا الحال فبدأوا يقتلوا ما كان الغنم ليلا وكان بعضهم يقوم بهشوة المتواس حتى يفضوا الطرف منهم (٣) .

نتجح الانصار في عزل المدينة كتيبة عن العالم الخارجي ولم يكن في الامكان ارسال اية مكاتبات من الانصار والميردا . اما القوة التي ارسلت من الغرباء فقد اغلقتنا في القسليم فلم تزل ثمة وسعيدة للوصول الى مدته ان مقاومة ذلك الجيش كانت بمثابة الهلاك المستمر .

ولا بد ان تكون حالة المدينة قد تركت بصماتها على اجساد اولئك المدنيين الذين درجوا على الخسائر ليلا ، وليس بمستبعد ان يكون بعضهم قد نقل المصوبة بعد ان فيسرها الى المهدى فما كان منه الا ان صار من مزيدا من الضغط في مجال السرقة والنشاط المستشري ، حتى تم له ما توقعه وخطط له طوال اربعة اشهر .

(١) يوسف ميخائيل ، ص ٥٦

(٢) المصدر السابق

(٣) اسماعيل بن عبد الستار ، ص ٢١٦

ولقد جاء استيلاء المهدي على الابيض، ليؤمن سيطرته
التامة على السودان الغربي ففقد انتماءت موافق الحكومة فسمي
دارفور تباعا واصبحت سلطة الحكم التركي في بحر الغزال كذلك
آيلة لازوال •

ولقد انتل مستوى الزمان مكانا مائلا ، فبعد ان اكتملت
سيرة المهدي على السودان العالي وكان لا بد ان تنبسط
المقاومة الحكومية في دارفور من كسلا والنيل الازرق •

التمهيد للاعتقاد على الخرطوم

جاءت محرقة شيكان لتضاف من ثقة المهدي في نفسه ، فها التمسوا
 " بطال الانجليز وارسولهم الذي كان يغشونه بخمار من كان ليمن لمسه
 ايمان ، خا من عاصم في العيدان " . (١) • فبدأ يشعل من توه للمسيطرة
 على الخرطوم كما نقل عند الرواة قولته " الحمد لله تعالى ان كافيت
 الترك الذين يوردان والذين في الغرب ملوا لنا - اننا قتلنا من يريسة
 اردنان وبناتونا وبردت حكمي المعالية وليس فاضل لنا الا فسرودون
 وفتح الخراس " . (٢) •

(١) يوسف ميخائيل ، ص ٦٤

(٢) المصدر السابق ص ٦٦

ها- بم المهدي " الترت " في منشوراته منذ بداية الدعوة بوصفهم
 الحسام الذين شؤوا وجه الاسلام لانشغالهم بمآذات الدنيا
 واعوانها • ولا يحدرو واضحا اذا كانت التسمية تشمل المصريين
 ايضا • فقد دمج لعل السودان على غداة كل من تواجمتني
 " بالتركي " متى انهم سموا الفترة التي مضى خلالها الانجليز
 على السودان بالتركية الحاضرة قياسا على التركية الماضية •
 وبعد مبعثه هكسر باشا وفردون ايقن المهدي ان الانجليز ذرا
 محاولات قمعه فبدأت تنظمه خاصة في رمائل يادته محسارلات
 لاستمالة الاتراب المسالمين لصفهم ضد النصارى من الانجليز
 الذين استولوا فسلما على مصر نفسها •
 (ملاحق ج - د - هـ - ز) •

شرح المهدي في تمهيد طريقه نحو العاصمة بأجراء اتصالات مع
 انبائ المنطقة فجاءت الرسالة المشار اليها سابقا بتاريخ ١٠ صفر ١٣٠١ .
 وكانت هذه منشورا عاما فنزونا بأجراء اتصالات شخصية مع رجال القبائل
 وعلماء الدين . فكتب لمعير علماء السودان محمد الامين **البربر** ^{ببر} ^{ببر}
 رغم انه يعمل تاريخنا لاعتنا لذاك المنشور ، الا انه لم يكن اول مكتوب يبعث
 به المهدي اليه . اذ جاء فيه قوله " واني قد عدت وتكررت لك الانذارات
 والمواعظ التي تمهيد حقيقتك بها وخاطبتك سابقا قبل كل التماس
 ونقصتك بالحقيقة التي لا يحد . وندبتك للاجابة لداعي الله فلم تجيب
 دعوتي ونشرت الى التل والعلايق المعوقة القاطنة عن الله لعمري
 ظنني فيك وعيوني لك في الله وارادتي لك البر والخير الدائم والعميم
 السرمدي والملك الكبير عند الله لم ايسر عن مناهيتك ولم اصرقك عن
 دعوتك . . . " (١) وملاحظ لنا ان المهدي لم يطلب من محمد الامين
 الجهر بعداوة الحكومة واعلان نفسه عاملا له . كما هي عادته بل
 يطلب منه ان يهاجر اليه " فلم نرض عليك الا بالمجرة فقط دون امر اخر " .

ولعله قد فعل هذا لتعكسه في امتانية فتح جبهة له في عقر دار
 الحكومة . ولم يكن اهل الخرطوم قد كشفوا عن بادرة تأييد له بعد ، ولعل
 هذا يعود الى عدة عوامل . فلا بد ان بعض الانبائ قد امتنعوا عند سماع
 انباء انتصارات المهدي في الغرب الا انهم لم يجروا على اعلان هذا
 خوفا من بطش الحكومة وهي طرد نائب قوسين مقدم . ولقد كان سكان الخرطوم
 - بحكم ظروفهم - اقل اهل السودان معاضة لتصويب المهدي مما كسبوا
 على البلاد . فقد نعم هؤلاء بمجيء الحكومة التركية فتوسرت لهم بعض
 سبل الحياة الرفيدة ووجد بعضهم الفرصة لكي يعمل في دوائر الحكومة
 او بين قراقرم المصلحة . وهم في ذات الوقت لم يتعرضوا لبطش خصاصي
 الضرائب الذين كانوا يشهدون تحايلا في الخالب الاعم بعيدا عن
 الميمن السلطة المرفية . فلم تكن الخرطوم تعكس صورة فساد العكس
 التركي كما تعكسها الاقاليم . ومن هنا جاءت استجابتهم لدعوة الثورة

(١) المهدي الى محمد الامين . ربيع آخر ١٣٠١ ، انذارات بجمعي ٩٤ - ٨

فاتسرة متروكة ولم يكن بينهم من يرى ضرورة أحداث تخيير سياسي في البلاد . ولهذا فقد اراد المهدي ان يجمع انصاره حول مسكنه بسيداعن مقر الحكومة قبل ان يقرر مهاجمتنا .

ولقد اعمل المهدي ببعض الاهيان الفاطنيين في القرى المنتشرة حول المدينة ايمادريا في اثاره القلائل في وجه الحكومة قبل وصوله اليهم ، فكتب عدة خطابات للشيخ العميد ود بدر في ام ضبان وابناؤه وسعد --- في حيرانه (١) .

وملاحظ ان العالي تلك القرى قد تمفظوا في ابداء رأيهم في الاحداث الجارية حتى اوائل ١٨٨٤ . ربما كان مرد هذا المصلحة المشتركة التي تربطهم بالخرطوم وسكانها . فقد عرفت مناطق الجريف والسلفايه بازدياد حاجتهم الزاخرة والتي كانت العاصمة مجالا رئيسيا لتسيورها . فقيام امتلح بالدعوة ضد الحكم التركي مستفيرا من الاضطرابات مما يتسدر معه كسب زعيم الاساسي . فظفوا عن الحياد حتى كشفت لهم الاحداث ان حكومة الخرطوم قد اصبحت مهددة بازوال .

ام يشو المهدي - صراحة - في اولى خطباته ، للشيخ العميد الى ضرورة العمل المباشر ضد الخرطوم بل يقول " . . . ويوصل جوابي هذا اليك اجمع ، سمك في الله وارسل لجميع اتباعك واحبابك واسلكك وعشيرتك في الله وجاهد في معاداة الكفرة واقطع الملك وبارز بالعداوة ظاهرا وباطنا وبالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابدا لامر ما ان

(١) الشيخ العميد ود بدر (عرف ايضا بود ريا) (١٨١٠ هـ ٨٤) ينتهي الى الابواب ، احد بطون قبيلة المسلمية . من مشايخ المسلمين في السودان فرج تاج الدين البشاري . اشتهر بالشورى والسلاح فتقاسم عليه القاطن اغواجا من مختلف ارجاء البلاد وقد اصبحت غلته التي اسمها في ثرية ام ضبان اكبر مركز للقرآن في منطقته .

انت ممثلنا صدوقا بصدقنا ولا تنالي حكم ما فعل محمد الطيب واد البصير
وان شئت فأنضم اليه ونأجر من محلك الذي انت فيه واتحد معه
كيد واحدة * (١) *

وقد ما تأكد للمهدي ان نفوذه في المنطقة قد توطد واشتد عسوده
كتب مرة اخرى للشيخ المبيد مشير اليه بوجوب القضاء العصار على
الخرطوم * * * فاذا بلغك بنوابي هذا فاما ان تنأجر انت ومن معك
من الاعصاب والمحبين وما يطلب ما عند رب العالمين من غير نالر المسمى
علاقة واما ان تنأجروا الخرطوم وتجاهدوا من اغترزقة الدنيا ومتاعها
عن الصدق مع النبي القيم حتى تأتيكم ولا رهنا لنا هنكم الا بهذين الامرين
فاذا فعلتم رغبنا عنكم * (٢) *

ولم يجر وقت طويل حتى اثمرت هذه الخطايات الا ان الشيخ
المبيد اختار ان ينفذ الامر الثاني فلفظ نفسه داعية للمهدي في نهاية
فبراير ١٨٨٤ *

كتب المهدي ايضا لزعما الشكوة واحله فلفظ الى نفس الحقيقة
التي اخذ تاغوردون في الاعتبار عندما عين عوض الكرم ابي من رئيسا
لمجلس الاعيان في الخرطوم واذ كانت قبيلة الشكوة الكبر قبيلة تعميمش
في منطقة الصبوح ولا بد ان يوتران حيازما لاحد الغريمين تأشيرا
مباشرا وجذرا في ميزان القوى *

دعا المهدي الشكوة الى الاخذ بمقاصده التي دالها نأدي بها

(١) المهدي الى المبيد بدريه قبل ٤ جمادى اول ١٣٠١ - ١٣ مارس ١٨٨٤
انذاراته ١٣ - ١٤

(٢) المهدي الى المبيد بدريه انذاراته ١٢/١٢ - ٣٢

وعني في الاساس، نيل مصالح الدنيا من مال وديار والاسراع للانضمام اليه حيث كان بالخير • ويبدو انهم قد ردوا على رسالته معلنين تأييدهم لسه دون ان ينفذ احد منهم امر المجرة (١) • وازاء تباطؤهم هذا كتب لهم الممهد، رسالة اخرى يحثهم من مهمة المجرة على ان يرفعوا راية الدعوة في مدافعهم • فجاء في تلك الرسالة قوله " ... شهدوا ازركم على اقامة الدين والجهاد على اعداء الله الكافرين والخروج عن دلائعهم وتشتيت شملهم وتفريق جماعتهم وبارزهم بالعصيان لتتساقط اكمال الرضوان وقاطرتهم فأنهم عند طعن وبتاعه وتم فأنكم عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن مساعد اليد والايدياد * (٢) •

ويبدو ان الشكرية قد انقسموا حول هذا الامر فعلن جزء منهم تأييده للممهد واشترك بجهادة عهد الله عوض الكريم ابي سنن في حصار فنداس في اول يناير ١٨٨٤ (٣) •

بالاضافة الى مجهودات الممهدى هذه كان هناك نشاط عام له محمد الطيب ود البصير في المنطقة •

فقد نجح ود البصير في تجنيد قبائل الدباسيين

(١) الممهدى الى عوض الكريم احمد ابي سنن، انذارك بـ ١٨٨٦

نشرت بعض المصادر ان الشكرية كتبوا تلك الرسالة فقط ليأمنوا "عرب البطانين الذين ردوا على طلب ما شئتم •

(٢) المصدر السابق •

(٣) بايكر بدري ٤ ص ٢٨

والنوالده لاسجل على نصرة المهدي (١) ثم استولى على قرية
الحلاويين وتقدم نحو المسلمين (٢) .

(١) ابرام خريز ، ص ٢١٥

محمد الطيب ود البشير ، من قبيلة الحلاويين يمت للمهدي بعلقة
النسب . اشترك والده في المنطقة وحرف بحد من المسمين . كان محمد
الامير ود الميمير من اوائل الساميين التي امرنا المهدي بدعوته
في ذي القعدة ١٢٩٢ وفي شعبان ١٢٩٨ اخذ البيعة
من اعيان الجزيرة ، ثم شارك في حصار الخراف فيما بعد وتولى
مهمة امداد الانصار بالذخائر . بعد سقوط المدينة عمل في
الحدود العثمانية الا ان القت القوات الانجليزية القوي عليه في
تلك المنطقة وخدما في عداد للجزيرة وفيها ١٩٠٨ .

The Times, 12th January 1884.

(٢)

رد الفعل لمخطط فوردون

يبدوان متزيمه صالح الملك لرد البصير في واقعة ود هدي نسي
١٧ يناير ١٨٨٤ لم تغر الا مالي بالانقراض من دول الانمار • وقد حاول
صالح الملك ان يحمي طريق الخرطوم -- منار فتقدم اليه جزيرة فداي وعرض
نفسه لهما • وارسل في طلب المصونة العسكرية من مناراته الباخسرة
" محمد علي " محملة ببعض الجنود والذخيرة (١) •

ولكن ود البشير مانع بوضع حصار على المنيرة من الشمال ودعا
عبد المرحوم الكرم اي من المنزل من جهة الجنوب (٢) •

وقد تمكن هؤلاء من عزل الخرطوم عن المنطقة الجنوبية بقطع اسلاك
التلغرافات ونزع اعمده نوابيا وتأكد في ذلك الذين انضموا كل شيوخ
القبائل في القرى ما بين الخرطوم ومنار الى المهدي • فلم يكن بالامكان
ارسال اي فرق من الجنود او المكاتب جنوب العاصمة وقد اجبرت بعض
البواغرات التي كانت في طريقها الي منار على العودة بعد مفادرتها
المدينة بوقت قصير (٣) • كان بقاء الطريق الي منار تحت سيطرة
قبائل تدين بالولاء للحكومة امرا حيويا للخرطوم • اذ انما كانت تمد الي
مزارع تلك المنطقة في الحصول على غذائهما (٤) •

ولقد وضع المهدي خطته منذ اوائل عام ١٨٨٤ بحيث تقوم
مستدرات الانصار في انحاء متفرقة من المنطقة المتاخمة للحد يند وشدا
تساعدها بالدخول في معارك خيفة النصار ضد رجال العاصمة • فتمسك

(١) نسيم شخير ص ٢١٨

(٢) بابكر بدوي ص ١٨

The Times, 15th January 1884.

(٣)

Ibid, 14th January 1884

(٤)

اتباع العبيد ود بدر بقيادة ابنه ابراهيم اول شيعون على عسكر الشايقة
المرابطين في منطقة السلفاية في منتصف مارس ١٨٨٤ • وبعد انسحاب
الهزيمة بهم تمكنوا من أسر مائة وخمسين عسكرياً وقتلوا بعض الاسلحة
والذخيرة (١) وقد اتت بعد ذلك شجعات تلك المجموعات على
النصارى •

كتب المهدى الى اذبح الله وحوار الشيخ المنيد ، الذى كان
يقيم بترعة القبة شمال العاصمة ليبدأ في الهجوم من ذلك الموقع ،
قائلًا : " ٥٥٥ يهود وصول جوابنا اليكم صعبة رافعه محمد الناصر
تحنوا في الله اعزبنا اعزبا وجهزوا مالكم واستعدوا للقتال والجهاد
للاشرار بكل ما امكنتم وانضموا الى العبيد بدر بمجرد سواكم على انفسنا
يا البحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم خفافا وثقالا وقابلوا الخرطوم بجيوشكم
التي يقال لها القبة وحاصروا اعداء الله وضيقوا عليهم فان المسلمين
يخزيهم وينصرهم عليهم " (٢) •

ورغم ان هذه الرسالة لا تحمل تاريخا الا ان بعض المصادر
تذكر ان قتالة فرودون قد تعرضت للمساومة من قبل الانصار
في حوالي منتصف فبراير ١٨٨٤ (٣) • ربما كان هؤلاء هم
اتباع دعى الله الذين استنفرهم المهدى •

ونجس الانصار في كسب تأييد الشيخ عبد القادر ابراهيم
الذى عينه فرودون حضوا في مجلس الاعيان المنوط به الاسرار

(١) المذهب، المصحح خالد ٤ محادى اول ١٣٠١ (٣ مارس ٨٨٤)
زقل ٢

(٢) المهدى الى اذبحه في الله ، خصوصا دعى الله تلميذ العبيد ود بدر
انذارا به من ١٢٩ - ٤٠

(٣) ابراهيم نوزى ، ص ٢٧٢

على اداء الخدمة . (١) . كان الشيخ عبد القادر قد صاحب ستيورت في اعد ، وعلائه التفتدية على النيل الابيض جنوبي الخرطوم وقبيل اعترف ان محرر الاغالي سعد ما رعدا ثيا لدربة ان ايمه محاولة منهم بالمسوط كانت متقابل بلا شك باللاق النار عليهم (٢) . ولـ سـ لـ الشيخ عبد القادر قد اتفق بعد هذه الجولة ان مبرئة الحكومة شاسرة بلا ريب وان نفوذ الانصار في تساعد فجميع حوالي ثلاثة الاف من اتبعاه وامتد نفوذ في قريسة التلاكة (٣) .

وقد اثمرت شبكات المهدى للشيخ مسطحي الامين ام عتيق بجزيرة اسلنج في اتقاعه بالانضمام اليه فعمد كرفي خورشيمات مع حوالي المني محارب كما استطاع الشيخ احمد ابو صغيرة ان يجتمع بعض قبائل الجموية والفتيات وعسكر في ديم ابي سعد جنوبي ام درمان .

واما من البهيمه الشرقية فقد استنفر الشيخ المصطفى عبد الرحمن المني اتبعه فاجتمع له حوالي عشرة الاف اوكل امر قيادتهم لاجساد ابناء الشيخ الهيد وتاد اينا المحسي ملزم احمد الفرج والشكريه القد ورا ب احمد ود عماره والمنارة محمد هبة السلام والبطاخين طمسه عبد الباقي والحسانية سايمان ود كاسر (٤) .

ويبدو ان عمال المهدى قد حاولوا اتيا مفرجه في محاصلة البهيمه المعارضين للدعوة ، فكتب الشيخ المصطفى الى فرودون يقول " . بلخني

(١) عبد القادر ابراهيم (١٨٩٣) من اسفاد سعد ود ام مريم . شارك في عصا الشرطوم وفي حتى سقوطها . اوكلت اليه به ذلك قيادة جيش الانصار في شكا جنوب دارفور وقتل في اسفاد مع قبائل الدينكا .

(٢) ستيورت الى بيرنج ١ مارس ١٨٨٤ PRO, FO, 78/3669.

(٣) نسخ تغير ٧٧٥

(٤) محمد عبد الرحيم ١٤

انك تزعم ان معظم اهل السودان مجبورون على اتباع محمد احمد المهدي وليس لهم الرغبة فيه يا ولدي وانك تحب غلامهم منه ، فاعلم ان جميع اهل السودان خاصة بهم ولامشهم قد اتفقوا محمد احمد قلبا وقالباً ودليل ذلك بذلهم ارواحهم بين يديه في الشروب ، وانني انصح لك ان تفعل احد امرين اما ان تعلم المهدي فتسلم بمن معك من اهل الخرطوم فيؤتلك الله ابهرت عرتين او ان تدخل الى بلادك فتنتجو من هذه الممالك فانه لا خير لك في البقاء هنا على هذه الحال لانك ان بقيت فلا بد من هلاكك انت وبهين وبالك والمسلم * (١) .

ولم يقتصر نشاط الانصار على منطقة الخرطوم وحدها بل اتسع نطاقه وامتد شمالا فتمكنوا من قطع الاتصال التلغرافي ببربر ولم يكن بالامكان المشاهدة الا عن طريق الرسل (٢) . وقد ارسل كوزي والذى عينه غوردون عاجلاً على بوس رسالة الى بيرنج فحثوا ان الاتصال التلغرافي بين مدينته والخرطوم قد قطع نهائياً (٣) وبعد ايام قلائل كتب حسين بمباشرة خليفة الدي نوبار باشا يخبره بهزل الخرطوم ، وانما قد اصبحت في حالة حصار بوحدة الانصار الذين يتزايد عددهم حولها بانتظام (٤) فكذا كان الموقف في مارس ١٨٨٤ - أي بعد حوالي شهر من وصول غوردون .

كانت المنطقة الجنوبية تحت قبضة الانصار ومن الشمال قامت معسكراتهم من شلال السبلوكة حتى مشارف الخرطوم (٥) واتضح جهلنا ان اي محاولات

(١) نسيم مكيرو ، ص ٧٧٧

(٢) The Times, 12 February 1884.

FO, PO 78/3669

(٣) كوزي الى بيرنج ١٩ مارس ١٨٨٤

Egypt, 12

(٤) حسين خليفة الى نوبار

(٥) كوزي الى بيرنج ٢٤ مارس ١٨٨٤ Enclosure 78/3669, FO

للاتصال بمصر تواجههم بصحوبات عطية وقد كان بيرنج على علم بهذا فنقل الى
جبرائيل تخوله من خطورة عملية الانسحاب (١) . ولم يكن لسياسة غوردون
الاصلاحية اى اثر في كسب تأييد الاغالي القائلين بنول المدينة في حين
وبعد المهدي بينهم تحاطفا واسخ النطاق لم تفلح سياسة المهادنة فصر
زعزعه كما ان التمديد باستخدام قوات اجنبية لم يأت أكله فقد ايقن
الاغالي ان المهدي يملك المقدرة على انتصار حثو على مثل تلك الجيوش .

بل ان سياسة غوردون لم تبعد استجابة حتى بين الاغالي دا خل
اسوار المدينة حيث كان المهدي مواظبا على اتصاله بهم فخطب " كاشفة
اعالي الخراف " بقوله " ... نعوذكم ان الله تعالى غني عن العباد
يهدي من يشاء الى طريق الرشاد ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي
ومن يضل فلن تبعد له وايا مرشدا وقد طالما تكررت منا النصائح وارادنا
نجاة عباد الله وسلوكم لطريق الله فأنا اب الى الله من اراد الله سبحانه
وخالف من خذله الله فأعصه وأعمى بصره فلا ادري ما الداعي لعدم الانقياد .
وقد طالما ذكرتم بالله ورغبتم فيما عنده وعذرتكم من وعيده فالى متى الخفلة
والتسويف والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة لم يأت لكم ان نميل قلوبكم الى
ما ينفعكم في آخرتكم ويجلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر " (٢) .

كما ارسل مكتوبا آخر الى اغالي حلة سلامة الباشا يستحثهم فيه الى
التيام لخدمة دين الحق (٣) ومن الجدير بالذكر انه خاطب اغالي
هذا الحي بشكل خاص دون سائر الاحياء لان سلامة الباشا كان موطن فقراء
المكان الذين لا تربطهم مصلحة شخصية من مال او سلطة بالحكومة ويقع
على عاتقهم الصبأ النعرايين الذي كانت تفرضه الادارة التركية . ونسهم

-
- (١) بيرنج الى جبرائيل ١٨ مارس ١٨٨٤ PRO, FO G/D 29/126
(٢) المهدي الى كافة اغالي النعرايين ، اذارات بخص ٢٥٥ - ٦
(٣) المهدي الى اغالي حلة سلامة الباشا خصوصا حاج حنوره ومحمد مصر
واخوانهم ١ جمادى ثان ١٣٠١ (٢٤ مارس ١٨٨٤) فيوضات ١٧ / ٢
موقع هذا الحي . يعني فان شعبات العالية .

ليبدأ يملكون الاستعداد الطبيعي للمبادرة لتأييد المهدي * ومن هنا جاء رد اسم لنداء المهدي ايجابيا ولعل احمد الصرام كان يعنيه جميع كتساب " لله در اهل السودان فانه لم يتيسر لغيرهون باشا ومن معه مع مسما اجروه من الحيل السياسية والتكيد التركية كحرق دناقر متأخرات الاموال الاميرية عن السنين الماضية وتنزيل جميع الضرائب والضرائب والسيارات التي نصف قيمتها الاعلى وحل مساعدة الرقيق وبذل المظالم والاعسان التي جميع الفقراء والمساكين ان يحول وجه واحد من الامالي عن قبلته الوطنية او يتعدى عن مساعدة جيش المهدي (١) ولم تفلح سياسة الارهاب في اثاره الفسح وسد الانبالي ولعلها قد اصبحت حافزا لهم لمساندة المهدي ضد القوات الدليلة التي سوف ترسل لاختناج بلادهم * فازدادت بذلك حميةهم الدينية والتمهت نيران محبتهم الوطنية فأغلقت جميع المنافذ والدراق (٢) وقد كانت موجة الانحطاف نحو المهدي بين سكان المدينة في تصاعد حتى أعرب غوردون عن خشيته من مؤامرة داخل المخطرون اكثر من تخوفه من العدو المرابط خارج الامصار (٣) *

وقد لوحظ انتشار هذه الموجة حتى بين النابغة التي كان غوردون يعتمد عليها في تنفيذ سياسته فكان بعض معاونيه من الاداريين والضباط والملاحين يتظاهرون له بالولاء ويغفلون لتفويض حكمه من وراء ظهره.

(١) احمد الصرام، ص ٥٤

(٢) المصدر السابق، ص ٥٦

(٣) غوردون الى يمين ١٦ فبراير ١٨٨٤

كما كان بعض الاتالي يبحثون برسائل الولا والتحفيد للحمدي بيمين
الفنية والاخرى (١) وقد اكتشف غوردون فيما بعد مكتبة مثل هذه موقعة
بخمسة عشر اسما بينها اسما بعض اولئك الذين عينهم حكاما على المدينة (٢)
كما كان منهم احمد بك علي جلاب و مدير الشرطة والمفتي احمد
ابراهيم باشا كاتب محكمة الاستئناف ومحمد سرور كاتب الطباعة وابو بكر
الجاركوك واحد بك دفع الله والديري النوراعنا محكمة الاستئناف ومن
التجار ظهرت اسما ابراهيم شاكر ومحمد عبد الرحمن البشير وعثمان بك مكار

ووقع من الاعيان الحاج ناصر ابو حموس والخليفة ود ارباب ثم زمني بك
علي جلاب عضو المحكمة الاتلية ومحمد الامين الضمير شيخ الاسلام وقد
بحث الموقعون مع الرسالة ميلغا من المال مع وقد بالالام بالانصار حينما
تحين المحلة المناسبة (٣) .

لم تعادى سياسة غوردون اذن سوى في نفوس الاتالي وكانوا
يتسللون ليلا للخرق بكل حيلة حتى ان بعضهم يرمي الخراف الذين حول
الخدق حتى يقتلوا عتزم (٤) .

(١) Ohrawlder, p.132.

(٢) Journals of Gordon, Vol. IV. 12th October 1884.

(٣) Kushi Pasha, p.166

(٤) اسماعيل بن عبد القادر، ص ٣٢١

المفصل الخامس

مشاكل الحصار

ايقن غوردون بعد مضي شهر تقريبا على وصوله ان عليه ان يستعد
لمعركة عسكرية اذا اراد بناء المشرطون تحت سيطرة حكومته ، فقد اتضح ان
المشطل الاصلاحى لا يجتهد من التأييد ، يشر بفجاسه ان بدأت جنسوع
الانصار تزحف نحو الانراوم في محاولة لغرض حصار عوطيا . وكان لا بد ان
تتجه من وراء هذا عدة مشاكل للفرقيين المتنازعين يعتبر التصدى لهما
وصالتهما عاملا عاما في كسب المعركة . ولحل نقطة الضعف الاساسية
في موقفه خودون والتي لم يملك لها دفعا في انه كان في موقف المعاصر .
قام بتدوير تلك المشاكل - التي ظهر بعضها بعد معيئه مباشرة - على
المسا على الادارية والعسكرية الوارد ذكرها في غير هذا المكان بل تعدتها
لتتضمن قضايا اخرى منها الاتصال ، والمال ، والغذاء . وكان لا بد ان تتطور
كل من هذه من تقدم الحصار وحتى أصبحت تهدد المدينة تهددا فاعليا
ومباشرا .

اما الفريق الاخر فقد كان يتمتع بوضع مريح الى حد كبير الامر
الذى قلل من عدة المشاكل التي كان عليه ان يواجهها .

وقد ساعدته هذا بلا شك على الاحتفاظ بثقة بها ، ودفعا
الى تصعيد عملياتها حتى تمت في النهاية من فرض العمل الذي تبذره .

عزل الخرطوم

رغم ان مكان السودان الشمالي والشرقي لم يحلوا دورا مباشرا في حصار الخرطوم الا انهم تمكنوا حين رفضوا راية المهدية في مقابلتهم من عزل المدينة عزلا يكاد يكون شاملا عن مصر، وبالتالي عن العالم، فقد كانت مصر هي النافذة التي يطل منها السودان على الدنيا والباب الذي يأخذه اليها في تلك الايام . واثبت أسلوب المهدي في استنفار الزعماء المحليين لتبني مبادئه في مناطقهم فعاليته وايضا بيته في هذا المجال . ففي الوقت الذي كان الحصار يسيطر على منطقة جنوبي الخرطوم كان عماله في شمال وشرق السودان يسيطرون بنفس القدر لقطع وسائل الاتصال بين الخرطوم والحدود . فجاء عزل الخرطوم نتيجة مباشرة للنشاط الذي قام به محمد النور محمد الله توبجلي وثمان بن ابي بكر دقنه . فقد كانت المكون البرية والقوية المكونه التي مصر بالاضافة الى خط التلغراف تمسك عبر اراضيها .

تمكن فرودون غادل شير فبراير ومارس من استخدام الخط التلغرافي الذي يربط الخرطوم بالقاهرة عن طريق وادي حلفا . ونقلا العرضي ، مروي ، بربر ، شندي ويمتد عبر مسافة قدرت ب ٧٨٩ ميلا تقريبا (١) وكان بقاء هذا الخط تحت سيطرة الحكومة امرا غير محتمل بالنسبة لمصر فرودون فقد جاء للسودان موفدا من قبل حكومتي مصر وبريطانيا فاصبح لزاما عليه ابلان الحكومتين بتلوير الاحداث في حينها . مصر ممتنعة . وهذا هو عين ما دى عليه طوال الفترة التي ظل فيها خط التلغراف شالخصا للامتصال . وقد كان بيرنج ، من ناحية اخرى ، متشككا في السرد

Leverson, " Insurrection of the False Prophet ", (i)
see p. 217

على تساؤلات غوردون وآرائه بعد عرضها على الحكومتين المصرية والبريطانية اذن لقد كان الاتصال المنتظم السريع بالقاهرة ضروريا حتى يتمكن غوردون من تنفيذ مهامه التي كانت تتمتع فيها ظروف خارجية ممتنعة . وبمرور الزمن تصافت الحاجة لهذا الاتصال ، فقد اصعبت المدينة في حالة حصار وكان من الضروري ان يطلع اوائك الذين بحثوا به بدقائق الموقف حتى يتخذوا الاجراءات التي تقتضيها وذلك الطرف .

ظل الاتصال الطلخرافي بالقاهرة ممكنا الى ان بدأت ثورة القبائل في الشمال في ربيع عام ١٨٨٤ . ربما يعود احتفاظ تلك المنطقة بمركزها حتى ذلك التاريخ الى بعدنا عن قلب الثورة في اقاصي الغرب ، كما ان علاقتها التجارية مع مصر والحكومة القائمة آنذاك في الخرطوم قد جعلت لها يترددون في اتخاذ موقف ايجابي مبكر من المندى . الا ان هذا البعد لم يقدرك ان يدوم طويلا اذ سرعان ما لاحت بوادر التمرد في الانس . ويمكن تاريخ بداية هذه المرحلة بحودة احمد حمزة السعدابي ، احد مشايخ البعلبين ، ومن بيت الحك لمر ، من عند المندى في اول عام ١٨٨٤ . وقد توافق وصول غوردون الى بربر مع ذلك الحدث ، الا ان هذا لم يقف عائقا في سبيل انضمام رجال القبائل الى السعدابي ، بل على العكس ساعد انتشار محتويات فرمان الاخلاء في دفع مجلة الانصار اميالا الى الامام . فحسم بناء عليه ، كثير من العتريدين ومؤيدي الحكومة موقوفهم ، اذ تأكد لهم ان لا مناص من سيطرة المندى على البلاد (١) .

ومن ثم بدأت معسكرات الانهار في الانتشار شمالا وجنوبا من بربر متلة اواخر مارس ١٨٨٤ فشكل نشاطهم كل المنطقة الراقعة مسما بين شندى ومريوط محتوياتهم في نوالسي ٢٥ منهم تمكنوا من قتلح

الاتصال التلغرافي بين المدينتين (١) في حين ان الخط التلغرافي بين الخرطوم وشندي كان متعللاً منذ ١٢ مارس بعد ثورة القبائل شمالي العاصمة (٢) . ورغم ان الاتصال بين بربر ومصر ظل متقطعاً بعض الوقت الا انه كان ممدداً بالانتقال في اى لحظة بعد ١٨ ابريل . وكانت سيارة الانصار شبة شاملة على كل المنطقة الواقعة شمال بربر حتى ان بعض المسافرين الى أمارة تد وقصوا في قبضتهم بعد مسيرة يوم واحد منها (٣) .

اذن قد راسخ قور دون مشكلة الاتصال بالناحية وعوامل يكتمل مشهراً الا ان في الخرطوم بعد . ولم تكن هناك اية بادرة تشير الى ان الوضع قد يتطور في مصلحته بل على العكس من هذا بدأت مجموع الانصار تزحف نحو بربر لتسيطر على تلك المدينة ذات الاعمى البالغة بالنسبة للخرطوم .

ظل محمد الخير عهد الله خوجلي في بربر يوازن بين الحكومة من جهة وتأييده السابق من جهة اخرى لفترة طويلة رغم ان المهدي كان قد اسراه بدنه في عدة مكاتبات شخصية . وفي فبراير ١٨٨٤ قرر حسم موقفه بالهجرة الى المهدي حتى يقف على حقيقة الاحداث بنفسه . وقد عاد في نهاية ابريل محملاً بالايان القاطع بصدق دعوة المهدي وبعض الرسل له بما في ذلك الجيوش وقد فوض المهدي لاختار البيعة ضيق (٤) . فالتزم اليه احمد معمره السعدي بالتبعية في المنة وعند

(١) Guzzi, p.56.

(٢) Holt, The Mahdist State in the Sudan, 1861-1896, p30

(٣) Guzzi, p.64-5

(٤) نسق شقير، ص ٧٨٦ - ٧

وصوله الى الدامر بايحه احمد المهندوب (١) فاتخذ ببربروبيته بدمعة
بعيش توامه ٤٠ الفاً من البعلين والرياطاب والبشارين من المصانة
والفرمان وقد تسامح بضمهم بالاسلعة النارية • ومما ذكره عند المثير تحول
المدينة ومن هناك بحث بعجلة رسائل الى رجال الدعاية والاهيان يطلب
منهم التسليم دون اراءة دما • قامت جناب له البعني وعبروا النيل الذي
حيث تقم مسنكرات الانصار (٢) وقد جاء سقوط ببربر في ايدي معتمد
النيرواتبه في ٢٢ رجب ١٣٠١ - (١١ مايو ١٨٨٤) ليسمخ الغشاية
لاى امل الموردين في استرا اتصال تلغرافية بعضه •

لم يجد امام غوردون مضى اربعد ذلك سوى الاستئناس
بالاشخاص المعتقلين على ظهر البواخر والدراب او الوسيطين متا لنقل
رسائله الى مصر • ولقد كانت هناك صعوبات عملية تجعل الاستفادة الفعلية
من هذه الوسيلة امرا متعذرا • فقد كانت الطرق التي يتعمد على الجواسيس
عبورنا مشققة بالمخاطر فكانوا نظرا لهذا يطلبون مبالغ خيالية من المال (٣)
وقد كان وقوع احد من في ايدي الانصار متوقفا في اى لحظة ومن هنا كان لا
بد ان تأتي الرماية في شكل مقتضب اقتضابا قد يضل في بعض الاحيان
بالصغى • ويشغل طول المسافة الحدة الرئيسية ، ان كان الطريق
الذي يربط بين مصر والسودان يمر ببربر ومنها شمالا او شرقا • فمن
الشمال كانت هناك عدة طرق : طريق كوسكو - ابواحمد - ببربر -
الغزلوم عن البحر النيل ويبلغ طوله حوالي ٨٧٢ ميلا ، طريق وادي حلفا -
مروي عبر النيل ثم طريق الصحراء الى ببربر والخرطوم (نظرة التضاريف)

(١) نديم شقير ، ص ٧٨٦ - ٧

Cuzzi, p.59

(٢)

ibid., p.56

(٣)

ويبلغ طول هذا حوالي ٧٨٢ ميلا ، طريق وادي حلفا - ام بئول عبر النيل ثم عبر الصحراء الى شندى فالخرطوم ويبلغ طوله حوالي ٦٥٦ ميلا (١) كسان على فوردون ان يبحث برسوله ليقول ان هذه الحثات من الاميال ويتصل منها طريقا . ولقد كان اتصرا الملق ٥٧١ ميلا ، طريق كورسكو - ابراهيم - بربر - الخرطوم يعرفون مسارا منطقة يسيطر عليها الانصار عليه ، الامر الذي حتم على حاملي تلك الرسائل اما العبارة بشبر هذه المندقة او اختصار

اما من ناحية الشرق فهناك احتمالان : طريق سوان - بربر - الخرطوم ويبلغ طوله ٤٤٥ ميلا تقريبا ثم طريق مصر - كسلا - ابراهيم - الخرطوم - ويبلغ طوله ٦٥٣ ميلا تقريبا (٢) فان يمكن ان يكون الطريق الاول مثاليا لولا سقوط بربر وانغلاق نار الثورة في السودان الشرقي . لقد ظل ذلك الجزء من البلاد ناديا حتى منتصف ١٨٨٣ . كان عثمان دقنه يسيطر اخبار المهدي على الجند ، الى ان قرر ان يذهب الى هناك الى هناك فاستولى عليه المهدي بركته وعينه اميرا على الشرق وحطه خطابات للاهالي والاعيان يدعونهم للقيام لنصرته . فاستجاب له قبائل العساناب والبدندوه والارتيقة وتوجهوا لحصار الحاميات المصرية في مواقعيها الثلاثة في باور ومنكات وسوان في آن واحد (٣) .

وفي مطلع عام ١٨٨٤ تمتعت قوات عثمان دقنه من السيطرة على ارض سوان بربر (٤) كان لهذا الطريق أهمية خاصة بالنسبة للخرطوم ، رغم عدم وجود خط للسكك الحديدية الا انه اتصرا طريق سوان من الشمال يوصل بين الخرطوم والعالم الخارجي ، وفقدانه بلا شك يهدد

Sol. Frazer, "Relief of Khartoum", see p. 217 (١)

Ibid., (٢)

(٣) - ٧٤٨ - ١

Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, p. 77 (٤)

المدينة اكثر اكثر نحو منتصف دائرة الخدار . ولقد حاولت الحكومة المصرية استعادة سمعتها في المنطقة الا ان نشاطها اقتصر على بعض الاجراءات الدفاعية ولم تذكر في شن اي هجوم ضد الانصار . فاشتدت قهقهتهم على كل من سادات ولوكز ، وما سواهم من ذلك بقي طريق سواكن - بسبر تحت سياورتهم ولم يكن باعذان اي جاسوس اختراق سفوفهم ليصل برسائل ما الى سواكن حيث تواجدت القوات المصرية .

بعد مضي خمسة اشهر على الحصار وانقطاع الاتصال التلغرافي بين غوردون واما طت القصاصات الصغيرة من الورق التي يحملها ~~الاجراسيون~~ ~~الاجراسيون~~ ولا تكشف ابدا عما يدور بخلفه وعن الوضع على حقيقته . فاستترأيه على ارسال مائة مئة مئة باثا على ظهر الباخرة " الحبار " التي يتمكن بشخصه وما يأخذ من وثائق من ابلاغ المسؤولين بالحقيقة .

نصار الخراطوم في ٩ سبتمبر ١٨٨٤ وصحبه قناصل انجلترا وفرنسا والمانيا وبعض التجار والمواطنين من المصريين والافريق . فزوده غوردون بجمجمة كبيرة من الف الفات الى هرنج والندوي بالاشافة الى مذكرات يومية بالاحداث وخريطة رفعت الى الباب العالي ورسمها اربعة وثلاثون من الضباط رؤساء الدراوين والحمام يتوسلون فيها اليه ان يرسل جنده لاحتلال البلاد وكسر شوكة العصيان (١) .

اعد غوردون اوامره لاثنين من البواخير لتحتج " الحبار " الى ان تتبدى مناطق المناوئتم تعودا ادرا دوما . ووشم ان الاستول الثاني قد تمرر لهجمات الانصار ضد مزارقه الخمر " الا انهم تمكنوا مسن ابتياز برردون اسائر في الارواح .

ومن نتائج هات يا رنا المرومة متخلفين طريقهما جنوبا . رام يكن غاليا على الانصار الذين كانوا يتابعون حذم الاستول من الشواشي

(١) المندى الى غوردون ، ٢ محرم ١٣٠٢

٢٢ أكتوبر ١٨٨٤ . ملحق و

ان "الحساس" قد أصبحت مفترداً • ولعلهم ايقنوا انباء في سبيلها الى
مصر فانتشروا الخبر بينهم بمنزلة من موعظة راجت • ولقد درج الانصار
على اهل بلاد الشام واليهود في المؤيدى المتكلمة فكيف اذا كان بين هؤلاء
يخشى الجانب الذين لا تغالبهم العين • ولقد ذكر المؤرخ محمد عبيد
الرحيم ان الحساس كان " يتأجج في ثوب الثوار ولا يكتوا رجلا ابيض
اللون ثياب البصرة ان يغلبت من بينهم ولو اتشد نفقا في الارض او سما
في السماء " (١) •

وقد كانت الانصار الكثرة عندما اصطدمت "الحساس" ببصرة
في ثلاث رده في ارض المناصير (٢) فسارع شيخ قرية به ، الفقيه
ود عثمان ، بتبليغ امر السفينة العائدة الى سليمان نسطان ود قصر نما
بان من هذا الا ان نوب كميناً لقافلة مشيرة فابعدت في خمسة عين • وقد
استولى سليمان على كل المكتات التي كانت على متن الباغرة وارسلها الى
بربر لتبحث من ناك الى المؤيدى (٣) •

وبهذا جاءت انصار غوردون مزودة فلكل لسان مودة ستيررت
ووقعت وثائقه السرية في ايدى شخصه • ولقد استفاد المؤيدى بعد رجعة
ابيرة من هذه في توثيق سجنوه على المدينة (٤) •

ولاحظ انه قد تسلم تلك الرمايل في الرث الحساس به وذلك
بعد وصوله لمنطقة الخراس مباشرة • كما انه يتأكد ، ثقة يرتكز عليها في
تقرير خطه بصورة محددة ونمائية • فقد استفاد من هجمات ستيررت في

.....

(١) محمد عبيد الرحيم ، ص ٨٠-٩٠

(٢) يقول سلاطين ان القبطان كان انصاريا • وقد اوضح الاصططدام
عن قصد

(٣) Slatin, p.323.

(٤) ابراهيم فوزي ، ١٩٦١

مسرفة قوة الحامية وتوزيعها ومواصل النصف في حال النار من حيث توجيه الجنود والاستحكامات • وقفنا على حقيقة شعور السكان بمدى التعاطف الذي يجده بينهم • ونرى كل شيء ، تأكد انه موقف المدينة التموين والوسائل التي يتخذها قورودون لمواجهة الازمة الغذائية • فكان ان وادع حزمه على سعي تشديد الضغط على الخربلوم واستنجاح كل مناخذتنا للدراية الدقيقة حتى ينمطونا الى استبدال صنزونيا •

ولعل المبدأ قد احدث على هذه الوثائق في تقدير المدة التي عليه ان ينتفرا قبل ان يوجه ضربته • فقد كان يسعى الى احتباس الحياة من ربحان الحامية حتى يجبروا على التسليم او تصبح مشاورتهم لهجومه ضربا من المستحيل •

المشكلة المالية

ان جاز لنا ان نعتبر الجنسود في المرتبة الاولى من سلسلة احتياجات غوردون ، فان المال بلا شك يأتي في المرتبة الثانية .

ولقد فنان كل من بيرنج والحكومة المصرية لهذه الحقيقة فوجدوا غوردون بالاطلاق يده ليصرف اي مبالغ يرى انها ضرورية . ولكن يسببوا ان هذا العهد كان شبرا على ورق ، ان سوان ما اشغاره بيرنج ان يقتصد في النفقات الى اقصى حد ممكن اذ ان مصر يوضعها حينئذ لم تكتسب من تستيج ان تتحمل اي اعباء مالية في الغوردان (١) .

فادر غوردون القاسرة وسحورته ٤٠٠٠٠ جنيه ولقد انقضت سدادات القاسرة محافظ اسبوت ان يدفع له مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه اخرى (٢) ولكن غوردون قرر الا يعمل منه كل هذا المبلغ تمسكيا لاختيار الطريق في رتبة اولية عبر حجاره ، وفنادق غير آمنة تماما . فتروك المبلغ في اسوان على ان يرسل له بصورة متخفية فيما بعد لا تثير انتباه احد . واكتفى في رحلته بمبلغ ألفي جنيه (٣) .

وقد تمت سدادات اسوان من ارمال ٥٠٠٠٠ جنيه بالتمويل الا ان هذا المبلغ لم يتقدر له ان يحل الى النوازل .

لم تكن بيرنج مستلمت بعد ، ولكن كان الطريق الى الخرطوم مغفونا بالمخاطر ارسان كل تلك الاموال ربما يعرضها للضياع . فكتسب من

(١) بيرنج الى غوردون ٦ مارس ١٨٨٤ Egypt 12, Enclosure II in No.299

(٢) بيرنج الى جرانفيل PRO, F٥ 78/3667.

(٣) بيرنج الى جرانفيل ١٣ فبراير ١٨٨٤ PRO, F٥ 78/3667

الحكام الاحتفاظ بها في خزنتهم بانتظار ظروف أكثر ملائمة • ورغم كل هذا التحذّر فقد وقع المبلغ في أيدي الانصار عندما سقطت بربر واستولى معصود الصغير على الخزينة وما لبث العمدى ان بعث بإبراهيم ود عدلان لينقل محتوياتها اليه (١) •

ولم يكن مبلغ الاغني جنيه الذي اخذه غوردون من القاذورة ليماري شيئاً ايام احتياجات مدينة في حالة حرب • فبالإضافة الى بنود المعسكر الثابتة • كان لا بد ان تنشأ مع الحصار جملة التزامات يعتبر السواق بها امراً حيوياً لاستمرار صمود المدينة • وجد غوردون ازمة مالية في انتظاره تعمسود ذيولها الى ثلاثة اشهر غليون • فالحق كانت الخزينة خافية وسبق ان طلبت دى كتلوجن من سلطات القاذورة ان تبعث له ١٤٠,٠٠٠ جنيه ليسد فجع رواتب الموظفين والجنود الحفارة (٢) •

ولعل العلامات والظروف التي احتاطت بمعالجة مسألة السودان تدل انست الحكومة المصرية الامر نظاماً وربما تجاملت الطلب فنياً بعدم تبرير سياسة الاختلاء لاعتقادنا انها لم تعد في حاجة لخدمات اولئك الموظفين والمهند • وقد كان على غوردون ان يتحمل نتائج تقاعس السلطات المصرية ان وجد ان ابقاء هؤلاء المسعة قد يعين قه خدمته امراً لا بد منه • وعليه فمن الضروري ان يجد المخرج الفني بالالتزامات الحكومة المالية تجاههم • فأنشأ الى الاستدانة من بعض التبرار ولم يحض على وصوله الى الخرطوم شمس واحد • (٣) •

لم ينب عن باله من ناحية اخرى ان السياسة السلمية التي وتلبد

(١) نعم شقيب • ص ٧٦

يقول ابراهيم الجوردي ان الممدى بعث بالسر ابراهيم الجوردي لهذا الغرض •

(٢) Parr, "Outline of the History of Gordon Notes",

see p. 218

(٣) ابراهيم الجوردي • ص ٢

عززه على انتشاجها من اجل كسب المؤيدين لحكومته كانت في حاجة الى المال لتثبيت اركانها • فشرع منذ وصوله فسي توزيع العملات الذهبية على كل من يستخدم له بشكوى او ظلامة (١) • كما كان يدفع مكافآت لاولئك الذين يمدونه بمعلومات عن تحركات الانصار ويدفع اعانات مالية منتظمة للعلماء والفقراء مقابل قيامهم باقتناع الاعالي ببسطلان دهوى المهدى (٢) •

وقد كان من بين الاغراض لندفع بعض التعويضات للمساكين الذين يرى استخدام منازلهم في اغراض عسكرية (٣) •

وكان ايضا بحاجة الى المال لمواجهة جملة مشاكل اخرى • من ذلك مثلا اغراء الجواسيس بجوائز كبيرة لعمل رسائله الى مصر (٤) • وكان عليه ان يحتاج كميات من الاغذية لسكان المدينة • من سائر بعض القرى المجاورة •

لجأ غردون كما سبق ان ذكر للامتدانة من التجار والضباط الذين لديهم بعض المدخرات لاجل حل للضرورة المالية • وكان يصرر لكل مدين ايضا بالبيع على امل ان يتمكن من مداده • حالما تتوفر لديه الاموال او على احرى القول ان تنجم هذه التدفقات بدفعه اذا ما قدم اليها الايصال • وهذا انه على سبيل الاغراء كان يدفع لهم

(١) Guzzi, p.51

(٢) Nashi Pasha, p.26.

(٣) Iold,

(٤) Guzzi, p.56.

ربما تدره قرش واحد على كل مائة قرش (١) وتعد ثلثا بعض المصادر أن إحدى السيدات وهي أرملة التاجر الشركسي مصطفى تيرانس، أمدت غوردون بمبلغ كبيرة فأكرم عليهم " بنجمة الحصار " (٢) إلا أن بعض الثبائر الذين شجوا لمساعدته في بادئ الأمر قد اتجموا عن مساندته إلى ما لا نهاية ربما لاقتناعهم بأن موقف الحكومة يضعف يوما بعد يوم وأصبحت إمكانية وصول أي أموال إليها بعيدة التحقيق .

ومن ثم حاول غوردون وسياة أخرا " بتديدة لعلها تنجح في استمالة التجار وفي توزيع القاب الباذنية واليكوية عليهم كل حسب وضعه الاجتماعي ، غير أن هذه لم تحزن بطلا ببعيد المدى إذ هذا التجار يتسألون عن ماهية هذه الالتساب إذا استقر الوضع كما هو وقرعوا بنهاية الأمر في أيدي الانصار . فأستقر رأي غوردون على إصدار حملة ورقية محلية عرفت " بأوراق البون " ولعل تاريخ إصدار هذه الحملة ٢٥ أبريل - يكشف أن غوردون كان يحاني فعلا من أزمة مالية بعد مرور شهرين تقريبا على وصوله . وكانت " أوراق البون " عبارة عن امر دفع يصرف في القاهرة ويحصل توقيع غوردون ونقمة بجانب ختم الحكومة . حملت كسل ورقة نمره سلسلة وعبارة فحواها أن هذا " المبلغ مقبول وسيدفع من الخزينة في الشرايين أو القاهرة في أي وقت بعد مرور ستة أشهر على هذا التوقيع " . ٢٥ أبريل ١٨٨٤ " (٤) .

كانت حملة الأوراق التي طبعت في بادئ الأمر تساوي ٥٠٠٠٠ جنيفيا من فئات ١٠ - ١٠٠ جنيفيا إلا أن مبلغ ١٠٠٠٠ جنيفيا قد طبع فيما بعد من الفئات الصغيرة ذات القرنين والخمسة والعشرة .

والتب غوردون بعد ذلك على توفير كل ما يحتاجه من مال بمسند

(١) الممدى إلى غوردون ٢ ستم ١٢٠٢ (٢١ أكتوبر ١٨٨٤) ملحق و

(٢) Ohrawlder, p.143

بنجمة الدصار هي عيد البية قد تكون فنية أو دمجية صكها الصافنة بناء على رغبة غوردون ليستجلى بها ممها والنوالم وتاريخه .

(٣) Nuşhi Paşa, p.26.

(٤) Ibid, p.127.

الوسيلة • فأصدر ذات مرة ٦٠.٠٠٠ جنيه ثم ٧٠.٠٠٠ جنيه فيما بعد •
يقال انه دفع منها زيادات في مرتبات المستعدين وارسل جنزاً منوهاً
لامية سنار (١) ويقدّر جملة المبلغ الذي طلبه غوردون ب ٢٤٠.٠٠٠ جنيه •

وكان استقبار االى الشرط لاوراق البنون متفاوتا يتمكن المسمى
درية كبيرة مدى ثمة كل فئة منهم في الحكومة : فقد تمكن السودانيسون
عموما في قيمة السلطة الحقيقية وكان الاتباه بينهم بوصالة التخلص
من اية كمية تقع بايديهم (٢) في حين ان طبقة التجار بما فيهم الافريق
والسوريون والمصريون وربما بعض السودانين قد ابدوا استجابة طيبة وقبلوا
التعامل بها على امل ان تساعد هذه في تنوية مركز الحكومة المالي وبالتالي
تتمكن من الصمود في وجه الانصار • ولكن يبدو ان فئة منهم رفضت
التعامل بها الاموال الذي دفع غوردون الى اعلان شتات صارمة بحسب
ولاء تفاوت بين التسليم للسود والاعدام رعايا بالبرصا (٣) • وقصد
المدار لعيس اربعة عشر تابرا في طابيه السرايا الشرقية في مواجومة
مدافع الانصار عقابا لهم على رفضهم السلطة الجديدة ولم يطلق سراحهم
الا بعد ان قطعوا وعدا بالاعتراف بها •

غير ان كل هذه الابراءات لم تبطل تداول العملة امسرا
يسيرا • ان سرعان ما برزت مشكلة التزوير • فبعد الهوشا بفتسيرة
وجيزة اكتشف احد رجال الحكومة ورقة مزورة من فئة العشرين
قرشا وقد اثبتت التحريات انها من فعل احمد وسابرا بنى الشيخ عبد الشفي
السلوى نقدا للمحاكمة •

(١) ابراهيم فوزى ، ص ٢٥٣

Nushi Pasha, p.127

(٢)

(٣) نصحهم في ص ٨٠٩

بالإضافة إلى هذا فقد حاول بعض التجار شراء كميات كبيرة من أوراق البون بمبالغ زهيدة أقل كثيرا من قيمتها الرسمية حتى يتمكنوا من امتلاكها بكميات كبيرة ما توفرت النقود بقيمتها الحقيقية (١) إلا أن غوردون تمكن من كشف حيلهم وكان بينهم السيد محمد علي أغا بريازي ومحمد سعيد الدباغ ومحمد حسن خير الله . وقد عاقبهم بالحبس في السرايا الشرقية وعددهم بالتسليم إلى الإنجليز إذا ما تم عدادوا لفعلتهم تلك .

إلا أن التاجر الحفني الذي كان يحدد تداول العملة الجديدة بـ ١٠ بونك قيمتها . فاقد لوزنه . بعد حوالي شهرين من إصدارها ان قيمة البنية قد هبطت إلى ٨٠ - ١٠ قرشا .

ولم يكن ارتفاع الأسعار هو السبب في هذا بل على الأرجح ان عدم الثقة في أوراق البون هو الذي أدى إلى هبوط قيمتها (٢) . واشتداد انحصار حول المدينة أغذت هذه المشكلة تتخذ شكلا أكثر حدة حتى ان قيمة البنية هبطت إلى ١٥ - ٢٠ قرشا فقط . وكان من الطبيعي ان يخلق هذا الوضع موجة تذمرات في صفوف الجند والموظفين (٣) ولتلافي هذا عمل غوردون على احباطهم بأوراق انماوية وهبات مالية فوق السرواتسب حتى يعرضهم عن الفرار بين القيمة الرسمية للعملة وقيمتها الحقيقية في الاسواق (٤) .

(١) Nuşhi Paşa, p.132.

(٢) Parr, " Outline of the History of Gordon Notes "

(٣) إبراهيم فوزي، ص ٢٥٦

(٤) Parr, " Outline of the History of Gordon Notes . "

مشكلة المصون

كان لا بد ان تواجه الخرطوم ، شأنها شأن اى مدينة في حالة حصار ، مشكلة المواد الغذائية . وقد اضاقت هذه الى غوردون حيثما يزيدا ان أصبح لزاما عليه توفير الطعام الى ما يقارب الخمسين الف شخص الى اهل غير مصون . فأضطرت الى غرض معارك ضارية ضد مجموع الانصار رحتى يجبرهم على التراجع ويبقى الطرق المؤدية الى المناطق السق الزراعية التي تعتمد عليها المدينة مفتوحة له .

ولان الانصار يرون من ناحية اخرى ، ان تحقيق مجاعة فسي الخرطوم - وهدف رئيسي ووسيلة فعالة لعطيلها على التسليم .

نتج انصار المسيح المهيذ وود البصير منذ البداية في حصار الخرطوم عن مناطق تسمىها التقليدية . وباء ابو قريجه يفرض مزيدا من الرقابة على اشراب الجزيرة حتى لا يدخلوا اليها شيئا من الخلال والابتكار . وواظبوا في ذات الوقت على شن هجمات على بواخر غوردون متى ما ظهرت على مرمى البصر . وعند وصول انصار النجومي اتمت لهم السيطرة على كامل المناطق المتاخمة للمدينة سواء من جهات البريف والحلغايه او الجزيرة وشكلوا بالتالي من فرس حصار شامل على دغول اى مواد غذائية من المدينة .

رغم ان الخرطوم كانت تحوى ضمن تنميتها ارضا جميلة اراض صالحة للزراعة يمكن استغلالها في وقت الشدة ، الا انها كانت تعتمد فسي تصنيفا على المناطق التي تحدها من الجنوب والشرق وعلى مناطق شرق الجزيرة الممتدة الى سدار . ولقد بدأت ازمة الدارلم حينما قامت الثبائل القاطنة في تلك الجهات انصرة المهدى . فهدبر بعضهم الزراعة تلقائيا لايمانه بأن الجهاد افضل . وثمة بعضى آراستنفير بواسطة دهاة المهدى انبذ مبادئ هذه الدنيا الزائلة والمساومة في اقامة دين الحق . فتوكمسوا

مزارعتهم تحت رعاية ضمار الابداء والرقيق (١) . وقد غدا المهدى من عند
البداية الى الدور الذي يمكن ان تراه فيه هذه القبائل في امداد الخوادم
بالغذاء فأصدر لهم منشورا يأمرهم فيه بقطع علاقاتهم التجارية مع اعمالي
المعاملة والامتياز من تسريع الخلال بدائلها (٢) .

وقد تعادى بعض دعاة المهدى في تعدد رجال تلك القبائل
بالقول ان من دخل الخرطوم فهو كافر يرمى في ماله واولاده غنيمة (٣)
ولحل الامور الذي اتخذته الحكومة بشأن شراء كميات من الخلال فسي
آخر ١٨٨٢ واول ١٨٨٤ كان رد فعل لهذا المنشور فحدث انسحاب
حاميتي الدولة والدويم ما رجع رجال الحكومة الى شراء كميات من الذرة من
قرى النيل الابيض. جرى تخزينها بالذخيرة . كما تضمن محاكم سنار من الحصول
على كميات اخرى بحث بها الى الجامعة في صالح ١٨٨٤ (٤) .

اذن وجد غوردون عند وصوله ان موقعا المواد الغذائية
لا تبار عليه ، فقد قدرت كمية الذرة بحوالي ٢٣٥٠٠ اردب ، بالاضافة
الى ١٠٠ اردب من القمح وكميات من الارز والبقسماط و ١٤ قنطارا
من المسيل و ١٠٠٠ قنطار من الزيت و ١٠٠ قنطارا من الزبد (٥) .
واحد كانت هذه الارقام مسجلة في دفاتر الحكومة الا ان غوردون اكتشف
فيما بعد اختلاسا في المواد قام به حسين سري المنزني واتضح ان

(١) بابكر بدري ، ص ٢٠

(٢) The Times 25th November 1883.

(٣) ابراهيم فوزي ، ص ٢٠٦

(٤) المصدر السابق

Nushi Pasha, p.4. (٥)

الذميات الموسومة تنزل كثيرا عما هو متعبد في الدفاتر (١) قدر غوردون
استهلاك الجنود اليومي بعنواني سبعين اردبا من الذرة (٢) ، ولو اقتصر
المصرف الحكومي عليهم لا يمكن تدبيره خاصة وأنه قد تنفق من المصنول على
ذميات اضافية فيما بعد . ولكن غوردون كان مضطرا لاعانة نفقات اخرى .

كما ان وصل الى النعمان حتى بحث بـ ٦٠٠٠ اردب من الذرة
الى بربريدوان حسين باشا خديفه كان قد طالبنا منه (٣) . ولعله كسان
يترك المدنيين ليهبوا على تأييده من طريق صرف المواد الغذائية لهم من
منازل الحكومة حتى انه كان ينفق على حي بأكمله قدر سكانه واربعة الاف
شخص تقريبا (٤) . ولهذا كان لا بد من اخذ الاحتياطات اللازمة لتوفير
الغذاء في المدينة حتى تتمكن من الصمود . فمعها تارن تعداد رجال الحامية
وما يملونه من سلاح فأمنهم لن يثمنوا من عدد يتجهون يمينه الانصار وهم يهوى
بالارادة الى انه ليست تمة مدني يتمسك بحكومة عاجزة عن توفير اول متطلبات
الحياة له .

ومن هنا جاء قرار غوردون الذي اتخذه حال وصوله الى الخرطوم
بعدم استهلاك المواد المغزونة في المصرف اليومي والاحتفاظ بها لسوق
السدة وعزل في ذات الرقعة ايجساد مصادر ائتمن المدينة باحتياجاتها
اليومية .

ولما اتاحت له الظروف ثلاثة من اعد بدل جهدا شارفا فسمي
استغلالها لاقصى درجة .

(١) ابراهيم فوزي ، ص ٢٨٢

Nushi Pasha, p.126.

(٢)

Journals of Gordon, 19th October, 1884.

(٣)

(٤) ابراهيم فوزي ، ص ٢٨٢

أ - الفارات على مواقع الانتصار

شملت معمرات الانتصار التي بدأت في التنازل على مشهورات الفارات منذ مطلع شهر مارس، أول مصادر غوردون التوسعية، إذ تم إكمال المناقص الزراعية المنافسة للخطوط بعد المحاربين بكميات رائدة من السدرة بـرى تغزى داخل المواقع العسكرية. فخرى غوردون أثناء هجوم على الاستيلاء على تلك المخزونات. فاضحت تلك العملات فائدة مزدوجة، فهي بالإضافة التي عنها العسكري الذي يمثل في أبعاد الانتصار على التراجع تقدم حلاً جزئياً لازمة الذاء في المدينة.

وعند وصول قوات أبي فرجة وأتباعه مراتها قبالة الماية بـرى غوردون قوة لمهاجمتها، فنجحت هذه في انزال المزيمة بما فتراجع الانتصار مختلفين وراءهم كميات من الذرة قدرت بأربعمئة أردب (١).

وفي أقسام أرسل غوردون فرقة اتتبعهم في معسكرهم الجديد الذي أقاموه في الجريف فتمكنت من الاستيلاء على ٦٠٠٠ أردب من الذرة وبعض الأبنار (٢). أما مخيمات ما في بك فقد تركزت على تجمعات الانتصار في النيل الأيمن. حتى تمكن من القبض على ١٠٠٠ رأس من الأبنار (٣) ونجح من وراء المصطبات العسكرية حول الخرطوم أن هجم على النخلة الدورية للنيل الأزرق، ديارهم في محاولة لا يهمل ماوى آمن فبعث غوردون أحد قادته، محمد علي باشا، ليكشف ما إذا كان الأبنار قد ضاعوا وراءهم أي مواد غذائية.

Nushi Pasha, P.41

(١)

(٢) إبراهيم البربريني، ص ٤

Nushi Pasha, p.41

(٣)

وقد صدق حدى غرورهم اذ ثلثت الخوة من ونى بهما على كميّات من الاغذية بينما يحنى الزيت واحة من الذرة قدرت بها المصنف
اردب (١) •

كانت منطقة الحقلية فيها منى مركزا لتجميع القبائل وحركة اسبى الخلال الا ان تساعد العمليات العسكرية لميتا ادى الى مثل حوكمة تلك السوق فلم يعد بامان الاحراب المعشور ببنائهم ولم يكن بامكان انجلي المرامى المخرى لشراء احتياياتهم منها • وقد تغافل غرورون بعد ارتفاعه ابي قريته على التراجع فحاول ان يمسك الحياة المايضية الى المنطقة فاوفد كلاً من محمد علي باشا وفرج الله بك على رأس قوة تهدف لاجتبار السياسى العبيد على اخلاء الموقع فانهزت السلطة هذه المهمة وهبسات محملة بكميات من الذرة والمواد الغذائية (٢) • ونتيجة للمؤدء الغمبى الذى ساد المنطقة فقد ظهرت الخلال مرة اخرى وتزامن الى الشرط على شرائها وبيعات الاسمار الى مستواها السادى لاول مرة منذ بدء البصار (٣) •

وفي احدى المهمات على منطقة ام درمان استولت قوات الحكومة على ما يقارب التسعين رأساً من البقر • وشبى
صخرة اخرى تم الامتلاك • على ثمانين منجى • (٤) •

(١) Nushi Pasha, p. 41

(٢) ابراهيم البوردني ، ص ٤

(٣) المصنف السابق

Nushi Pasha p. 116

(٤)

كان الانصار يستملكون الابقار بدرع يقيهم نيران العدو •

ب - المعطيات المعاصرة الى الجزيرة

كانت سنار وناهارا من قرى بني العمد الثاني السعدي،
 اتحد عليه غوردون في امسك المدينة بالفضاء . ولهذا فقد
 كان يحارب تصاعد السلطات العسكرية في تلك المنطقة بكتيبي
 من المقاتلين ، ان سيطرة الانتصار على الطريق سيجعل بموقع
 ازمة غذائية في الخراب . يجب علينا (١) ولعل غوردون قد
 كتلوحيته قد فسد الى هذه الحقيقة قبل وبعد غوردون في
 صالح البلد الى رأس قرية من البساتين الى غدا في عصر
 عندنا هناك ونحن به ليعني . (٢)

ورغم ان هذه القوة قد سمحت بمرور الوقت امام المجموعات
 الانسانية المتسلطة اسيرا لثروات ابي قريه وانقضاء منذ ذلك الحين
 اي اتصال بين النهر وناهارا . كان غوردون من انقاد اي بعثات
 الى سنار الا في أغسطس ١٨٨٤ حينما عوانا ابي قريه واضطروهم
 الى التراجع فأصبح الطريق آمنا بعض الشيء . فأرسل غوردون قوة
 تحت قيادة محمد علي باشا ليعي قرى النيل الأزرق في محاولة
 لدرء مواد غذائية . وقد توخيت من تروا الى قرية ابي سراز التي
 صفت بشرايا لكونها موزا . اما لتجارة العيشه وقد نجح محمد علي
 باشا في رفع السعار عنها واستولى على ١٨٠٠ اردب من الذرة .
 و ٨٥ ألفا من الهم . و ٢٢ ألفا من السمسم قبل ان يعبر
 الدابة الى الخراب (٣) .

(١) Journals of Gordon, Vol.I, 14th September 1884

(٢) محمد عبد الرزيم ، ص ١٤

Nushi Pasha, p.66.

(٣)

بحث فوردون بعد ذلك بحيث يترك بهاراتي الى سنار بعد ان الحصول على كميات اخرى من الذرة وسحق المون التي كانت سنار غنية بها ، ويبدو ان انبالي سنار كانوا على علم بازمة الخواص النخوية لخصائنها في ارمينيا المواد الغذائية لذويهم في العاصمة فعادت السفن مملئة بها . الا ان نصيب الحكومة لم يتعد الالف اردب من الذرة (١) ولهذا اوقع فوردون البشارة ببخيت بك تفقد وتليفته (٢) .

وان مدير سنار ، حسن بك ، كان يمني تماما بوزمدينته في توفير الخرايم بالعداء عيذل غاية جهده لمقابلة تلك الاحتياجات رغم ان سنار كانت تحاول هي الاخرى التناك من تفضة الانصار ومع هذا فقد امر السنان بضرورة جمع الذرة من القرى المجاورة بهم كلما ساعدت لاسم القرية (٣) واخذ يقوم من جانب بين القرية والاخرى بالهجوم على محسرات الانصار المنتشرة حول المدينة لمستولي على ما يجده فكلما من مؤن . وفي ذات مرة ارسل فرقة من الجهادية بقيادة اربعة مسمين السناجك الى شاملي ، النيل الازرق ، الشرقي حيث كان الانصار قد خزنوا كمية من الذرة وبعد مناوشات دامت ثمانية عشر يوما نجحت قوة سنار في الاستيلاء على تلك المحنونات (٤) .

وفي سبتمبر ارسل فوردون محمد نصحي باشا في بعثة علمية الباغرتين " البوردين " و " تل الشوين " الى سنار فأمدته بمسكن

(١) ابراهيم غوزي ، ص ٣٥٣

(٢) Nushi Pasha , p.67

(٣) عبيد الله افندي محمد ، تغاريم واغادات من حصار الخراب وسنار .

(٤) المصدر السابق

بنت من تلك الكمية التي تم الاستيلاء عليها (١) فأخذت عمولة بلغت ثلاثة آلاف أردني • كان نصيبه الحكومة منها ألفان وما تبقى كان مدياً من المال، حصار السيوفهم في الشريط من كميات من الزيت والسمن (٢) •

ألا ان ذات السوء لم يقدر له ان يستمر فما ان وصل عبيد الرحمن النومي حتى مضى مرة اخرى للسيطرة على الطريق فسيده بابيه في البصرة وجعل عليها قوة من رجاله لا تستهدف شيئاً سوى بواشرفوردون حتى ما ناهزت في الافق (٣) • ومنذ ذلك الحين فشلت كل محاولات غوردون في اختراق ذلك الحصار ففقد بالتالي مديراً من مصادر التموين الرئيسية •

ج - عمليات داخل المدينة

وانظر غوردون لاتخاذ جملة اجراءات لتفادي خطر المجاعة التي اصبحت تهددها وشيك الوقوع ، فحين بعث ببعثته للاستيلاء على كل الغلال الموجودة في المدينة • واجهت الحكومة تبعاتها بدورها للمستولك

(١) اسماعيل اغا ابراهيم ، تقارير وفادات عن حصار البصرة - - - - - وسنار •

(٢) Naghi Pasha, p. 77

ابراهيم فوزي ، ص ٢٥٢ قدر نصيب الحكومة بالآلاف ونحوها •

(٣) Naghi Pasha, p. 50

الذي يقدر على الدفع (١) • ثم امر سكان جزيرة توتي بزراعة اراضيهم وجلب المحصول الى الشونة • وكذلك كون لجنة خاصة لمتابعة هذا الامر برئاسة فرح باشا الزيني وقد تم حصد حوالي ٢٠٠ اردب من الذرة (٢) وفي آغسطس ١٨٨٤ تأزم الموقف بشكل محاد ان كل ما امكن جمعه من صون قد نفذ تماما من مخازن المتكوفة • فشكل غوردون لجنة اخرى برئاسة القنصل اليوناني نيكولا ليونديس ليقوم من جديد بحملة تسقيف شاملة في المدينة تأتي بثل ما تجده في حوزة السكان الى الشونة تاركة لهم مائة عشرين يوا •

وقام رحمن جانيه بتسريع اعماله لكل من صودرت غلاله يقضي بدفع ١٢ دينار للاردب • مما اثار رغبة القوات الانكليزية • ورغم ان هذه اللجنة قد واثبتت على القيام بمهمتها يومها لمدة شمر كامل الى ان كل ما امكسن المحصول عليه بلي حوالي ٢٠٠ اردب فقط •

دعا غوردون قادة الكتائب في كوسية تدارك الامر فاستقر الرأي على الاكتفاء بنصف التامين المقرر للجنود (٣) • ثم كونت لجنة اخرى برئاسة احمد بك علي سلاط، وعضوية ابراهيم فوزي و ابراهيم البورديني و نيكولا ليونديس والمعاون فتح الله و نيكولا بك الطبيب اليوناني و لتجري بسنا دقيقا في المدينة من اى مأكولات مخزونة لدى السكان •

وكان نتيجة هذا البحث حوالي ٦٣ اردبا من الذرة وبعض الابنار الخائرة التوى (٤) •

(١) ابراهيم البورديني • ص ٨

(٢) المجلس التشريعي • ص ١٠

(٣) Nushi Pasha, p.140

(٤) Ibid, p.145.

لجاء غوردون بعد ذلك الى الدليبيب يستنصر بها اذا كسبان
بناك عائق صحي في سبيل تغذية الجنود بالصنع المخلوط بهجسسار
المنخيل . وقد اتفق الطبيب بأن لا ضرر من هذا . ولعل غوردون كسبان
اول السارفين بأن هذا لا يمكن ان يكون غذاء لتمامية مطلوب منسجما ان
تدائنح حسن بدنية ينفذ على ابوابه السورف
مؤلفة . واتضح في ذلك الحين ان غالبية الجنود قد فقدوا الحصانة
عنه على حمل السلاح نابعك عن استنصاه .

وازاء هذا الوضع كان لا بد ان تنفسي ظاهرة التمرد والعصيان
وتكررت سواد في الغارات الى مستنرات المدي (١) .

وفي ١٦ يناير ١٨٨٥ كانت المدينة قد قنصت تماما على كل ما يمكن
ان يوكل سوا . باستشارة الطبيب اوردونما (٢) . كان الجسمسود
يتناثون من الصنع غذاء اول يناير فقتل مصاصهم الدم الاقوى من اللياقة
التي تؤهلهم لغزو معركة ما لدرجة ان غوردون اصدر موصولا يصفهممسم
من التوقف لتحيته (٣) . وقد وصلت مستنهم درجة من الرنح يمكن اسم
تكن لتسبح لهم بصد ان . هجوم يشنه الانصار لاقتحام ابواب المدينة
ومخلوطا دفاعها (٤) .

اصبح امل غوردون مطلقا بوصول فرقة الانقاذ ، ولعله كان املا
يرتفع على عدم مصرفة غيبيية بهجسم السلطة هذه . فلم تكن سوى ياخرتين
عليهما بضعة مئات من ارادب الذرة .

(١) متولي كامل ، تقارير وافادات عن حصار الخرطوم وسنار .
(٢) شهادة عبد القادر حسن في المخطئة التي عقدت في القاهرة في ابريل
١٨٨٧ لفحاتر حسن بين بهجساوي Mandlium Wingate,
and the Egyptian Sudan, pp. 356-390 .

(٣) حسن بك بينجاري ، تقارير وافادات عن حصار الخرطوم وسنار

(٤) شهادة سيد اندي امين في المحكمة المذكورة .

ولا بد للمرء ان يشغل ما اذا كانت هذه الذخيرة الضئيلة كافية لتأمين العناية الى جند العاصمة لدرجة تفكدهم من النصوص امام المقسرات التي اتجمعت اسوار المدينة عشية السادس والعشرين من يناير . ولقد استجاب احد قادة غوردون بالتفلي القماطع عندما سئل ان كانت مساهمة عملية الانقاذ في حالة وصولها قبل سقوط المدينة ستساعد على صورة من المصور قسي تشييد مجرى الاحداث (١) .

لقد كانت الخراوم تعاني من أزمة حادة واضع سقطها نتيجة لتفشي المجاعة امر يكاد يكون مؤكدا . ولعل خطة الانقاذ لم تكسب لتفعل سوى القليل . كانت مشكلة الجند هي الاغراك الجسدي الذي تعرضوا له في الاونة الأخيرة وفقدوا من جراء لياقتهم وقدرتهم على الحرب . ولهذا فمن الصعب قبول الرأي الثالث بأن المدينة سقطت لان حملة الانقاذ قد وصلت متأخرة اولان الانذار قد علموا بواحدة الهرايسين ان هناك فتنة في المتحصينات يمكن اجتيازها بيسر الى الداخل .

لقد حشد المهدي قواته لحصول المدينة قرابة صباح كامل مارس خلالها حصارا شديدا بملائكة النكبت قسري منسحب الختومة لدرجة انه لم يبق في مخدعهم من العصور اكثر من يسوع واسعد على اكثر تقدير بمحمد ٢٦ يناير (٢) .

وانا ما اقترضا انهم قد هاجموا المدينة من الجانب المغمور من الخندق فان المصلحة هي التي تسببت في بقاءه على ما هو عليه ففدح غوردون على امره بقرع كل جزء تجفيفه الماء الا انه اضطر الى اجماله عندما تدبر حالك الجند الذخيرة . اذن فقد كان مصدر الضعف الاحاسي هو المعالجة التي لا بد ان تكون اثارها قد انعكست على اداء الجند سواء تم هزيمته او تقوية وسائل الدفاع . كان الدمار المصروب حول المدينة شاملا وطويلا اضطر السكان خلاله الى استهلاك كل ما وقع بين ايديهم .

(١) حسن بك بنغازي ، تقارير والاداءات عن حصار الخراوم وسنار .

(٢) المصدر السابق .

كان لا بد ان يراجه الفريق الاخر مشاكل شبهة بتلك الشخصية واجهها غوردون • الا ان هناك عدة عوامل ساعدت في تحقيق هذه الازمة عند الانصار • وثاني فسي مقدمة هذه طبيعة الدعوة نفسها •

فهي تداء لان مسلم لم يظهره لهذه الدنيا الفانية فلا يلتفت لجمع اموال ولا يهتم بها • سلمان ويكتفي في مأكله بما يسد الرمق • وفي ملبسه بما ينم عن التواضع الجم •

اما العامل الثاني فهو الانتشار الواسع الذي حققه المهدي في جملة معارك قبل تقدمه نحو الخرم • وفي العامل الثالث في حجم وطبيعة نفقات الانصار • فلم يكن المهدي يملك جيشا من العسكريين والمدنيين يضطر الى دفع رواتبهم شهرية • حتى ينفقون له الولاء • اما العامل الرابع فهو تجماع المهدي في كسب تأييد الرعايا من قبائل كردستان الذين لم يشكوا من عضده لسيادته على مديريتهم فتسبب بل ساروا معه حتى تمت له السيطرة على الخرم •

المشكلة المالية

بدأ الممدي محارته في جزيرة ابا وعوخال الرفاض بملأه الايمان الصادق بالدعوة . واستدار عفيف للملذات الدنيوية من مال وجاه ومنصب . الا ان هذه الاسلحة لم تدن . وحدها كافية لانزال النزيمة بقوات الحكومة على الدوام . فاستعان انصاره بسورفهم وحرايهم لمواجهة نعيمسوان تسوات رؤوش باشما .

ولم تبرز في ذلك الوقت مشكلة امداد الانصار بالمال لمعيشتهم فقد كانوا بضعة مئات يعيشون مع اسرهم بالوعائل التي درجوا عليها .

الا ان الهجرة الى الغرب وما تبعها من تقاثر اعداد مؤيديه وتوسيع نشاطهم قد حتم عليه ان يجد وسيلة لتحويل الدعوة . فلما تبين تلك الجموع المؤلفة في معيتمه كان لا بد ان يفرس سبل الحياة ان شاء برأضهم من دياره ولقد بالغ في مصدر حيله .

لم يكن امامه وسيلة سواء استنار العوسرين من اتباعه ليجردوا بما يفير عن حاجتهم . فوجه لهم المنشورات والرسائل التي تعتم على نيل ملاحم الجديح والترغ والاكتفاء بالقليل الذي لا بد منه . وقد جاء في اعدادها قوله " . . . انكم يا عثم الله ورسوله وباعتموني وقبلكم بي وبيعتي على نصرة الدين فقد قبلتكم ونسأل الله ان يقبلكم ولكن لان ان تعملوا بما يرغني من البذل للنفس والذبيبة عنها لله ورسوله فانه على قدر الغيبة عن الحسن يزيد العهد من الملوك القدسي فاعلموا من النظم الى ظاهركم لتروا من القدسي الحلو في الداء . يدوم لكم وليكن نظركم في خدمة ركم فقط فصان حب المال والجاه الذي شواصلاح ظاهركم فان على قدر الامل فحسبي ذلك والاكتار يظلم القلب ويشترك في النصيب الشيطاني كما ورد ان حسب العمان والجهاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت

الماء السبيل ٠٠ (١) وكان يكسر لهم دوما قوله تعالى " هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم " فالتضحية بالمال تأتي قبل النفس .
وعليهم ان يتخذوا من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم امثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان قدوة يحتذون بها في هذا المجال .
فقد كانوا يصرفون من مالهم الخاص لخدمة الجيوش " وكان المسبى لا يقدر على ذلك بجهز المايه وبعضهم الاثني والثلاثة . حتى يكون البعض الذي لا تملكه ايدي المحايه بجهز من بيت المال " (٢) .

ولم يضمن المهدى يستولي على اموال ائمه عنوة بل كان يسمح عن طريق الوعد والمفاوضات لاتخاذهم بتدبيرها لبيت المال من تلتصا انفسهم . ولكن هناك حالة واحدة اختلف فيها الاستيلاء على اموال الانصار مباحا ، وهي تعطيل على اولئك الذين اقاموا في احدى المواقع التي تعرضت للحصار ، الا انهم خرجوا للمد ، قبل سقوط الموقع .
في هذه الحالة " تنضم جميع اشيائهم التي بالنقرة وتترك التي خرجت معهم كسرت او تلت " (٣) .

ورغم ان المهدى اعطى تجرد اصحابه من ثوابهم الخاصة بعض الاممية ، كما تبدل رسائله ، الا انه مبالا شفا لم يكسب

- (١) المهدى الى احبابه المذكرين ومن تبعهم جنادى آخر ١٢٠٠
انذارات بآخر ٦٥ - ٦
(٢) المهدى الى حبيبه في الله هو الياس واخرون ١٢ جنادى آخر ١٢٠٠
انذارات بآخر ١٧ - ٩
(٣) المهدى الى صفيه الخير عبد الله شبيبلي ،
احكام ٢١٦ - ٢٩

مصدر تمويله الرئيسي • كان من الأبيض ان يواكب انتمساره
الحكمى على قسرات الحكومة في عدة مواقع امثلا في خزنته • ولمقد
بنا اول الغيست مع نزعة راشد ايمن حين تمكن من الاستيلاء على
ما كان بعوزة العملة من مال (١) •

وعندما جهر جريدة يوسف الخاللي فتم منها " شيئا كمثييرا
من النحر " (٢) •

ولعل كسب الميدي الاكبر قد جاء بعد سقوط الابيض حيسم
استولى على منزلة الحكومة والامانة الى الاموال الخاصة ، ان كانت
الابيض مركزا تجاريا هاما جذبت عددا كبيرا من الابواب الذين تمكنوا
من جمع ثروات واستوطنوا بالمدينة •

ويصف احد شهود العيان الاموال التي اعتلى عليها الانفصار
عند دخولهم بقوله " اما من جهة الخفاف التي جعلها احد ولد سليمان
بخلاف الذي اخذ والاعراب من الذهب المشيم والذهب شي لا يعرف
واما من العملة من الجنيمات والقرى اللس والبندق والمجو والمحمود يسه
والمبيدي والخير والربح عملة الذهب شي كثير خلاف عملة الفضة
المبيدي وابو شفيكو والمصري وابو مدني وابو مسلا والعلو والدج مال
لا يأكله التراب بجميته بيد احمد سليمان امين بيت المال بخلافه ماسل
الذهب الكيس في الكيس لناية سقف المربعة " (٣) •

وبعد ان بعث اتباع الميدي قد تمكنوا عند سقوط المدينة من
الاستيلاء على بعض الاموال كما ذكر هذا المصدر •

(١) نسوم شتير، ص ٦٥٧

(٢) المصدر السابق، ص ٦٦٦

(٣) يوسف ميخائيل، ص ٦١

وما لبث المهدي ان اصدر منشورا يتذرع فيه من مخبة هذا الفصل " فتأبوا وربصوا عن ذلك ووردوا بيت المال كثيرا من الاموال والريش والمصافات " (١) .

وكان المهدي ما وما في مسألة الخنائم هذه ، حينها اشد العسرة بأن تعود بكاملها لبيت المال وقد كتب في حينها عدة منشورات ورسائل فهو مخاطب مجموعة من قاداته في هذا الامر قائلا " احتياي انفسكم لا يخفى ما كثرنا عليكم فيه والامور كلها بيد الله وهو القائل لا احدائكم لا انتم ولا غيركم وانما سائتم للجهاد " (٢) . وقد تشدد معهم في هذا الى درجة انه قال " ٠٠٠ من غلب شيئا من الخنائم والوقايا فليس من اصحابنا وانما هم من اصحاب ابليس والديال " (٣) .

تمكن المهدي ايضا من الاستيلاء على الاموال التي كانت بحوزة حملة تكو باءا **وتلك التي وجدت في خزينة بربر** (٤) . وجدوان ما حدث في الاخير من امر امثيلاء بعض الاشخاص على الخنائم فذكر فسي بربر . فما كان من المهدي الى ان ارسل اوامره المشددة لاسترجاع تلك المبالغ التي قدرها معاوثة امين بيت المال بمائة وواحد وستون الف ريال وثلاثمائة وخمسة وسبعون .

وقد امر المهدي الا يترك في حوزة من استولوا عليها دينارا او درهما " ومن انش شيئا من ذلك يومئذ منه ثرنا وينزع اسمه من دفاتر انصارنا " (٥) .

-
- (١) المهدي الى محمد النعيرين عبد الله خوجلي ٣ صفر ١٣٠١
الاذارات يه ٩٠٢ - ١٣
 - (٢) المهدي الى محمد عثمان ابي قريجه وهر الياس وآخرين محرم ١٣٠١
الاذارات يه ٢٩ - ٨١

(٢) المصدر السابق

(٣) نعيم شقيبزو ص ٧٢٤

- (٤) المهدي الى محمد الخير بن عبد الله خوجلي ٣ صفر ١٣٠٢
الاذارات يه ٢٠٣ - ١٣

كانت نفقات المهدى تنحصر اساسا في اعاشة المخاريين من اتباعه الذين يشبهت فعلا انهم لا يملكون ما يقتاتون به فيقيم بيت المال بالتكفل بنعموا تديم من مأكلا ومشربا وملبس (١) • اما الاسلحة فلم يكن يصرف عليها كثيرا اذ انه استفاد من تلك التي فتمها من المعارك السابقة والمواقع التي اصبحت له وديا وكان بدوره يقوم بتوزيعها على من يستحقها من الحجابدين ثمرة ان يكون ايمانه بالحيدية لا يسرق من اليه الشك (٢) •

-
- (١) المهدى الى محمد الشيرعبد الله خوجلي ما نكام ص ٢١٦ - ٢٢
(٢) المصدر السابق

مشكلة الغذاء

لسم قبوز قضية الغذاء عند الانصار كازفة بالعمرة التي غانما با
سكان الغرباوم طوال مدة حصارهم للمدينة • وهذا يعود الى موقف
المهدي المبدئي من مسألة ملذات الدنيا واعرائها • اذ آمن بمسألة
العمل البدني • هوذاك الذي يكرس جل وقته لذكر الله ورسوله ولا يجعل
قضايا الرزق وكيفية الحصول على الطعام تشغله هي هذه النشاية (١) •

وما نشئ المهدي بذكر اتباعه بهذه التعاليم حتى أصبح امره ماذا
ياكلون او كيف • يأكلون لا يستعصون الا على قدر قليل من الاعتماد • لسم
يكرس المهدي يدعوهم بالامح الى الموت جوعا يل الى الاكتفاء بالقليل
الذي يسهل الوصل • وهذا الغذاء البسيط الذي لا يتطلب توفيره جهدا
يحرضهم عن الخوض الاساسي من الدعوة (٢) •

ولقد حرص قادته اشد الحرص على الالتزام التام بتلك المبادئ
حتى انهم كانوا يستشيرونه متى ما اجبرهم شئ على العياد عنهما •

تكتب له نفر منهم ذات مرة يقول " • • • ثم سيدي اننا حضرنا
بجمعة مخدروان اخواننا الفقرا اما رأينا ماكولهم البليله فقط اذنا هم
بشعالي قليل من العمل والبركة والسمسم ومع ذلك انه ليس موبودا وقد
رأينا ذلك ليس مخلصا عند الله • قالوا بلا رفع الامر لسيادتكم • وسبب
ان الاخوان جعلوا لحم التعصب ولا معنا لنا سوق يشترون منه الملاح والمطح
والان معنا الهنا ر قليلة فالتزنا بدهر هذا السحر لسيادتكم راجعين
الاذن في راحة الاخوان • ما عندنا الان من البتر القليلة ونعما يسرهم

(١) المهدي الى همد الرحمن النجفي • عبد الله الشير • محمد عثمان ابو
قربصه • ذو الحجة ١٢٠٩ (قبل ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤) • اذارات
ب ٢٤ ١٢٥ - ٢٢

من الآن فساعدنا من الاعذاف المذكورة والمسامحة فيما مضى وان تبينوا لنا الجائز تعاليمه منها والممنوع لسلوك طريق الرشاد * (١) .

تكشف هذه الرسالة حزم وسراقة المهدي في الا يقتات اتهاهه الا بأيسط الغذاء حتى ان قاداته يستشيرونه ويطلبون الاذن اذا ما ابتغوا ادخال بعض الخناصر الى وجبة طعامهم . ونلاحظ التزام المهدي مرة اخرى في الرد الذي بعث به * ٠٠٠ واما البهمل والمستم والمهكمه ونيرها من المأكولات فمنايز للمبتاع ان يأخذ لضروره من غير ادشار وتمول الاكل في بطنه له جاييز كما فعل ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن منه واما البقرانها متوله فاذبحوا لالكل بالاذن لضرور المسوره * (٢) .

وكذلك حرى المهدي على التشديد على تادته بالا ينصرفوا الى امر تدبير الطعام ويهملوا تنفيذ ما امرهم به ، ان ان من شأن ذلك ان " يدل في قلوب الاصحاب الالفاظ الى فهم الله من حيث منست لا تصدون ذلك لانكم متدى بكم ومتبعون للناس حسن ظن بكم لانكم من الاوين السابقين المشار اليكم من منسرتنا كثيرا * (٣) .

ونعما امتكى له عبد الرحمن النجومي وعبد الله ود النور ومحمد عثمان ابي قرجه من ان اولاد ود البصير لم يستجيبوا للأمر الذى وجهه اليهم بجلب الذرة لمنسكرات الانصار كتب المهدي رسالة مطولة يلودهم

(١) عبد الرحمن النجومي وحمدان ابي خنجه الى المهدي احكام ص ٣٦ - ٧

(٢) المهدي الى عبد الرحمن النجومي وحمدان ابي خنجه ، رجب ١٢٠١ احكام ص ٣٧ - ٦

(٣) المهدي الى عبد الرحمن النجومي ، عبد الله النور ومحمد عثمان ابي قرجه انذارات بء ص ٢٢٥ - ٣٧

نبيها على ملأى الرزق من غير الله . . . وتعلمون أحبائي أنا لما كنا
في أبدا ما فاتت لنا جهة نعرف اتيان رزقنا منها حتى شاربونا من
النبي قدير بأمر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكان يأتيها رزقنا من الله
من حيث لا نعتسب كما يجعل الله رزق المتقين من حيث لا يهتمون كما
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وكذلك على من رزق الهجرة الى قدير حيث نزلنا به فلا نعصر وجهه
اتيان الرزق الا من الله وان مريم الله علينا الرزق بعدنا ايثارا للمساكين
عند الله واقتدا بالتقوى على الله عليه وسلم . . . فليس ذلك حتى اتينا
بالابناء فما رأيت ان طلبت يوما عينتهم لان تأتي ارزاقنا منهم ومع ذلك
نفكر عن الدنيا وعن الالتفات اليها وأتينا رزقنا من حيث لا نعتسب " (١) .

ومن الواضح ان المهدي لم يكن يرمي من وراء هذا الى المتعطلين
بأن السماء ستسلك لهم غلالا لا عائلتهم وعليهم الا يعزكوا ما كان في انتظار
هذا الرزق الموعود . بل كان يرمي الى الا تكون قضية الطعام امرا يقترب
عليه . وتصبح مجالا للشكر بين النادة . كان يسعى دوما لتذكير انبيائه
بالا يستحوذ مسألة توفير الطعام على تفكيرهم حتى لا تسقط الاسئلة على
الجهاد والقيام لنصرة دين الحق . فتعزى لهذا في نداءاته للقبائل
لتشارك في الزحف نحو الخردل بقوله " بادروا واسرعوا للسفر ولا يترككم
شيء من الزاد بل يرزقنا الله الملك الخلاق " (٢) .

فاذا كان المهدي قد انجذب بالجهاديين بعرف الفطرية كيفية
اعانتهم . فقد تصدى بنفسه لمعالجتهم . فكان يحرر الرسائل لقاداتهم
الذين يوفدهم للجهاد مبينا وسيلة تأمين الرزق . بين هذه رسائله

(١) المهدي الى عبد الرحمن النجفي ، عبد الله النور ، محمد عثمان
ابوقريفة ، انذارات بآء ص ٢٢٠ - ٢٢٧

(٢) يومنه ميخائيل ، ص ٦٦

التي بحث بها إلى عبد الرحمن النجومي يطلب منه الاستعانة بأبي قريه
ومحمد عثمان حاج خالد أيوبسوا اتباعهم اجاب الذرة التي مسككرات
الانصار حول الخرطوم (١) •

وقد استجاب ابو قريه لهذا النداء فأخذ انصاره يجمعون الذرة
من السقري الواقعة على شفتي النيل الازرق بواسطة الباشرة " محمد
علي " التي استولوا عليها عند تسليم صالح المك في غدامي (٢) •

ولقد رافق بعض مدعاة المهدي في سيار على جميع الغلال الموجودة
في مدنهم وارسلوا إلى القوات المرافقة حول الخرطوم (٣) •

ومن هنا جاء وقوع منطقة الجزيرة تحت سيطرة حاملاها
في وفرة الخداع في مسككراتهم • ولم تنشأ اية ازمة في الغلال الا
بعد وصول تلك الجموع المائلة التي صالت المهدي •

ورغم هذا لم تختلف من الاسواق بل ارتفعت اسعارها بصورة
خيالية لم تألفها البلاد من قبل •

اما العامل الحاسم الذي جنب المهدي مسرور المجاعة
فهو استنفاره لبقاره كردفان فسادوا في ركابه بكن ما يملكون
من مواشي • فكان ان توارت الدخول بأسعار زهيدة طوال اشهر الحصار
ولانت خير تمهين لهم عن ندرة الغلال •

(١) المهدي إلى عبد الرحمن النجومي ، فيونيات ١٢٨ / ٣

Muhammad Fagha, p.39.

(٢)

(٣) عبد الله اغندي محمد ، تقارير واعادات عن حصار الخرطوم ومشار

الفصل السادس

عوامل حاسمة في تقرير نتيجة الصراع

لم يكد يمض زما سريلا على وصول غوردون حتى تعددت معالم القضية التي يصارع حولها الفريقان ، تلك القضية التي هي في مجموعها محاولة كل فريق لسيطر على السودان بأكمله عن طريق استلابه لثقافة الحكم في الخراب .

ورغم ان العوامل التي من شأنها ان تحسم الصراع تكمن بالدرجة الاولى في المسائل الادارية والسياسية الا ان هناك عاملين لا يهمل سبب اغفالهما : اولهما ، والاسلوب الذي اتبعه كل من غوردون والمحمد المتمدع موقفه بكسب مزيد من التأييد مع المساندة على قواعده الجماهيرية وتوثيق العلاقة بهنه وبينهما ، هذه العلاقة التي من شأنها ان تخلق نوعا من الترابط والالفة لا غنى عنهما لكن من وجد نفسه في ذلك الموقف . اما ثاني هذه العوامل فهو المملك الذي اتخذ كل فريق اتجاهه الاخر ، ذاك المسلك الذي لعب دورا بارزا في تعقيد الازمة والوصول بها الى نقطة يستحيل التراجع منها وان لا بد ان تستخدم القوة لتحسم الصراع .

كان غوردون يستمد قوته من التأيد المعنوي والمادي المسمي
تسبغه عليه حكومتا الخديوي وصاحبة الجلالة ، بالإضافة الى الدعم
العسكري الذي يلتأه من القوات الابنية والسودانية التي كانت
تزال تحفظ الولاء القديم لحكام الخرطوم ، وبعض المدنيين من الاهالي
ورعايا الامبراطورية العثمانية . ورغم ان هذا الوضع قد امن له السيطرة
على الخرطوم في بادئ الامر الا ان فشله في استقطاب اى تأيد خارج
المدينة جعل تلك السيطرة امرا مؤقتا . ولقد شرع غوردون فور وصوله
في توزيع المنشورات على مشايخ قبائل المداقة والزعامات الدينية في
موضعا لهم تفاصيل الخطة الاعلانية التي ينوى تنفيذها .

ثم أوفد ستيورت في رحلة الى مدائن النيل الابهي لذات الهدف .
ورغم ان هذه المنشورات قد فقدت الا ان الوقائع تثبت ان العهدي كان
اتدر على بسط نفوذه بين تلك الجماعات . ولا يستبعد ان يكون أسلوب
غوردون في مخاطبة هؤلاء ضمن الاسباب التي ادت لذلك الفشل ، انه تميز
أسلوب معاملته لاعتوانه داخل الخرطوم بالتعامل وعدم التقدير فقد كان يعتقد ان في مقدوره
التصدي بمفرده لكل مشاكل الجماهير وبناءً - بالتالي - استفادته من
الآخرين وتجارهم ضئيلة . بل انه سعى في حالات بعينها للتخلص من
شخصيات كانت بلا شك مستغيب دورا فعالا وحليما في سمود المدينة
والمدافع عنها .

جاء غوردون الى السودان وهو لا يصحب معه من الجند
او الاداريين سوى ستيورت باشا وبرايم فوري ولم تكن المهمة التي
اوكله امران بارزا من اليسر بحيث يمكن تنفيذهما بواسطة هذا العدد
الضئيل . ربما توقعت حكومة الخديوي ان يجند غوردون لخدمته بعض
الرجال الذين ما زالوا في الخرطوم اثناء الكولونيل دي كثلوجن الذي
وبده غوردون قائما بأمر وكالة الحكمادارية خلفا لحسين باشا سري .

الا ان غوردون سارح بعد يومين من وصوله يأمره بمخادعة البلاد
اذا ان خدماته لم تسد مرفوعة (١) • وقد يبرر هذا الاجراء بأن العمليات
العسكرية التي كان يسوم فيها دى كتلوجن قد اوقفت • ولعله قد تسرع
في اقرار هذه الحقيقة اذ انهما ما لبثتا ان استوفيت بعد اتل من شومر
من صدور هذا الامر • وحتى اذا اعتبرواى غوردون معنا سليما ، فقد كان
بإمكانه الاستفادة من دى كتلوجن في التواحي الادارية التي لا بد ان تتلبيها
عملية الاغلاء بكل تعقيداتهما ومشاكلهما •

ولم يكن بالخرمان • من ناحية اخرى • كثير من اصحاب المصروفات
والنيرة في هذا المجال • فلم تمتد وجب حملة يمكن باشا كل من له مقدرة
على القتال فقتل بل اولئك الذين يمكن ان يؤدوا مهام ادارية (٢) •

كان من بين الذين صحبوا هكس باشا وقتلوا معه كل من علاء الدين
باشا وديل الادمدارية الذى خلف عبد القادر باشا حلمي • معمد بك
احمداني مدير الشرطة وساطي بك المحسني باشكاتب المديرية (٣) •
بقى في المدينة كل من حسين باشا سرى وكيل الحكمدارية وابرااهيم
عيدر باشا لواء العسكرية • ولذا غوردون ابرقهما قبل وصوله الشرطة يامرهما
بالتوجه فوراً الى مصر •

لم يكن دى كتلوجن الرجل الوحيد الذى شاء غوردون الا يستفيد
من خدماته فقد تجامل عدة عرورى هدم بها بعض الاوربيين الذين
كانوا مع المهدي للعمل معه • وقد اتخذ هذا الموقف على اساس انعمه
لا يثق في الشخصي الذي يتخلص عن دينه عن اجل انقاذ حياته •

(١) غوردون الى دى كتلوجن باشا ٢٠ فبراير ١٨٨٤

The Times, 22nd, March, 1884.

(٢)

(٣) نعم شقيقه دى ٢١٨

وكان منهومه ان اولئك الاربين قد اعتنقوا الاسلام وساروا نسي
رداب المهدي من اجل حماية انفسهم من الهلاك (١) فأصبح المديين
بالنسبة للمؤلاء رد يمكن استبداله في اى لحظة وفي الرقصة
المناصب . ولم تلج كل المحاولات التي بذلوها لينالوا فرصة
لشروع وجهة نظريهم . فيبحث له سلاطين بثلاثة مطالبات فوسمست
بالتجاهل التام ولم تنفع له غرائه انه قد عارب مبما وحسين معركة
عد الانصار ولم يرتكب في حياته ما يشين الى العدد الذي يمنح غوردون
من الرد علم رسائله (٢) .

كان يمكن ان يؤدى سلاطين خدمات جليلة للمدينة سواء فمسن
البناى الادارى او العسكرية ، ان عاصر المهدي لفترة مكنته من الالمام
بتفاصيل اساليب العمل ونفوذ المصنوع وحدته وعتاده (٣) .

مع تقدم العمر واشتداد ضغط الانصار واجرت غوردون مشكلة
جديدة تمثل في صعوبة ايجاد شخص مؤتمن يحمل رسائله الى مصر .
ومنا طلب سلاطين من غوردون ان يبحث له بمقابته وسيجد هو وسيلة
ما لارسالها لوجهتها (٤) الا ان غوردون قرر الا يتيح له هذه
الفرصة .

وشاء غوردون ايضا الاستغناء عن رجل دان بمثابة ماسده
الايمن ، وشوشتيوت باشا ، قدفعه لمخادرة المدينة في وقت حرج ولا بد
انه لم ينسج في الاعتبار استجابات الخطوط البشرية في ذلك الوقت

Journals of Gordon, Vol.I, 12th September, 1884. (١)

Ibid, p.519 (٢)

Onrawlder, p.155. (٣)

Journals of Gordon, Vol.IV, 19th October, 1884 (٤)

بالذات ، انه كان شهر شهر بداية لمرحلة أكثر غنفا في تاريخ الحصار .
فقد عمل عبد الرحمن النجدي بهيئته وحسبها خارج بوابات الخرطوم فمعي
انتشارهم في أخرى في طريقها اليه . فتضاعفت بهذا مشاكل فستوردون
واسبعت فوق مقدرة وحده كما اعترف بنفسه فيها بعد . وربما كان رائده
في ارسال ستيرت في محاولة انقاذ الآخرين من مصير مجهول ولا يبدو مشوقا
ولا يستلجح الدرا - بالبيع - الا ان يقدر هذا المصير ولكن لم يكن الامر
يتعلق بشخصه بل بعياة الالف من السكان وكان لا بد لخرطوم ان
يجتهد كل الطاقات الموجودة لديه حتى يتمكن من ابقاء منتهج لهم .

ولقد علق غوردون بعد سترت في امرة بأنه يعمل فوق اكتشافه
كل مسئولية الحصار فهو يشرف على الجنود وتدريبهم ويتفهم بتفصيل
المطويات ويخطط للمعطيات العسكرية ويراقب التموين والمالية ويشرف على
المرضى (١) وكان يحس انه في حاجة ماسة للمساعدة الا انه لا يجد
بين مؤلفيه من يمكن الاعتماد عليه في اداء واجب ما خارج حله
الروماني (٢) وقد كشف غوردون في عدة مواقف من رأيه في اعوانه وفي
الواقع لم يكن يضع ذرة من الثقة في العسكريين منهم بل اعلنوا صراحة
انه خلال تجاربه الدولية لم يلتق بضابط او جندي اشرافه من
الهندي المصري (٣) اما الباشيز في الاثرات فمهم عديم الفائدة ولا اعمل
يرجى منهم على الاطلاق (٤) ثم وصف عماد الشايخيه بأنهم يفتخرون بالس
العد الأدنى من المتجاعة المطلوبة في الجندي (٥) وهم فوق
متردون متنازلون ولا توجد فئة من البشر في العالم بأسره يمكن ان تستنفذ
المبرم مثلهم (٦) .

-
- Journals of Gordon, Vol.I, 12th September 1884. (١)
Ibid., (٢)
Ibid., Vol.IV, 19th October, 1884. (٣)
Ibid., Vol.II, 24th September, 1884. (٤)
Ibid., Vol.I, 19th September, 1884. (٥)
Ibid., Vol.III, 9th October, 1884. (٦)

ولا بد للمرء ان يتساءل اذا كان هذا هو رأى غوردون في ثمراته
المعارية اما تان الامور ان يخضع الامر برمته للمراجعة ، ان لا يستقيم
تتيبه لهؤلاء مع تصديقه على القتال ، ولا بد انه لم يكن يرى باؤنة امر
في اصرار النصر وكان الاجراء المنطقي في هذه الحالة هو قبول دعم
التسليم التي كثيرا ما وجهت اليه .

الا ان اصرار غوردون على الاستفاظ بالمدينة والدفاع عنها ، يشير
ظلالا من الشك حول عدالة تلك الاحكام التي اطلقها . ولعل الموضوع
بنزاية الامر . ومما لفت في قدرته الذاتية واعتقاده الشخصي بأنه ليس هناك
من يستطيع ان يراى عملا بالوجه الاكمل . كما يفصل هو . ولست قد
اثبتت الوقائع بعض الاشرافات لجنوده الذين خاضوا محارك كثيرة فهدم
الانصار وتمكنوا من الانتصار في بعضها رغم تلك النكبات التي عانى منها
العامية . كذلك انظر بعض الضباط من الصحافة والباس ما حصل
غوردون ينعم عليه بترتيب والقباب مختلفة من بين هؤلاء محمد تاجي باشا
ومحمد بك ، المحت وخمين بك جهنماوى وابراهيم بك فخرى . كما ان
رجال مثل خشم الموس بك لا يمكن ان يوصف بالقرد او القتال فقد
عمل بهمة في الدفاع عن المدينة اثناء وجوده فيها وادار امره لكسب
المحولات التي بذلها اعوان الهند في مدانة الغزاه وشهدى لعمله
على ممره منكر الحكومة والانضمام اليهم .

لم يعلم رجال الحكومة البريطانية بما فهم مثلوا في الثائرة محسن
حملات الثوار الحليفة التي كان يشنها غوردون ، ولعل هجومه المتواصل على
بيرونج قد خلق نوعا من التوتر استحال معه الدفاع المشر . " لا بد ان
قد اخفى برقيات " هكذا كتب غوردون مسيرا لبيرونج " وانا على اية حال
لا يداني " (١) .

ولم يخف غوردون حقيقة مشاعره تجاه رجال وزارة الخارجية ، وكتب يقول أنه لا يتصور وجود مجموعة من الرجال عديمة الفائدة كهؤلاء ، مما نيلهم " كلارندون دوبي ، ولكن جيرانسكيل واني اتعجب كيف تنقسم سياسة بريطانيا العظمى الخارجية على اكتاف هؤلاء " (١) .

كان غوردون يتمتع بميزة شخصية جعلته يميل دوما الى التقليل من شأن الآخرين ، رؤساء كانوا او مرؤوسين ، فجاءت ثقته فيهم ضيئلة وتباعدت الشقة بينه وبينهم ونقد عاملي التضامن والتعاطف النفسي المذيين من شأنهما ان يساعدان تغييرا خافيا في ذلك الدارف الذي وجد نفسه متورطا فيه .

اسلوب المهدي

درج المهدي منذ بداية دعوته على انتهاز اسلوب تميز بالتواضع واحترام الغير فيؤيى الى ترتيب الاخرين في المهديية بلا اوجساسة او عنف لذلك تمكن من استقطاب تأييد جماع القبائل السودانية التي اعتقت له انتصاراته على راشد ايمن يوسف الشاللي، وتضاعفت اعدادها لئلا تفصل لاستيلائه على مراكز الحكومة في كردفان ودارفور فدحرت سلسلة مكس باشا في عيذان وزاحلت نشاطها في اجزاء اخرى من البلاد . ولم تضر تلك الانتصارات المهدي بل القوي بنفسه المسلك حتى يعتقد بمسئقة مؤيديه الى ان يستسلموا المهمة بغير . المحيطة النلية على البلاد .

كانت وسيلة المهدي الاعلامية ابرز الدعوة في المنشورات العامة والرسائل الخاصة يبعث بها للمجتمعات والافراد موا كانوا من الذين عرفوا بتعاطفهم معه ام بعد او تتم له . ومراجعة ناذج من هذه الخطابات يتضح ان المهدي لم يلجأ فيها لاسلوب الارهاب او الاستفزاز بل كانت وسيلة الكلمة الطيبة التي لها - في اغلب الايمان - سحر لا يقاوم . وقد اثبتت هذا الاتجاه فعاليتها وايجابيتها فانتج كثير من مشايخ القبائل وزعماء الدين بصدق الدعوة عند استلامهم لتلك الخطابات .

وكان من بين الذين اتصل بهم المهدي من هذا الطريق محمد عثمان بن محمد الحسن المرغني زعيم الخشعية المقيم بكسلا السدي عرفه بمعارفته له ، وقال الوسيد من بين رجال الدين في السودان الذين وقفوا ضد المهدي وقاموا بدعوته الى النهاية (١) . ولم يكن رفض الخشعية للدعوة سلبيا بل معارضا القيام علنا بنشاط مضاد . فاستجابوا لدعوة الانكليز عندما فطن هؤلاء الى امكانية زج النزعات الطائفية في المحركة فسرانق محمد سر الختم المرغني - الذي كان مقيما بمصر - بذكر باشا في رحلته الى

(١) نعم شقير ٩٠٦

شرق السودان في ديسمبر ١٨٨٣ • **وتذاك** طالبوا منه القيام بجولة يحـاول خلالها اثناء رجال القبائل بالطرق السلمية عن مهاجرة المهدي فأرسل هـو وخلقاه " الى جميع العربان كتباً يـبـرزهم فيها بأن هذا الامر ليست هـو الا فتنة مـعـصنة وليست هـناك المهدي وادعاهم بالرجوع عن هذه الحالة " (١) • وقد ورنه رسالة شعبية لعثمان دقته بذات المعنى فرد عليه بهذا الاخير معوضاً عن النسيئة ، ويبحث بكل هذه الخطابات الى المهدي حتى يتمكن من الوقوف على حقيقة الامر (٢) •

بالاضافة الى هذا ان نشاط خلفاء المرفعية ونسائهم في منطقة شنقيت على اشداه ، فـما ان وصل اسطول غوردون الصغير المكلف باستطلاع انباء الحملة الانكليزية حتى تعاونوا معهم في اجراء سلسلة مـمـسـسـن الاتصالات بهدف لحمل رجال القبائل على مهاجمة المهدي والرجوع مرة اخرى الى طاعة الحكومة (٣) •

لم تكن هذه الوقائع المهدي عن معارضة خلق وشائج المودة المبنية على السعي لكسب محبة الله بينه وبين زعيم المرفعية فهو يصفه بأنه " اولوا الشرف والحقام وذو الالباب الذين تال الله فيهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لا يأت لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض " (٤) • ويظن المهدي الى ان حقيقة كونه زعيماً دينياً قد تخلق عـسـاسية من شأنها ان تقف عائقاً في سبيل استجابته لنداء المهدي •

(١) دفتر وثائق عثمان دقته ، قسم السودان ، مكتبة جامعة الخرطوم

(٢) المصدر السابق

(٣) جـورنال العـوـادث

(٤) المهدي الى محمد عثمان بن محمد الحسن مرغني

فيضمن إحدى رسائله احترامه بتلك الزعامة وتقديره لها ومخاطبه بثقة في علمه بأنه " . . . كمن يطلب رضا الله ولو تقطعت في ذلك أربا وقامت منك جميع المخلات النفسية بما تعلمه من همة الله ونعمته ومدة عتابه لمن وقع فيه وكل ذلك أنت جند به وشأنك أن تربي من اتاك هكذا . . . " ويقول له أيضا " . . . وأنت اعظم من يقبل النصيح تواضعا لله الذي خلقنا وأبى المخرج ومن أشهر المؤمنين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه " (١) وأشار إليه بوضوح حد اتروده وترك له الخيار، فأما أن يهاجر إليه حيثما يلزم أو يعين نفسه عاملا له ويشغلها حربا على الحكومة بغيره " ولكن محمد عثمان لم يعرك سادسا ولم تبد منه إشارة تخم من أنه ربما يتخذ موقفا مغايرا ورغم هذا لم يشأ المهدى أن يخلط له القول بل ظل يدعو " حبيبي في الله المكرم محمد عثمان . . . " وسعاه به بأنه كان أحق بلقاء المهدى من عامة الناس لأنه من الصائغين فيهم الخيرة أولئك الذين لا يرون في الدنيا شيئا وإنما اشتياقهم لوما إلى ذي الجلال والأكرام (٢) ثم كرر له ذات العزم الذي قدمه له في الرسالة السابقة وعده بحسن المعاملة والأمان الشامل " ووصينا المذكور وأخوانه عليكم بملاحظةكم وشمول الدارفكم ومنسج التمدى عليكم من أي أحد كان وعدم حصول ادنى ضرركم لا في أنفسكم ولا في أموالكم ولا في أحد من جماعتكم المستوصيين " (٣) أما إذا ضم محمد عثمان على تباين هذه الرسائل فسيظل الباب مفتوحا له حتى يأتيه اليقين ويبدوان زعيم المرشيه قد تأثر بهذه المعاملة ولم يشأ أن يرد عليها بمواصلة نشاطه المضاد وكان في هذا مكسب للمهدى فقد نجح على الأقل في حمل أحد معارضيه على التمدد واتخاذ موقف سلبي من الدعوه .

كذلك اتصل المهدى عن طريق الرسالة بالشيخ محمد الأمين الشنير

-
- (١) المهدى إلى محمد عثمان بن محمد الحسن ، مرقن بمحرم ١٣٠١ هـ / إندارات ب من ١٢٦٤ هـ .
- (٢) المهدى إلى محمد عثمان بن محمد الحسن ، مرقن ٩ شعبان ١٣٠٢ هـ / إندارات ب من ١٢٦٤ هـ - ٧ .
- (٣) المصدر السابق

رئيس ومميز علماء السودان الذي كان مقبلاً بالدراسات وتوفي فيها حتى سقطت
إلا أنه نجا من المذبحة التي أعقبت دخول الانصار . وقد تضاربت الروايات
حول الوسيلة التي أفضت له النجاة ، فهناك من يقول أن أخاه علي كان مسن
قدام أعوان المهدي فسمحوا له بالبقاء على حياته عند سقوط المدينة (١)
ولكن مما لا يخفى أن ذلك لا يمكن أن يكون تفكير لدى الانصار لمقتل
محمد الأمين لأنه كان من مؤيدي المهدي وقد أجرى اتصالات سريعة مع
أشرفين عبر فيها عن هذا التأييد (٢) . ورغم تباین الروايات فمن المؤكد
أنه قد حرر أكثر من رسالة يعلن فيها رفضه لدعوة المهدي جملة وتفصيلاً ، وجاءت
أحدها في وقت متأخر من الحصار (٣) . وقد كتب له المهدي عدة
رسائل شارحا له حقيقة الدعوة التي يبدونها كانت ما تزال خافية عليه .
ورغم أنه لا يشهد لقبه الرسمي في هذه الخطابات إلا أنه يخاطبه بتجملته
" الاستاذ العظم الشیخ محمد الأمين جعله الله من المکرمین " (٤) .

وهو مستجيب في أغرائه لقبول الدعوة وانفصاله نفسه عن الممالك حين
يقول " ولا تعارن الذللة بعد هذا فإنه لا يفتاك ما أحدثوه فسيبي
الاسلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بأخبار كثيرة ومثلك ثلثه
الإشارة " (٥) . وأراد المهدي أن يؤكد له اعتزائه بعلمه فدعا " مسلم
الشریفة المصمديا المستفیضین رحمة ربه بالعلم الثقيلة " (٦) . ولعل السمة

(١) محمد عبد الرزاق ، ص ١٤

(٢) محمود شقير ، ص ٨٢٩

(٣) الرسالة الموجهة إلى عبد القادر إبراهيم وهد الرحمن النجاشي
٢٤ ذو القعدة ١٣٠١ (١٣ جمادى الأولى ١٨٨٤) ملحق في . .

(٤) المهدي إلى محمد الأمين إندارات بهار ٣٢-٣٧

(٥) المصدر السابق .

(٦) المهدي إلى محمد الأمين ، ربيع آخر ١٣٠١

إندارات بهار ٩٤-٨

السابعة التي كان يتمتع بها محمد الأمين كرجل دين له اتباع ، ويحكم من ان يروى تأثيرا مباشرا على موقف فئات اخرى ، هو الذي دفع المهدي لمحاولة الاتصال به والالحاق عليه ليحترف به ومن جهة اخرى ، يبدو ان تلك الرسائل قد ادخلت الطمأنينة في نفس محمد الأمين ، فالمهدي لا يسأله ولا يضمن له سرا ، ولكنه لهذا اتران يوضح توقيعهم على المراسل التي ارسلت سرا اليه .

حاول المهدي انما امثلة زعماء القبائل الذين ما زالوا على ولائهم
 للحكومة المصرية بالفرغيب والمدح . كان على رأس هؤلاء الشكرية فكانت سبب المهدي لهم متدحا ما عرفوا به من حسن تدبير وشؤون الامور الدينية والدنيوية ولا يحفل ان يثبت من دعوتهم ما منهم بعيدا عن الدعوة الدالة الى سكة الله ورسوله . " . . . فانادى ببلدكم بتواقي ، هذا وكنتم محمد قين كما حسنا فيكم الذين يحسب مجاوزتكم وما اسررتهم من بعض الاحسان على الاعل بحسب الذين وكل ذلك لا يخلو الانسان الا صفاه وحسن تصديقه لما شهد الله الذي يوجسب اثار ما عند الله فان الذين كانوا حامدين على ما تم نيه من الجاه والمال واحتجوا من الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كبروا به خوفا من نوات المال والجاه " (١) واجل هذه المخططات قامت ضمن الاحباب التي بنيت الشكرية بنقدهم على انفسهم . فاطن جز ، منهم تأييده للمهدي وساعده مساهمة فعالة في عمليات سار الشرط من هذا بدايتها .

وحصل المهدي انما ليكتب تأييده الشيخ الحبيب ود بدر الذي كان يتمتع بمادة دينية مرموقة ليس بين سكان منطقة الشرط وحدها بل في انحاء متفرقة من البلاد . فأرسل له عدة مكاتبات حاول فيها ان يستميله الى صفه بالحمى ، وملا استغزاز . وكان ان اعترف له في احمدى

(١) المهدي الى عوض الدريم احمد ابوسن (واخرين)

الرسائل بأنه من " اعظم من يهدى صطن بالصدانة والاغلاى لما عند الله " ونبأ فيها ايضاً قوله " واهتدتك انك تقابلنا على قدر تكذا مع انك جد عارف بصظمة ما عند الله ونعمة الدنيا وما فيها " . وانك ممن لم يكن دينسه على مرضى فان احبا به خير الان به وان احبا به فتنة انقلب تانى وجهه بل انتا ممن يطلب ما عند الله وارقتطعت اربا اربا وفاتك جميع المطالب النفسية لما تحلم ما توقعه الله من العناية التي لا توازيها جميع المطالب (١) ويصفه ايضاً بأنه " من اعظم من يقبل النصح تواضعا لله الذى خلق " " وانك من اصغى المؤمنين الذين يسمعون القول فيمتبعون احسنه اولئك الذين بدأهم الله آولوا الالباب " (٢) .

وعنى عندما تجادل الشيخ العبيد بهذا الخطاب اعقبه المهدى بآخر واتم نفس الاسلوب الذى تبسه في الرسالة الاولى فنبأ فسيبـهـه " انتم اصل دراية ومعرفة وقد علمتم انا غلاء القلب من غير الله يمتلى نورا ويغنى منه الى خلق الله ولا شك ان الرباني العتمسك بالله كامتالكم شأنه هكذا وسمياه وعلاقته هي عدم الخشية من احد غير الله وللان انتم معدودون عندنا لاجل ذلك " (٣) . وبعد طول تسرد اعطى الشيخ العبيد مساندته للمهدية فكان لهذا الكبر الاثرفي حصار الخرطوم كما اوضحنا في غير هذا المكان .

اما اسلوب المهدى في معاملة اعوانه فقد ساعد الى حد كبير في تماسك فريقه اوالرعدة العصار ولم تتفرق ثقتهم فيه وايمانهم به في قيد انما . وقد بتو رجل الدين الذى يتفكر اليهم جميعاً كانداد له لا يتلون عنه من حيث الفهم والدراية والمكانة عند الله دالها انهم

(١) المهدى الى العبيد رد بدره . اذارات ب ١٦٩ - ٢٢

(٢) المصدر السابق

(٣) المهدى الى العبيد رد بدره اذارات ب ١٣٧ - ٩

وذهبوا أنفسهم في سبيل تلك الدعوة والقتال انتم • يا اعيابي انتم قد
عزتم من انصار الدين ورسنا لسنا اولي به منكم " (١) •

اما قاداته المستديرون والاداريون فقد كان ينصهم في مصاف قاداته
وقد اعتمد عليهم اعتمادا كاملا في القيام بأمر الدعوة في مناطق شيرة ووجه
الانالي الى اتباعهم وقد لوا امورهم انهم •

وقد كتب في منور تعيين احد هؤلاء يقول " • • • • • فتمن عيناه
لاجل الجهاد في سبيل الله واتامة دين الله واعيا سنة رسول الله
واجزائه في قتال الترك الذين امر الله ورسوله بقتالهم • • • • • وحيث علمتم ذلك
فان المذكور ارسلناه اليكم لاجل ان تبقتموا معه انتم رهله اجمعين ومسن
انضم اليكم من سائر القبائل من المسلمين ان توزره وتنهروه وتقوموا مصبه
بناطل الصمة والمروة • • • • • فاطيعوا امره ونهيه فمن اداع امره فقد اطاعني ومن
خالفه فقد خالفني • • • • • " (٢) •

وقد جاءت ماتباته مع قاداته العسكريين تشمل اعترافا تاما
ببهمود ما ، فقد سا مرا بكل طاقتم لاعزاز النصر وخاضوا المعركة تلمو
المعركة بدافع الايمان الخالص فغاطبهم المهدى بقوله " فجزاكم الله خيرا
واحسننا وشكرسيكم واحسن حالكم وما لكم فأننا اعيابي شاكرون لفضلكم
وعارنوا لقدركم وتدعولكم بالخير والبركة وانتم عندنا كبشر البسم من نحو
عين ويد وقد تريت بكم اعيننا • • • • • " (٣) • ولعل هذا الاسلوب قد دفعهم
ليذل المزيد من الجهد والتفاني لاستكمال سيارتهم على البلاد •

كان بالطبع بين قادة المهدى من يخطئ ويلحق الضرر بنفسه

(١) المهدى الى عمر الياسر ومحمد بن الحريق ومن معهما من الانصار

١٢ جمادى آخر ١٣٠٠ هـ انذارات بء ص ٦٧ - ٩

(٢) المهدى الى كافة تبيلة دار محارب غرب لى الحجة ٢٩٩ هـ انذارات بء ص ٤٥ - ٦

(٣) المهدى الى عبد الرحمن النهوي وعبد الله النور ومحمد عثمان ابي قريظة

انذارات بء ص ٢٢٥ - ٣٧

وبالآخرين وكثيرا ما كان المهدي يتحدى المعادية لهذه الحالات بشخصه فراء أسلوبه غال من قلعة في القول او الموم الخفيف مثال اذا ما حدث له محمد انيل حامد عامله في الجزيرة الذي تنهون في بعض شئون الدين • فما كان من المهدي الا ان بعث له بخطاب جاء فيه "••• حبيبي منذ انك مسن اجعل من سبق وتحقق عنا وعلم ان الرأفة والحزة في دار الابد وان ارادة الحلو والكثرة نوعين الانقلاب من سواء المصرا ب ربا عبيي - جيد ان لك اتباع بكثرة فمابين بينهم ما تطلبه عند ربك ولا تعين لطلب نفسك في وقتك فان ذلك عزى زائل وتصد عند الله عما ظل وحيث اني اعهد فيك المصفا واتباع سكة المصطفى وتعلم كثرة اتباع بعض الحسابات ولست في طلبهم معا عند الله اتبعوا من هو دونهم اتباعا وشجاعة وتدبيراً وذلك لمدق الدالب لما عند الله ••• فيا عبيي عامل اغوانك بالمعاملة التي تربس بها ما عند الله وسارع بذلك الى مشورة الله ومشيئته فانك صحتاج الي ذلك " (١) •

اتى هذا المسلك الذي انتهجه المهدي بأطريب النتائج ، فقد كسب به الرجال الذين ايمانوا اليه لما عبر عن ثقة فيهم واستمرام لهم • فازداد ايمانهم بالمهدي وجدوا في مؤازرته ونيأوا له سبيل النصير باستعدادهم للتضعية بأنفسهم واولادهم وممتلكاتهم فشكلوا قوة دفع هائلة تمكنت في النهاية من فرض سيطرتهم على السودان كله •

العامل الثاني :

اما العامل الثاني الذي كان له اثره في الحركة الفاصلة فهو مسلك كل فريق تجاه الاخر واسلوب معاملته له كما كشفت عنها الرسائل التي

(١) المهدي الى محمد النيل حامد ١٢٠١ هـ

تبدلت بين امراء المهدي وفوردون وقادته وبين المهدي وفوردون ايضا . لبدأ فريق فوردون الى الاستغزاز والتعقير وهي في الخائب الاعم الاساليب التي يستخدمها من . وفي موقف الضعف في حين حاول فريق المهدي قنصلية الخواطر باللين قبل الشدة . الا ان اصرار الجانب الاخر على موقفه دفعهم الى تصعيد خطياتهم العسكرية ومواجهة الضغط على المدينة حتى يتمكنوا من الاعتلاء عليها بالوسيلة التي انتارها حكامها .

فوردون وامراء المهدي :

وسادت علاقة بين فوردون وامراء المهدي طوال مدة الحصار كدلتها لنا جملة الرسائل التي تبادلوها . ورغم ان بعض هذه الخطابات وبعد مع يوميات فوردون الا ان من المرجح ان يكون بعضها قد فقد خاصة تلك التي تبودلت في الستة اشهر الاولى من الحصار . بين الرسائل التي وجدت مع اليوميات اثنتان من الشيخ عبد القادر ابراهيم مع فوردون اليه ولان ثبوت هذه قد يستت خلال سبتمبر فلم يتمكن من وضعها مع الوثائق التي حصلها ولعله قد فعل بالنسبة لتلك التي وصلت قبل هذا التاريخ والتي اشار اليها الشيخ عبد التادري رسائله المطبوعة باليوميات (١) .

كما ان نصحي باشا قنصل في تبريز مدنيا لاحد خطابات الشيخ عبد القادر ومنقارنتها مع النصوص يتضح ان لا تطابق ايا منها فلا بد انه يشير الى رسالة اخرى ما زالت مفقودة (٢) وجدت ايضا مع اليوميات ثلاث خطابات من عبد الرحمن النجومي وعبد الله الشورالي فوردون مع رسالتين بحث بهما فوردون الى عبد الرحمن النجومي .

(١) عبد القادر ابراهيم الى فوردون ، غاية ذي القعدة ١٣٠١ (٢٢ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ب .

تميزت هذه الخطابات بارية مظاهره اولها ان امراء المهدي ايدوا دوما حرصا على مخاطبة غوردون بتقدير واحترام . فاثبتوا لقبه الرسمي واضافوا عبارات اخرى للتحية في بعض الاحيان . ثانيا انما قد تضمنت نداءات صريحة لغوردون ليسلم المدينة بلا قتال . ثالثا انما قد اعادت غوردون وعبد الله قايما بعدم التعرض له او لسكان الخرطوم بسوء في ارواحهم او ممتلكاتهم في مسألة التسليم . ورابعها انما لم تورد بشكل صريح مسألة اعتناق غوردون للمدين الاسلامي كشرط مسبق لنجاته او نجاته من معه .

فخطابه عبد القادر ابراهيم في رسالته الاولى بتوله " سعادة غوردون باشا والى عموم السودان " (١) واثبات لقبه الوالي لنا لا يعنى بالضرورة انه يعترف به بصفته هذه الا انه اراد اثباتها لاننا لقبه الرسمي . واعمل استجابة غوردون لهذه الروح كما كتبنا رده للمسيح عبد القادر جعلت الاخير يكتفي في رسالته الثانية بـ " غوردون باشا " فقد (١) والتزم عبد الرحمن النجومي وعبد الله بمخاطبته بـ " غوردون باشا " في اولى رسائلهما (٢) وفي اخرى بـ " غوردون باشا عزيز بريدانيا والحدويه " (٤) . ورغم انما قد اتفقا في ثلاثة بذكر اسمه مجردا الا انهما امتدانه في ذات الوقت بالقول " انت من اجل الفطنة والمعرفة العقلية " (٥) .

واقدر اوضح الامر في اكثر من رسالة ان المعركة ليست بينهم

(١) عبد القادر ابراهيم الى غوردون باشا ، ١٨ ذو القعدة ١٣٠١ (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق أ .

(٢) عبد القادر ابراهيم الى غوردون باشا ، غاية ذي القعدة ١٣٠١ (٢١ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ب .

(٣) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور ، ٢١ ذو القعدة ١٣٠١ (١٣ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ج .

(٤) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى غوردون باشا ، ٢ ذو الحجة ١٣٠١ (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق د .

(٥) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى غوردون ، ٣ ذو الحجة ١٣٠١ (٢٥ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق هـ .

وبين غوردون بل اعترفوا له بشعائفه مع السودانيين بمحنة عامة كما تهاوى في
سابق زيارته للبلاد . فهم لا يضمنون لهم عقدا وليدين بينهم وبينه مسعداوة
شخصية . وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ عبد القادر قوله " . . . ومما
نعلمكم به سعادكم اننا انتم عليه من العمام والمنفعة على الانالي واكرامكم
لنا نعمن بالاخر معلوم عندنا ومثبوت بالذمان من ابتدئ حلولكم بالسودان
في المرات الاولى والثانية . هذه وما اختلفتم به بالمنفردات الصادرة منكم حال
حضوركم بالسودان هذه الدفعة صار معلوم عندنا وعند الخاص والعام " (١) .

بدأ بجليا ان الهدف من تلك المذاتبات كان عمل غوردون على
التسليم وتجنب اراءة الدماء . وقال الامراء يكررون هذه النداءات طامسوا
فترة الحساب . فكتب الشيخ عبد القادر يقول " . . . وكنا قبل ذلك
مطالبنا سعادتم بالمرات السديدة وفي كل هذا اوضحنا ما فيه الكفاية لمن له
تلب وفي جميع المذاتبات اوضحنا لكم طريق العلامة والنبأ فلم تقبلوا ذلك
ولم تداروا الى عواقب الامور فيما دعونا اليه لانه سبب لسلامتكم من عذاب
الدنيا والاخرة انتم واحل البند ر لان كثيرا منهم احتجابنا واطمانا وقد تركتم
ما اوضحناه لكم مرارا وتكرارا وصرت تسمعون كلام العلما " . . . (٢) . وحاول
الشيخ عبد القادر ان يتنب غوردون من جانبه بعدمق دعوة المدي ، وانسبه
بحق المذكور في الكتب السماوية ولا مجال انكرانه وادارة المامسر لـ
وهذا هو السبب الذي يقعه عن مساندة غوردون . ومن ثم اسبعت
الفاضلة عنده بين خيارين : اما الانسياز الى بيانج الدنيا التي يترتبها
غوردون في مثل الامانات وانعامات ، واما اختيار مسكة الله برسالة فاختار
الاخيرة . لم يقدرك الشيخ عبد القادر ان دين غوردون او اعتبار التخلي

(١) عبد القادر ابراهيم الى غوردون بانها ١٨ ذو القعدة ١٣٠١

(١٠ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق أ

(٢) المصدر السابق

عنه شراً مسبقاً للتسليم • بل يخطره بأنه قد حصل على تفويض من المهدي
بالمحافظة على حياته وضمان سلامته الشخصية (١) ولن يتم هذا الا فسي
عالة تساميه • يقول الشيخ عبد القادر * ٠٠٠ بل النافع الرجوع للعق
ونبذ الباطل بجميع اصدائه وتسليم الامر لهذا الامام عليه السلام فلا نجاسة
الا في ذلك ولا سلامة الا فيما هنالك فان كانت لت مغبة فهي كما حكيتهم
فأبصاراً قولي وانتفحوا به وسلموا انفسكم والمسلمين ٠٠٠ * (٢) الا ان...
يخود في رسالة اخرى لينقل له استمداده • ثانياً غفر الى بلاده مسيح
ستيويت باشا رسدريه ابراهيم بك رتدي متى ما اعلان تعليم العدي...
له (٣) ومن جهة اخرى فقد ارسل عبد الرحمن النجومي وعبد الله
النورمدة نداءات لفرزدن ايمان • واكدوا له ان المهدي يحل عليه وهذا
بعدم التسرع لحياته ارسياة السكان او محتلتاتهم او اموالهم • ولن يؤتمن
ما سبق من عدم مسلح بين الفريقين في وضعهم مستقبلاً في دولة المهدية
بل سيتمتعون بنفس الحقوق ويلتزمون بنفس الواجبات (٤) •

ولكن استجابة فرزدن جاءت على غير ما رغب الامر • حيث اوضح
لهم انه ليس على استمداد لمقابلتهم بتلك الروح التي برزت في خطاباتهم
ناهيك عن قبول نداء التسليم • ثالثاً وعائلته استنزاية تحمل بين دايستهما
عبارات التحقير والاستهانة بهم • ولم يهاول في اي منها الاشارة الى المصيبة
التي اورد من اجلها بل ايدي اعراره على الدفاع عن المدينة مهما كلفه ذلك ،
واضاح بهذا الفرص المتكورة التي اتاحت له لانقاذ نفسه ونسبه •

(١) عبد القادر ابراهيم الى فرزدن باشا ٤ ١٨ ذي القعدة ١٢٠١
(١٠ سبتمبر ١٨٨٤) . ملحق أ •

(٢) عبد القادر ابراهيم الى فرزدن باشا غداة ذي القعدة ١٣٠١
(٢٢ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ب •

(٣) Nashi Pasha, p.21.

(٤) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى فرزدن باشا ٢٤ ذي الحجة ١٢٠١
(٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق د

حرر، غوردون على صياغة تلك الرماثل بنفسه مستعينا بقاموس
الديه (١) فجاءت أغلبها غالية من عبارات التحية والجمالة التقليدية .
فهو يخاطب الشيخ عبد القادر بأسمه المجرد (٢) ويشير إلى المسمى
بـ " محمد أحمد " (٣) . وفي ردوده على عبد الرحمن النجومي وعبد
الله النور يتجامل الا غير تماما ويوجه حديثه للنجومي وحده (٤) ويذهب
وسله خطاب من محمد عثمان أبي قرعة لم يكلف نفسه مشقة الرد عليه لانه
حسب قوله لا يتواصل مع العبيد (٥) ثم نخته في رسالة النجومي
بأنه مكبر لا يتوقع منه ان يفلح في شيء خارج هذا المضمار (٦) ولم يحاول
غوردون ان يحقّق رأيه فيهم ، فهم مجموعة لصوم وقاطعو طرق . . .
وان كان انسان له رغبة ان يعمل درويش فنحن لا ننمعه ومن جهة العلماء
الذائرين عنهم بأنهم كذابين وكلامهم جميعه في غير محله فأنهم ما قالوا
شيء الا بحسب المنصوص عندهم في الكتب بل وجميع علماء الاسلام
مصرحين بذلك ولم يرضوا ان ينأوا على الأرض وسلبوا الدراويش امتعتهم
وتفريعات نيامهم . . . (٧) اما محمد الشيرخامل المهدى على بسير فقد
استولى على الاموال العامة ليعولها لمنفحته الشخصية روض لانصاره ان
" الامور كلها غش في غش " (٨) .

-
- (١) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ٢٣ ذوالقعدة ١٣٠١ (١٥ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ج .
 - (٢) غوردون الى عبد القادر ابراهيم ١٨ ذوالقعدة ١٣٠١ (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق أ .
 - (٣) ملحق أ " ب " ج " د " .
 - (٤) غوردون الى عبد الرحمن النجومي كملحق ج " د " .
 - (٥) Nushi Pasha, p.67.
 - (٦) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ٢ ذوالحجة ١٣٠١ (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق د .
 - (٧) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ٢٣ ذوالقعدة ١٣٠١ (١٥ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ج " د " .
 - (٨) غوردون الى عبد القادر ابراهيم ٣٠ ذوالقعدة ١٣٠١ (٢٢ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ب .

لم يشر غوردون الى انه جاء للسودان لينفذ سياسة الاصلاح
وسحب الجيش والمدنيين الى مصر بل اسبغ على نفسه صفة الحاكم على
البلاد " معين فيها " ٠٠ من طرف دولتين عظام ولذلك مجبور على رئاسة
مما لديها بحسب ما تقتضيه شئون صداقتي وثقتي على الحسامين " (١) ٠ وهو
يرغبهم بأن الحكومتين اللتين اؤدته قد ارسلت بهيوسها لضرب العصاة
والمتوردين راد غايلهم في الطاعة تسراة وقد حاول منهم هذا الاسلوب
اسله ينبج في محطهم على التراخي ٠ فقال في رسالة اخرى " ورد لنا جواب
من رئيس جيش الانكليز بأن الهيوس الانكليزية التي وصلت ادنقلا قتلت
الريف الهدي والتريخه محمود الذي كان ارسل مندلف محمد احمد
لمحاصرة دنقلا وقتلت كافة من معهم من الدراويش ومتوجهين دغري ٠ وان
الرايوزات الذي ارسلناهم بالاسبوع الماضي وصلوا لبربر فوجدونا قاعا
مصففا ودنقلا فيها واحدة لموا الاثنين وابورات الموجودين فيها من سداق
وان محمد النير عرب من سننا (١) ٠ اراد غوردون ان يشعلها حريقا
نفسية على الانصار فكان يعلنهم من حين لآخر بأنه سوف يشرع في ضربهم
بكافة انواع الاسلحة بما فيها الموارخ التي لا بد ستحدث هزة أرضية
عظيمة يخشى عليهم من نتائجها (٢) ٠

وكان غوردون يريد من وراء تلك الرسائل الى زعزعة ثقة الانصار

(١) غوردون الى عبد الرحمن النجومي ٢٢ ذوالقعدة ١٣٠١

(١٥ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ج

(٢) غوردون الى عبد الحميد ابراهيم ٣٠ ذوالقعدة ١٣٠١

(٢٢ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ب

(٣) المصدر السابق

في أنفسهم ، فهم لن يفتخروا من امت اثم مقابليد الحكم لانهم لا يملكون المسند
الديني المدعوة انه انتم العلماء بان محمد احمد لا يمت بصلة من قريب
او بعيد الى الحديث المذكور في الكتب السماوية ، وهم لا يملكون السند
الاجتماعي لانهم ينتمون للدرجة الثانية ، وهم بالاعاقة الى هذا
لا يملكون القدرة العلمية لمجاهدة دول عظام تتفوق عليهم كثيرا برجالها
وحملها . ام يدخل هذا الاضطراب الرعب في نفوس الانصار - كما تنصرون
نوردون - بل ساعد طين اذ يداد حدة القوس . فقد تأكد لهم انه لن يستجيب
لنداء التسليم فتسوتوا في مقاومة من الضغط على المدينة حتى يستولوا
عليها عنوة .

أمراء المهدي وقادة فوردون :

لحل الاسلوب المهدي برز في رسائل فوردون من جهة وامراء المهدي من جهة اخرى كان يمكن فلسفة النظام الذي يمثله كل فريق . ومثلما برز هذا الاتجاه في - خطابات فوردون والامراء والمهدي برز ايضا في الرسائل المتبادلة بين رجال الحكومة والانتشار . فبما هذا الميزكي نار الاختلاف تيزداد كل فريق تمسكا بموقفه . ولحل من الحقد لنا مراجعة بعض تلك الرسائل التي تشمل المجموعة المتبادلة بين محمد نصري باشا ورجال اسطوله المشير الدرابا في جهات شندي والحقة وامراء المهدي المنوط بهم القيام بأمر الدعوة في تلك الجهات . بالإضافة الى خطابات من أحمد المصطفى الامين والمصدق العام وحامد ولد ادريس الشايب ، عمال المهدي فسي منطقة جنوب ام درمان ، التي ختم الحرس بك قائد الباشيوزق الشايبه وعثمان بك قائد طابيه ام درمان .

تميزت هذه الرسائل بالارتين ، اولهما انها في جملتها التزمت الموضوعية في النقاش وعينت بأسلوب خال من اي استفزاز او قلعة نفسي القول . فقد عني الامراء لكسب رجال فوردون بالترغيب والتأليف . ثانياً انهما اتبعوا نهجاً صححت على تأكيد الامان وحسن المصالحمة لكل من يخلص مساندته لهم بهمرف النذار عما ارتكبه في الماضي في حقهم .

فكتب محمد النير عبد الله شونلي خطاباً موجهاً الى الملك خشم الموسى بعد وسادة محمد نصري باشا * (١) حاول فيسده

(١) محمد النير عامل الحندي لسموم مدبرة شندي الى الملك خشم الموسى .
- نورمال الدواد -

اقتناعهم بأن المهدي ليس بمدع ولا متخيل وإنما هو قائم بدعوته رفيعتها
بالمسلمين ومن أجل انقاذهم من المزالك التي تردوا فيها ردعنا من الزمان •
ويظهر واضحاً هنا تأثير محمد الخير بأسلوب المهدي في الكتابة بحيث يركز
على تبيين هذه الحياة الدنيا والاعتفاف بها فهي " ليست بدار البقاء"
بل هي دار الفناء والعاقلة يتزود فيها بالتقوى " (١) ويقول أيضاً " انني
ادعوك بالعبادة لله التي الدين الخالص والافتخار بالمعزة الله ... والله
الامام المهدي ومن شئت فيه فقد آثر ... لا يدعو القاص الى الرياسة
والجاه انما لعبادة الله " (١)

واكد لهم محمد الخير في كل رسائله حين المعاملة وعدم
التعرض لهم بسوء من يتم التسليم " وان سلمتم علمتم ولكم الامان نسبي
لذاتكم وممتلكاتكم ونساءكم ولكم منا الاكرام وزيد الاحترام ولا يمسكم مسوء
ولا ضرر " (٣)

ولقد كتب امراء شندى وبعض مناجين النجافة خطابات مماثلة الى
محمد نصحي باشا ومراقبه اوضحوا فيها ان القضية ليست بأية حال بينهم
وبين قادة الاساقفة ، فهم احباب واخوة في الدين وليس هناك ما يدعوهم

(١) محمد الخير عامل المهدي لعموم مديرية شندى الى الملك حسين
الموسى - جرنال الخوادر •

(٢) محمد الخير الى عباد الله ، جرنال الخوادر •

(٣) كاتبة الامراء والمقاديم الى سعادة محمد نصحي باشا ، جرنال الخوادر •

للاقتتال • ثم حاولوا عرض المشكلة على اساس انهما محركة بينهم وبين الانكليز وعلى الغربيين ان يفتحوا في مواضعهم • اما تدلسم لستطة الانقاذ فأصدر غير متبول وينجذبونهم في ذات الوقت لما حدث في بلادهم بالقول " يا ايها الصباة والصباكر من بر مصر تذكروا عدوان الانكليز على بلادكم وما حدث لشرابوهم وتماثلهم على بلادكم واراضكم واموالكم " (١) •

وقد اذاعه امراء ايضا الامان على انفسهم واموالهم ونسائهم • اما قاضي شندى محمد احمد عيسى السيد فقد عرر رماله الى حوار السبايق خشم الموسى ممبرا فبما عن شفقتة عليه لبقائه خارج خطيرة المؤمنين بالمهدية ويدعوه للاسراع بالانضمام مؤكدا له ان عددا سيقابل بالاغتيباط والتروخاب (٢) •

وبعد وان المهدى كان حريصا على كسب رجال الاسلحة لما كان يمكن ان يحمله تأييدهم له من سند مادي ومعنوي • فقد تركزوا هناك فسي ثلاث بواغرتهم من المجند والذخيرة ما يقيد كميوا • بالاضافة الى ان اعلان تأييدهم سيقند الخراطيم هذه الفرقة الاستعلامية التي كانت باشتغال حملة الانقاذ • ومن ثم فقد وجه المهدى الخليفة عبد الله ليحرر لهم خطابا ضمن الامور محاولات الاقناع التي كان يقوم بها امراء شندى فوجهه السيسى " اياه في الله التكرميين خشم الموسى بك وكافة من معهم من النسبـات والصباكر " (٣) ولقد حوت الرسالة مناقضة ديمية على نعت تلك التي يجريها المهدى عادة في رسالته • فخر يبرهنون الدنيا ونسبنا وحارة ما فيها من

(١) كلمة الامراء والمقاديم الى سعادة محمد نيمى باشا ،
جورنال الحوادث •

(٢) محمد احمد عيسى السيد الى خشم الموسى بك ،
جورنال الحوادث •

(٣) الخليفة عبد الله بن محمد خليفة السيدى الى اياه في الله ،
جورنال الحوادث •

جاء ومال والعاقل من عمل لاخرته لانها دار الخلود الابدى وفي خاتمتهما
يعطيهم الخديفة الامان على ارواحهم واموالهم .

وروجه المهدى ايضا خدائا الى هذه المجموعة ورغم كل ما اهدوه
من ثمن وأعمار على موفدهم فما زالوا " احبابه في الله المكرمين خدمهم
الموسى بيك ومن معه بن الدنيا والعسكر بجمعة شندى " (١) . وحساول
اقناعهم بالترغيب والتأجيل دون ان يتوحدوا او يخلصوا لهم القسسول
نقول " اعلموا وتحققوا احبابي اني لست قايما هذا المقام الا لدعوة
الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم المحلى ولا اريد جاهدوا
ولا غناء ولا مال الا غناء بالله فلا تنادوا انا نعالج اموالكم وما ملكت ايديكم
ان سلمتم لنا وصرت من اصحابنا . . . (٢) ويهدى " ان سلمتم غفونناكم
ورئيسنا عنكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة
الابدية (٣) . ولقد بعثت رسالة احمد المصطفى الى " سعادة لسوا
وتومندان وابورات السفرة محمد نصحي باشا " تحمل كذلك مناقشة لمسألة
علاقتهم بالمشكلة القائمة في السودان (٤) . فهم يتعاونون مع الانجليز ضد
اخرتهم في الدين مع العلم بأن هؤلاء قد دخلوا بلادهم عنوة واغتصبوا الحكم
من " الخديو وسيره جسم بلا روح " . واختمت رسالته بالبعد ايضا
" فان سلمتم لكم مالنا وعليكم ما علينا وانت واولادك وما لك نفسي ذمتي
ولو ضاعت منك ابرة تدفى من بيت المال " .

ولكن محمد نصحي باشا وختم الموسى ومن معهما قرروا تجاهل تلك
الروح التي بدت في رسائل الامراء ومقابلتها بأسلوب الاستفزاز والتحذير ولم

(١) المهدى الى احبابه في الله ٦ جهوريان المصداق

(٢) المصدر السابق ،

(٣) المصدر السابق

(٤) احمد المصطفى بن الخليفة الامين الى محمد نصحي باشا ١١

جهوريان المصداق

يفكروا لحظة واحدة في الاستجابة لنداء التسليم ، وكان لقب امراء المهدي
المبادئ رسالتهم هو " الاشقياء " في حين يوسف المهدي ، بالدجال تارة
والشقي المهدي تارة اخرى . خاطبوا الامير احمد حمزة يقولهم " .. نحن
لا نقبل مثل هذه المخادعات وتلقواكم بني اوهس من بيت الضنك...
ولا ترسلوا لنا بعد هذا مخاطبات الا اذا كانت بشأن دخولكم في
الحكومة ... وان قلتم نصيحتي دعوا الناس يدعوا لمواشيهم " (١) . ام
تتن مسألة التسليم واردة على الاطلاق وقد وعدها ششم الموس بأنها
بصيدة " بعد العشرين " حتى لو وعده المهدي ، بتنصيبه حاكما على
البلاد من اتعانا الى ان نأمر ارحل اليه كل ما تنويه خزائمه من
مال (٢) .

وبعد ان الشيخ أحمد المصطفى قد درج على الاتصال ببعض
سكان المدينة من الرماثي . فبحث بخطاب الى ششم الموس بك الذي
تردده به حالة النسيب وانرا احمد بك على جلاب مدير الخرطوم ، واحد الذين
رضعوا فوثيقاتهم على العريضة التي بحث بها مجموعة من اعيان المدينة الى
المهدي يؤكدون فيها ولاءهم له . سلم ششم الموس رسالته لفرورون فألحقها
ببيومياته ولكن بيدوان جلاب قد اثر الاحتفاظ بها ، وسواء ان بحث اي مضمنا
برد ام لا فهو امر لم يثبت . حتى الان .

رثر احمد المصطفى في رسالته لششم الموس على الجانب الديني
تماما لما يفصل رثاته ، فهذا الامام هو المهدي المنتظر الذي يتوجب على
كل المؤمنين اتباعه والاعتراف به . اما ما يردده علماء الخرطوم فهو

(١) ششم الموس الى احمد حمزة

بجورنال السودان

(٢) ششم الموس للاهوا والاعمار بشندي ،

بجورنال السودان

قول بادل من اساسه ولا يحق للعقلاء الاستماع اليه . وجاء فيردا ايضا قوله " ولا زلت في بالنا حتى سمعنا لكم في اغف الامان وانتم داخل الغمر طم فوجدناه لكم ولا موالكم واولادكم وانفسكم ومن تبعكم نصرتنا بدتم ورس لا يستجبه مكر . . . وتحت حقيقته في ادخال تلك البشارة اليكم داخلنا كما وبعدنا سبيل فاجاب الله دعانا وما خيب رجائنا فيكم " (١) ويبدو انه قد فطن الممسين امكانية الاستفادة من المعتاد العربي الذي يملكه اتباع غشم الموس داخل المدينة فطلب اليه ان يخرج لملاقاته بما منه من ذخيرة وسلاح امما اذا تعذر ذلك فليترك كل شيء حتى يمتلكاته الشخصية التي بالتاكيد ستعسر اليه عند فتح المدينة . وربما اعتقد الشيخ احمد المصطفى ان تردد غشم الموس يعود الى تخوفه من انتقام الانصار اذ كان هو احد قادة غموردون الذين ارتكبوا في عدة عمليات ضد غم قد له هذه التغميرة بتسليمه

وما جرى بينكم وبين النصارى بالشرب لا تمشوا منه فانه لا ثما في عفر الامام عليه السلام وما فعلتوه انتم لا يكون سياة من سياة صالح الملك يقتله للمحقوب وانتدابه لاموالكم واولاد المكاشفي وسبيه لا ولا دهم ونالهم مع كونهم اشراف فمع ذلك كلمه الان واقرب الناس من الامام وغش عنه واعطاه صريح الامان فلا تعصبوا لمها منكم غشمه فاحضروا الينا ولو سرا " (٢) .

كتب المصطفى الى المروم نامد ولد ادريس الشايب خطابا الى عثمان بن قائد البقية ام دوران ومن معه من نهباء وحمائر اوشاخا فيهمسا ان المعركة ليست بعد م فميم " اخوان في دين الله وجيران وماكلين عيش وولج " (٣) .

(١) احمد المصطفى النخعي الامين الى غشم الموس الملك
١٦ ذوالقعدة ١٢٠٦ (١١ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ح .

(٢) المصدر السابق .

(٣) احمد بن الماروم نامد ولد ادريس الشايب طلي عثمان بك
٢٢ ذوالقعدة ١٢٠٦ (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ي .

وحاول الكاتبان أيضا اقناع المسافر المصريين بوجوب تأييد عم المهدي فقد سبق ان قبل السودان الحكم التركي راجحاً من الزمن وعليهم الان ان يتقبلوا بالمهدية • بالاضافة الى ان حكم الاتراك قد زال في بلادهم نفسها وآلست الامور الى الانكليز •

وفي الختام وجهوا تحية للانضمام لمعسكر الشيخ احمد المصطفى حيث يشهدهم قوار المهدي الذي نس على ان كل من خرج لملاقاته من امرمان او الغولم مع الشيخ المذكور عليه وعلى اولاده وامواله امان الله ورسوله • اما اذا وقفوا عند العرض فما عليهم الا تسليم الطابعية والتوجه الى وطنهم وستقدم لهم كافة التسهيلات حتى تتم الرحلة بأمان •

بذل امراء المهدي - اذن - جهداً من اجل اقامة جسر بينهم وبين قادة غورون عن طريق الممرات الموضوعة والتغلب المنطقي حول القضية القائمة • وكان يحدوهم الامل في ان يستجيب هؤلاء لتلك النداءات المتكررة وينضوا تحت لواء المهدية • ولان القادة تمسكوا بموقفهم فهدر بعضهم عن عظيم استخفافه بالحيرة نفسها وآثر اخرون المسكت المطبق فلم يكلف نفسه حتى مشقة الرد على الرسائل التي بعثت اليهم •

مسلك المهدي كما كشفته رسائله لشوردون

تمكن غوردون من التعرف على خوايا المهدي، المتعلقة بسياسة تحزو البلاد من مهابدا الاعلى **دون** ان تتعرض لتعريفه او توضحه ان كان من لديه المعلومات والعقائق التي سمعها المهدي في الرسائل التي بعثها بها له . وقد كان في هذا فائدة جيدة ، لان بإمكانه ان يقرر على ضوءها ما ينوي اتخاذه من خطوات فيما يتعلق بموقفه الشخصي او بمسير البسالة السياسي بصورة عامة . وكان اتباع المهدي هذا منسجما تماما مع مسلكه في علاقته مع قادة المراكز الحكومية وروساء حملاتها العسكرية فلم يستثنى غوردون من هذا . ورغم ان المبادرة جاءت من الاخير الا ان استجابة المهدي كانت سريعة فتوالى خطباته بصورة منتظمة طوال فترة الحصار فكتب له اخراها قبل اسبوعين فقط من سقوط المدينة .

بعث المهدي لشوردون بثمانية رسائل حملت اولها تاريخ ٧ جمادى اول (٥ مارس ١٨٨٤) . حيث كان المهدي آنذاك بالابيض (١) . تضمنت تلك الرسالة بوصفها اول اتصال من طرفه وجمعة نذره في كائنات القسمايا المتعلقة بالدعوة موضعها طبيعتها وماميرها بصورة شاملة بالاضافة الى تعليقاته على بعض ما ورد في رسالة غوردون الاولى اليه . فجاءت دلوية تحوى ١٤٥٠ كلمة تقريبا . وقد بعث المهدي معها " كسوة الزهاد " وسر لـ غوردون بضعة أسطر عنها . ولانها كتبت في صحيفة الخطاب فقد رأى بعض المؤرخين تصنيفها كرسالة قائمة بذاتها (٢) ثم ارسل المهدي برسالته الثانية محسن الرشيد في شوال ١٢٠١ (بعد ٢٧ يوليو ١٨٨٤) (٣) وتقارب هذه في

(١) المهدي الى غوردون ، اذنارات ب ، ص ١٠٩ - ١٨

(٢) Holt, " The Sudanese Mahdia And the Outside world, " BSOAS Lxi/2 (1958) pp.276-90.

مضمونها الرسالة الاولى ، فهي تحمل شرحاً تفصيلياً للاجوبة وتبدأ لـ غوردون
 لاهلان تأييده فجاءت في ما يقارب ١٩٠٠ كلمة . بدأت مسيرة المهدي
 الى الخرطوم بعد ذلك بفترة وجيزة ولم يتصل بغوردون حتى وصل اليه
 مشرع القبيعة بالقرب من ام درمان فيصير برسالته الثالثة بتاريخ ٢ محرم
 ١٣٠٢ (٢٢ أكتوبر ١٨٨٤) (١) ذكر المهدي فيها نبأ اغتيال مستبورت
 وقاظله واراد متاعفات من المكاتبات التي كانت يعجزه حتى يخبرهم غوردون
 بصدي قوله . ولا بد ان هذه الرسالة قد اثرت تأثيراً كبيراً في نفسية
 غوردون ، انه انما راغراطل له في الاتصال بالخارج ليعاين المحولين مما
 تعانيه المدينة . وبعد ان استقر المهدي في دهم ابي سعاد بصحت برسالة
 رابعة تحمل تاريخ ١ محرم ١٣٠٢ (١٩ نوفمبر ١٨٨٤) (٢) ولاخبرها كانت
 تحمل نبأ وصوله الى الخرطوم فقد توقع ان يهتم غوردون بالرد عليه .
 فبقى زهاء الخمسة اسابيع في انتظار تلك المكاتبه وعندما لم تصل بصحت
 له بأخرى في ٩ ربيع اول ١٣٠٦ (٢٢ ديسمبر ١٨٨٤) (٣) .

كانت استمدادات الانصار قد نازحت نهمايتها ولم يعد هناك ما
 يبرر الانتظار فصار المهدي ببذل محاربة اخيرة لاقتناع غوردون فجاءت ثلاث
 رسائل متتالية تحمل تواريخ ١٩ - ٢٠ - و ٢١ ربيع اول ١٣٠٢ (٦ ، ٧ ، ٨
 يناير ١٨٨٥) (٤) .

(١) المهدي الى غوردون ، ملحق بـ

(٢) المهدي الى غوردون ، نسوم شقير ٨٤٦ - ٧

(٣) المهدي الى غوردون ، اثار / ١٧٨

يؤرخ يومه ميخائيل ، هذه الرسالة ١٩ محرم ١٣٠٢ (٧ - ٨ ديسمبر) ٦

برسف ميخائيل ، ص ١١٥ - ٧

(٤) المهدي الى غوردون ، اذارات ، ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥١ - ٢ - ٢

نسوم شقير يؤرخ خطاً اولي هذه ٩ ربيع اول ٨٥٦

خطب المهدي غوردون في كل الرسائل ب " غوردون باشا " مثبتاً بهذا لقبه الرسمي رغم عدم اعترافه باللقاب وأعداره منشوراً يحذر الانصار من استعطالها . الا انه لم يشأ ان يحذفها من اسم غوردون خشية من سوء التفسير . ويضيف الى هذا اعترافه به كممثل للحكومتين المصرية والانجليزية نحو " عزيز برديانيا والندوية " (١) . وحرص ايضاً في غاليته على طلب الدعاء له ليأخذ الله يده فيقول " هدا الله الى العالمين القوم " (٢) و " غوردون باشا وقاه الله كل شر " (٣) و " غوردون باشا هدا الله الى طريق النبوة قبل ان يتلاشى " (٤) .

ولقد أكد المهدي في اولى رسائله الى غوردون حقيقة انه " المهدي المنتظر خليفة رسول الله " (٥) الذي اختاره الله للقيام بهذه الدعوة فيقول ليس " بحتشيل ولا مريد ملكا ولا جاعا ولا مالا انما انا عبد احب المستثناة والمساكين واكره الفخر وتسنز السلاطين ونبوسهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الباء والمال والبنين وهذا هو الذي صدر عن صلاحهم واخذت نصيبهم من ربهم فاخذوا الفاني وتركوا الباتي واشتغلوا بما لا يكون ممن الغايات ولم يسمعوا قول الله ورسوله " (٦) .

ثم اوضح المهدي دأبيه في دينيه بحثه لا ترمي منها مراة

-
- (١) المهدي الى غوردون ، انذارات بءس ١٠٩ - ١٨
 - (٢) المهدي الى غوردون ، ملحق في
 - (٣) المهدي الى غوردون ، انذارات بءس ٢٥٣ - ٤
 - (٤) المهدي الى غوردون ، انذارات بءس ٢٥١ - ٢
 - (٥) المهدي الى غوردون ، انذارات بءس ١٠٩ - ١٨
 - (٦) المهدي الى غوردون ، الدر السابق

هداية الناس الى طريق رسول الله وذلك بالايقاع عن النعيم الفسائسي والسعي الى النعيم الدنيائي . ولم يكتف المهدى باثبات هذا بالقول بسبل دعمه بمؤتفين برزا في تلك الرسالة . اولهما انه رفض بمراحة ولاية كردغان التي عرضها فورون عليه في رسالته الاولى " فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردغان ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما انا عهد دال الى الله والى ما عنده " (١) . فالسلاطين والطلوك في رايه من مذهب جبهة الاسلام لانشغالهم بغير ريس . وثاني تلك المواقف هو رفضه يدية فورون التي ارسلها اليه وكتب مطلقا " ٠٠٠ اما الودية التي ارسلتها لنا فعلى حسب نية السير - جزاك الله الخير ونداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك انما لا نرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها وانما عي تعدد الدارين الذين احب ينزلهم عند الله نصيب فما في مرسله اليك " (٢) .

ولان الدعوة دينية ، فدور رفض الاعتراف بفورون كحاكم على السردان مستندا على الاية " لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض " . فهو يسعى الى اقامة دولة ترتكز على الاسلام يتمكن حاكمها من اسلاخ حال المسلمين ولهذا لا يمكن ان تكون الولاية لغير المصنام ، فيسرد على فورون فيما يشبه الاستنذار " فان كنت شقيقا على المسلمين قبل اول اشفق على نفسك وخلصها من مخطئ مآلقها وقوسها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فطهر نفسك اول بالادخول في مائه ثم اشفق على ملته بدخول مدته فعند هذا فأنت الشقيق ومن غير هذا فما لك من المحققين رفيق " ٠٠٠ (٣) فالدعوة الاسلامية لا يقيمها اذن الا المسلم ، من سنا بقاء رفضه لفورون كحاكم على البلاد وهو

(١) المهدى الى فورون ، انذارات بـ ١٠٩ - ١٨

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

مبدئيا وليس شخصيا ، بل لقد كان المهدي يحطلي غوردون كشخصي بعضي الاعتبار فهو يقول له " ٠٠٠ قد سمعنا مرارا فيك المشير " (١) ويندهسب الى ابعد من هذا حين يؤيد له امكانية الاعتراف به كوال في مسألة اعتناقه الاسلام " ٠٠٠ واعلم انك اذا اتيتنا مسلما نريك ونريك عن التورما يطمعن به قايك ونزول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا فيك غيرا وسلاحا للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد " ٠٠٠ " (٢) .

اوضح المهدي هاتين ه انه لا يعترف بغوردون كحاكم على بلاد المسلمين وسوف يستن لوضع نهاية لفلد السلطة بالوسائل السلمية اولا ، وذلك عن طريق تنازل غوردون عنها . **وانه لن يقبل سلا وسطا فيما يتعلق بهذا الامر .** اما مصير غوردون الشخصي فقد كشف المهدي عن امكانية التفاوض **عنه** ، فهو يقول في اول رساله له " وسد هذا البيان اننا نتدريت وسلمت لي **وانبعتني** عزت شرق الدنيا **والاعرة** وفزت باجرع واجر جميع من اتبعك **والا** تلكت فكان عليك اثمك **واثم جميع من اتبعك** " (٣) **هنا** يشترط المهدي عليه التسليم لكي ينجو بحياته ولكنه لا يباله برعاية بالاعتراف بالمهدية او اعتناقه الاسلام (٤) . الا انه في الرسالة الثانية غيره بين الدخول في الاسلام او الملاك ه وفي ذات الوقت اعداه وهذا بالابقاء على حياته وحياة من معه وممتلكاتهم في مسألة التسليم ه وقد فوض محمد عثمان ابرقرجة لرعاية تنفيذ هذا العهد اذا استجاب غوردون للنداء .

ربما فهم منطقياً انه اذا سلم غوردون للمهدي فانما هذا يعني انه قد اعترف به ليس كحاكم فحدا بل بسمته الدينية .

(١) المهدي الى غوردون ه انذارات بـ ص ٢٥٣ - ٤

(٢) المهدي الى غوردون ه انذارات بـ ص ١٠٦ - ١٨

(٣) المصدر السابق

(٤) المهدي الى غوردون ه النجمي ٢٦

ولكن بيدوان المهدي أراد ان يوضح هذا شرطاً صريحاً تضمنه في رسالته الثالثة * فان انبعت الي الله تعالى واسلمت وسلمت وصمدت بصمد يتنا رسله * فها اية * هناك ومن معك جميعها اليها بعد وضع السلاح ورفع المحاربة لنرسل لكم من يرومكم وبذلك تشيرونهم الدارين " (١) * و زاد على هذا انه في حالة الرضى فلهي امامهم سواء الاستعداد للحرب من جنس الله ورسوله وتم بلا شك ، لا يكون ليها كما هلك الذين يفرقونهم عدة وعنادا . وفي هذه الحالة سوف تؤخذ اموالهم وممتلكاتهم واولادهم فقيحة للمسلمين .

بناءً محتوي بقية الرسائل متشابهة في جوهره مع ما سبق ان ذكره المهدي في كتاباته الاولى بناءً تشاء رسالته السابعة والتي ظهر فيها ان تغييراً قسداً اصرأ على رأي المهدي فيما يتعلق بصغير غوردون (٢) . فهو ما زال يصر على تسليم الغرطوم ولكنه يبدى استعداداً لضمان حرية غوردون الشخصية ان يقول " فان اراد الله سعادته وقبلت قصتنا ودخلت في اماننا وضماننا فهو المطلوب وان اردت ان تبقي على الانكليز الذين احببونا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بهؤلاء فنوصلك اليهم " (٣) . هناك هذه عوامل يمسدو ان المهدي اخذها في الاعتبار عندما قرر ان يتراجع قليلاً من مطالباته لغوردون باعتناق الاسلام او الاعتراف بالمهدية . كما كان يسعى في البداية الى كسب غوردون الى جانبته حتى يتمكن من الاستفادة منه في بناء الدولة التي يزعم اقامتها في السودان ولا بد انه سيكون مفيداً له تماماً كما هو الحال مع مدلايين باشا وغيره من الابواب . الا انه تنازل عن هذا الطلب حين تأكدت له انباء وصول الحطة الانكليزية فرأى ان يصرح على غوردون امكانية تأمين سفره الى سيثما تكون العملة .

(١) المهدي الى غوردون ، طشقور

(٢) المهدي الى غوردون ، اعدا رات ، ب، ص ٢٥٢ - ٤

(٣) المصدر السابق

وتوقع المهدي ان تعود الحملة من حيث انت في حالة قبول غوردون للمهدي فتجنّبهم - بالتالي - اراقة المزيد من الدماء • ثمة عامل آخر ايضا • ربما اخذ المهدي في الاعتبار تمسك غوردون بدينه وتعصبه له • مما كلفه الامر وقد وضع هذا جليا في تجاوزه التام للنداءات المتكررة التي وجهت له في عدة رسائل لاحتياي الاسلام كي • يقبض بحياته • فأيقن المهدي في تلك المرحلة من العماران غوردون ان مسلم عثى لو كان في هذا فقدان حياته فأتوا به يتخلص منه ويأمن شر الحملة •

ومثما كان الحال بالنسبة للمهدي فقد اخذ غوردون الرسائل وسيلة للاتصال به الا ان عدد الخطابات التي بعث بها غوردون الى المهدي ما زال خاضعا لاجتهاد المؤرخين • فلقد تضاربت روايات المصادر حول هذه وتباينت • فمنها نسخة عربية لرسالة واحدة هي اولى رسائل غوردون الى المهدي والتي حذفت ضمن مجموعة المسلمي (١) • كما ان هناك نسخة من رسالة يمنية بعث بها غوردون الى فخر الله بك وطلب منه نقلها الى المهدي وقد ارفقت باليوميات (٢) • الا ان نصي باشا اورد في تقريره ترجمة لرسالتين اخريتين • وذكر ان غوردون قد بعث بالاولى في مارس ١٨٨٤ بعد تسلمه اورد المهدي على خطابه الاول • ولقد اختار نعم شقير الثانية وجاء بالنصر العربي لها وذكر انها ارسلت كرد على رسالة المهدي التي تحمل تاريخ ١٩ نوفمبر ١٨٨٤ (٣) • ولا بد لنا ان نخضع رواية التقرير للتأمل ان لا توجد اصول لاي من هذه • ربما فقدت الاولى باعتبار انما ارفقت مع يوميات ستيررت لان غوردون قد كتبها قبل ١٠ سبتمبر تاريخ مغادرة ستيررت للمدينة • ولكن اذا كان تاريخ شقير صحيحا

(١) غوردون الى المهدي • ١٢ ربيع اول ١٣٠١ (١٠ ابرير ١٨٨٤)

فيونات ج ١ / ١٥١ •

(٢) غوردون الى فخر الله بك • ٣ محرم ١٣٠٢ (٢٤ اكتوبر ١٨٨٤) مطبق لـ

(٣) نعم شقير • ص ٨٤٧

قال الحاق الثانية بيوميات غوردون كما فعل مع بقية الرسائل التي وصلتته اشياء تسجيلها كان امرا متوقعا . الا ان كونه لم يفعل لا ينفي حدوث الواقعة ، وربما ابعدها لسبب او آخر ولكني اميل الى الاعتقاد بأن نعم شقيق قسند اخطأ في تاريخه وان غوردون اساما لم يبحث بطلب الرسالة وانما بحث فقط بالبرقية المشار اليها حاجتا . واخذ دنج مؤلفو التقرير على ذكر رئيس رسل مثل مستمدين على معلومات محلية فقد ولدهم لهذا نقلوا برقية غوردون مع بعض التحريف على اساس اننا رسالة .

ولكن هناك دلائل اخرى تشير الى خطابات بحث بها غوردون الى المهدي بالاضافة لتلك التي وردت في التقرير وما زالت اصولها او نسخ منها مفقودة .

جاء في احدى رسائل المهدي لغوردون قوله " وقد بلغني من جوابك الذي ارسلته اليك انك لست ان الانكليز يريدون ان يفسدوك وسدك هنا بعشرين الف جنيه " (١) . فيما تكون الاشارة هنا لرسالة ما زالت مجهولة الحقائق . الا ان الاعتقال الثاني ، ان يكون الخطاب الممضي هو ذلك الذي بحث به غوردون الى عبد القادر ابراهيم ورضي فيه استعداده لدفع عشرة الف جنيه مقابل اطلاق سراح الاسرى من الاوربيين (٢) . ولعل المخط في المعنى مرده رداه خط واسلوب ذلك الخطاب .

ولكن المهدي يشير في آخر رسالة كتبتها الى غوردون الى خطاب وصله منه في ويؤكد له ان " جوابك رد المحرر منا وصل اليك وفهمنا مضمونه " (٣)

(١) المهدي الى غوردون ٢٠ ٤ ربيع اول ١٢٠٢ (٧ يناير ١٨٨٥)
انذارات ب ٤ ص ٤٢٥٣

(٢) غوردون على عبد القادر ابراهيم ، بعد ١٨ ذو القعدة ١٣٠١
(١٠ محرم ١٨٨٤) . ملحق ١ .

(٣) المهدي الى غوردون ٢١٤ ربيع اول ١٣٠٢ (٨ يناير ١٨٨٥)
انذارات ب ٤ ص ٢٥١ - ٢

فاذا كان غوردون قد بحث بخطاب المهدي قبل اسبوعين تقريبا من سقوط المدينة ، فاحتمال ان يكون قد بحث برسائل اخرى قبل ذلك التاريخ غير مستبعد على الاطلاق .

كشفت رسالة غوردون الاولى انه كان يسعى لمعالجة المشكلة في بادىء الامر بدبلوماسية ، ولا استفزاز غوردون ان يتورط في شيء ، فخطاب المهدي باحترام وكانت احد رجال الصوفية " مولاى السيد محمد احمد بن عبد الله " (١) . لم يكن نفادى غوردون لذكر لقب المهدي سموا بل دان على الاربع . امرا مقصودا . وقد ركز في تلك الرسالة على الجوانب السياسية اللازمة متجاهلا عن بعد الميمنة الدينية التي عرمت بها الثورة .

ولعل الموقف الذى اتخذه غوردون تجاه الانصار طوال مدة الحصار بدأ في تلك اللحظة التي خط فيها رسالته الاولى للمهدي . قدوم يسأت للبلاد في منحة مؤقتة بل جاء با كحاكم صاحب سلطة شرعية لم يبنه أى استعداد للتنازل عنها قيد انملة . ولكي يدخل شيئا من الرعية في نفس المهدي ذكر له انه جاء مندوبا من قبل حكومتى دولتين عظيمتين هما مصر وبريطانيا ليتولى شئون البلاد ونهى اليه بهذه الصفحة موافقته لتنصيبه سلطانا على كردغان .

لم يتدارق غوردون من بعد انقضى الى طبيعة مهمته ولم يسم يسرالى انه جاء من اجل اخلاء العقائد والمدنيين ولو فعل هذا منذ البداية ربما كان في الامكان رؤية معرقة مضايقة تماما لاحداث تلك الفترة .

وعندما استلم غوردون رفض المهدي المكتوب للمسلطنة في مارس ١٨٨٤

(١) غوردون الى المهدي ، ١٢ ربيع اول ١٣٠١ (١٠ نواير ١٨٨٤) فيوضات ج ١ / ١٥١ .

" استشارنا، غنينا وكل كسوة الزهاد برجله " (١) وفي حينه حرر خطابا اشتفى فيه اسلوب التحفظ العذر الذي ظهر في الخطاب الاول واستعاض عنه بأسلوب الاستنزاز المباشر فهو يدعوه " محمد احمد الممهدي " (٢) .

وقد أكد في هذا الخطاب ولايته على السودان مرة اخرى ووضع امام المهدي خيارين فأما ان يقبل منصب السلطان او يجهز نفسه لحرب لا تسوادة فيها ستقضي بالتأكيد هاية وطول رجاله .

ويبدو أن المهدي لم يلق بالا لتوجه يدات غوردون فواتح على ندائه له ليضع حدا للمشكلة بلا أوانة مزود من الدماء . تجلت استجابة غوردون في قوله " انا لا يمكن أسلوب كلام محمد احمد زيادة عن الرعايا " (٣) فكشف بهذا عن تصميمه على القتال سرى ان ياتت بهدلا لمساعدة اولم تأت ومعو يدعوا نصار المهدي سراحة الى التقدم نحو خطرنا النار الرئيسية لملاقاة جنود .

ولم تبد في أى رسالة منه إشارة الى انه ربما يفضل تسوية سلمية يمكن التفاوض حول اسسها خاصة وان المهدي أبدى استعدادا لاختلاء سبيله وتأمين سفره الى حيثما تكون القوات الانجليزية ، وكان بالامكان اجراء مشاورات تهدئ النفس تأمين سلامة الانجلي من بند ومدنيين واحمل التخوف من ردود فعل انتقامية لا اساس له الا ميثاق ان قاتل افراد حامية الابيض

الانصار بصرامة وانزلوا بهم من المنابر ما يفوق كل ما انزله بهم بولسبولس
سامة الدخول والى مدة الحصار ومع ذلك لم يفقد اى منهم حياتهم
عند التسليم *

بالاعانة الى هذا فقد جاء في اسدى رسائل المهدي تأكيداً
لا الى الخوارج بأنه على استعداده لتسليم الماضي وتقبلهم بين رجس السيرة
مضى ما اخلصوا تأييدهم له فهو يغاطبهم بقوله " . . . وحيث فهمتم ما ذلك سر
فأني لا اؤخذكم بما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين تأييدوا الى ركن واسلموا له من توجب ان يأتكم الصواب
بغته وانتم لا تشعرون عليكم امان الله ورسوله وامن السيد الله وليس
عليكم حق فيما مضى وغايته ان من علم بام . . . ولا فحشوا من شمس
يحصل عليكم فأننا مناظرون مفكم ايه قراءه نصالحوا اذا جاءك الذين يؤمنون
بايتنا قتل سلام عليكم) . . . (١)

لقد اراد فوردون كسر شوكة المهدي وهذا هو الامر الذي أقعده
عن تسليم المدينة فأتخذ موقفاً عدائياً منه منذ البداية على اساس ان
هو صاحب الحق والسلطة وما المهدي الا متخرباً خارباً على القانون يتوجب
اخضاعه من اجل الحفاظ على سيادة الدولة وبعينها * وقد اتخذ هذا
الموقف رغم انه لم يكن يملك طدرات الانتصار وكان واضحاً ان المعركة
تتحول تدريجاً في مصلحة الانصار وقد تدهورت معارضة المهدي فقامت
بالمخاطر *

(١) المهدي الى انبالي الخوارج اذارات بـ ص ٢٥٥ - ٦

الفصل العاشر

عمليات العمارة و «مفقود» الخرافات

ما ان حل شهر مارس حتى تأكد غوردون ان سياسته السلمية التي كان يأمل ان تنجح في فتح جماح الثورة قد انتهت ايضا. انباء احلام • لم تعد انباء النصارى الذي يقم به الانصار في كل المناقاة الممتدة من الخرافات جنوا حتى القليله وسار وشمالا حتى بربري مبرد شائعات ينقلها المساعرون والرواة بل حقائق سجلها مساوئيه وبواغره الاستطلاعية • وقد انبثرت آخر آماله في تنفيذ تلك الخطة بوسون رسالة المهدى الاولى اليه التي اوضح فيها رفضه لسلطنة كردان وان ليست ثمة شي يقعه عن مواصلة سيره نحو الخرافات • فأما ان يقتنع غوردون بعدم الدعوة وينفذ نفسه ومن معه بتسليم المدينة للانصار والا فان "عزب الله واصل اليك ومزمل لك عما شاركت به خالك فاستدعيت ملك عباده واراض مع ان الارض لله يورثها عباده المخلصين" (١) ويولا يأتي المخطوط ليقتسم الاسلاب من غوردون او يتفاوض معه بل ليحتلها عليهما والقوة اذا اقتضى الامر • ثم يغتنم المهدى الرسالة بقوله "••• وبعد هذا البيان فان اعتديت وسلمت لي واتبعني عزت شرع الدنيا والاخره وفزت يا جوك واجبر جميع من اتبعك منك والا كنت فكان عليك اثمك ومثل آثم جميع من اتبعك" •

الا ان تفكير غوردون لم يتجه ولو للمحظة عابرة ، نحو تقديم الخرافات لقمة سائفة للانصاره فاذا اصبح الاستيلاء عليها مواضعهم قدرا لا مفر منه فليتم ذلك حنة وسد لاي • فباشر من توه في اجراء مزيد من الاستعدادات الدفاعية تحسبا لاي هجوم قد تشنه فرق الانصار المرباة منزل المهدى يندة وتا بالوصول المهدى •

(١) المهدى الى غوردون ٧ جمادى اول ١٣٠١ (٥ مارس ١٨٨٤)
انذارات بهدى ١٠٩ - ١٨

عاجل غوردون استغلال ما لديه من إمكانيات إلى أقصى الحدود
فلم تكن المدينة تملك من الموارد البشرية والمادية التي تستند في الحروب
إلا النزر اليسير . وكانت هناك حامية بالغة بالقتل إلا أنها كانت تعاني من
عدة نقائص وقفت عائقا أمام خلق شبكة دفاعية فعالة . وكانت هناك أيضا
مجموعة من الجوانر التي أدخل عليها غوردون من الرسائل ما ألبسها شعور
المشارك العنصرية ، إلا أن الداروش التي صاحبت تطورات البرار قد تسببت
من حركتها إلى حد يسير كما سيوضح فيما بعد .

حامية الخرطوم :

اشتملت الحامية على ثلاث من الجنود المصريين والسودانيين
الناميين والأتراك والشايكية قهر النماميين بالانغاة إلى المتلوتين (١)
وقد قدر عددهم بعد انسحاب حاميتي الدويم والكوه إلى الخرطوم فسي
٢ يناير ١٨٨٤ ب ٦١٠٠ جندي (٢) ولقد اتجه تفكير غوردون عند وصوله
في ١٨ فبراير ١٨٨٤ إلى سحب حاميات سنار وبعض المراكز الصغيرة
المتناثرة في الجزيرة إلى الخرطوم . إلا أن وضع الحاميات في كل مسكن
الخرطوم وسنار اضطره إلى الغاء ذلك المخطط (٣)

كانت العقبة الرئيسية التي تشل قدرة الحامية إلى حد
كبير في الدفاع عن المدينة هي عدد قليل من النصارى الذين لا يحتمل
إلى ما لا يقل عن ١٢٠٠٠ رجلا لحمايتهم (٤) ولقد حقق ان ابرق الكولونيل
دي تلوون سلمات القائمة قبل وصول غوردون من أن حامية الخرطوم
لن تستأين أن تعمي دفاع الدفاع حتى لو تناقص عددها الحالي (٥)

(١) نسيم شفيق ، ر ٧٦٦

Nushi Pasha, p.5.

(٢)

(٣) ذكر نصحي باشا أن غوردون كون لجنة لتقريب في هذا الأمر فأوصت بترك
حامية سنار في موقعها .

The Times, 4th January, 1884.

(٤)

Levenson, " Insurrection of the False Prophet "

(٥)

بل ان بعض الناس كانوا يتشككون فيما اذا كانت الحماية بكامل قوتها مستمكن من حفظ الامن بصورة عاديه في المدينة (١).

كان هؤلاء الجند يفكرون الى الحد الأدنى من التدريب حسب السبب السببي الذي يؤهلهم الى تنفيذ أى عمليات حربية ناجحة . ويلاحظ ان تدوين هذه الفرق قد تم بصورة عاجلة عند ههنا " هيد القادر باشا حلي . فقد اضطر لتحويل جنود الحماية للاستخدام في العمليات العسكرية في منطقة انجيزية . ونسبة لنلة عدد -م فقد قام بشيعة ثلاث اوطه من السمسود واستدعى ستة اوطه من المهنود النظاميين من السردان الشرقي . ويبدو انه استعان بالاشداء منهم في العمليات التي شنها عند امولن المعهدي اما البقية فاقدرنا انوا بها مسؤولية الدفاع عن الخراب ولم تكن تتفتح بأى مقدرة عسكرية بل وصفت بانها " بقايا جيوش ٢٠٠٠ " اقلهم من المجزة والهميان (٢) ولم يكن هذا الموقف مضافا على مسئولية القاترة ، انه كان يبرز على علم بنصفه حماية الخراب وما افتقر رجالها الى التدريب فمقدم بالتسليم مجموعة صغيرة من الجند الذين لا يمكن الاعتماد عليهم (٣) .

بالإضافة الى هذا لم تكن مسألة اخلاصهم وشانهم في خدمة الحكومة امرا نرى التمهيدات ، فمهما خليا من الجند يحامون تماما ان الدفاع عن المدينة فوق الماتهم لنلة عدد -م وضعف خبرتهم الحربية . ولا بد ان يكون مدافعهم من البدنية موالا استزاق أكثر منه العمل المخلصي لهدف معين ، فمعرفة ان غوالي نفسه الجند لم يكونوا يدنون بالسلا لالحكومة ولا يمكن الاعتماد عليهم حتى للحفاظ على الامن الداخلي (٤) .

The Times, 4th January 1884.

(١)

(٢) خطاب دي كلونين الى اى . وود في الساعة ، نشر في التايمز ١١

فبراير ١٨٨٤

(٣) نشر هذا التخطي في التايمز ١١ فبراير ١٨٨٤

The Times, 21st January 1884.

(٤)

كانت الدوائر الحاكمة في كل من الخرطوم والقاهرة على يقين تسماع انه اذا شن الانصار هجوما على المدينة سيتم حيل على العامة عدده (١) ، الا ان غوردون تجاهل هذه المعلومات ووطد عزمه على الاحتفاظ بالخرطوم مهما دلفه ذل الامر .

ربما يتبادر الى الذهن ان غوردون اتخذ ذلك الموقف باحتسار ان سندا عسكريا لا بد سيايته من الخارج . الا ان هذا التحذير لم يكن يستند على اساسه ان سبق ان اضطر رسميا ولم يمش على وصوله الخرطوم انش من شهر واحد في رسالة بعثت بها بيرنج الى وكومرنا لوزير الخارجية البريطانية في ١١ مارس ان ليست ثمة نية في ارسال قوة عسكرية للسودان (٢) ، كذلك رد جرانفيل على هذا برسالة يؤيد فيها رأى بيرنج وموضحا ان الحكومة البريطانية ستعارض اي قرار تتخذه الحكومة المصرية بارسال قوات للسودان الا انها قد توافق على ايذاء قوة مصرية الى مواكن بشرط ان يكون هذا ممكنا من الناحية المصرية وان رأى سردار الجيش المصري اي . وود بأنه عمل ساذج (٣) ولم تكن الحكومة البريطانية على استعداد للموافقة على ارسال قوات للسودان حتى وان كانت بهدف المساعدة في تأسيس حكومة موالية لمصر ، هناك تلميحة من قوة تصادم عسكريا مع العبدى . ومن ثم اوضحت بريطانيا انه يمكن ارسال فرقة لبربر اذا روى انها ضرورية لانقاذ حياة غوردون وانها ستلتزم بتنفيذ هذا الامر فقل (٤) . ولقد كان هناك خلاف حتى على ارسال هذه القوة اذ ان بعض عجمها سيحرضها لاختلال رغبة في سين فان ارسال قوة كبيرة ارا مرفوتا على الاطلاق من جانبهم (٥) .

The Times, 11th February 1884. (١)

بيرنج الى جرانفيل ١١ مارس ١٨٨٤ ، Egypt, 12, No. 234 (٢)

جرانفيل الى بيرنج ١١ مارس ١٨٨٤ ، Egypt, 12, No. 235 (٣)

كان هدف حملة سوانن التي ارسلت فيها عدد من فاني فقل ، فلسطين قائلة لنا تعليمات ممددة بالا يتسرع للانصار بهجوم او يحاول فتح الطريق الى بيربر او يفتق طريقه للخرطوم بأى حال .

جلاد ستون الى جرانفيل ١٦ مارس ١٨٨٤ ، BML, Add MS 44176, (٤)

جرانفيل الى بيرنج ١٦ مارس ١٨٨٤ ، Egypt, No. 12, in No. 255 (٥)

فإذا كان غوردون ملما بهذه التفاصيل فهناك احتمالان لتفسير موقفه ، أما أنه قرر بصفته جازمة الاستعانة بالقوات التي تحت تصرفه للتصدي للانحسار في هذه المواجهة ، وأما أن الأمل كان ما يزال يراوده في أن الحكومات التي أرغده قد ترضخ أخيرا لرغبته وتبسط له بحملة تنقذ المدينة مسن براثن المهدى .

كانت حماية النهرام تتكون من ثلاث أفراس من السود ، كل فرقة تضم حوالي ١٠٠ رجلا وثلاثا جميعا تحت قيادة قتي به الزني (١) وقسط اسم غوردون علوه فخرج بك برتبة الهاتية وهيئة قائد عاما للفرات لأنه مسن قلائل النبال الموبودين في المدينة من ذوي المثيرة العسكرية رغم أنسه قد عرف بمياه المشرق ، فقد عمل في مصر قبل ثورة سراي وقام بتحصين شياط الألاي السوداني على التمرد عام ١٨٨١ إلا أن الجنود كثرنا أمره . فشككت له وزارة الجهادية المصرية محكمة عسكرية حكمت عليه بالنفي إلى السودان ولكن رؤوف باشا الحقه بالجيش المصري مرة أخرى عند ولايته له البلاد (٢) ورغم أن كثيرا من مجاهد غوردون قد قاتلوا الانبار هك دخولهم المدينة حتى سقطوا في الميدان إلا أن فوج بك كان ضمن أولئك الذين تخلوا عن بزاتهم المسدرة وجموا وجوعهم سوب المسحراء .

كانت هناك أيضا ثلاث فرق من الجنود المصريين الذين جئوا واجلادهم غوردون إلى أم درمان تحت قيادة محمد نصفي باشا قاضي سدا لارمالهم لمسوء ولكنهم أوجع اثنين منهم إلى الخرطوم وعين إبراهيم بك لحزوي توفدانا عاما للفرات المصرية . وأوكل ليوسف أغندي عفت فخرج بك على قيادة كل فرقة منفصلة . كان الباشا يوزق من الشايقية والأتراك يشكلون اثنين وثلاثون فرقة تضم الواحدة الستين رجلا تقريبا . فوضيخ الأتراك تحت قيادته

بالخباياين احمد ثابت واخيه محبوب ولما من اعمل معرى ولدا بجهسات
دنتار . ثم قام لدى كنفوجين بشوية وسائل دفاع المدينة كند فعل ديساشمر
المزينة عكس يادا في اشرعام ١٨٨٣ . فحفر خنادق جديدة وزاد من عمق
المدينة وشيد عدة دلوابين على طول خط النار (١) فبلغ طول الخندق
١٠٠٠ ياردة في زمن فيضان النيل الا انه كان يمتد الى الف ياردة
اخرى عند انشاؤه . وبلغ عمقه ٨ اقدام وعرضه ١٧ قدما في المسطوح
و ١٠ اقدام في العمق .

ثم رأى غوردون عند وسوله ضرورة ضخمة التعميمات وفراد مرة اخرى
من عمق الخندق حتى بلغ ١٨ قدما وشيد سورا من الدواخل واقام فسوقه
جاء الى ارتفاع خمسة اقدام وفتح فيه المزانج . وقام ايضا بربط الجسم
الخري من الخندق بسلك شائك مع شاطئ النيل الازرق . ثم اتى ببعض
المراكب معلقة بجهوات نائمة وربطها في هذا السلك لتملأ الفراغ السدى
يغلقه انصار ماء النيل (٢) .

ولقد تغللت حول الدفاع جعله من الدلوابين المسلحة بالمداغ (٤) :
كانت هناك طابئة الكلاكلة في أقصى الغرب تليها طابئة المسامية . وتجاور
كل منهما بوابة عرفت باسميهما . وفي أقصى الشرق قامت طابئة برى ببوابتهما
الا ان هذه ظلت مغلقة منذ بداية الحصار . وقد وجه غوردون مستعمرات
باشا وغيليل اندى فوزى للأشراف على بناء طابئة اكبر في مكان طابئة برى
القديمة . وفي شمال المدفعة توجد طابئة في شكل مبنى لدى طابقين عمرف
بتصرايح ارا السرايا الشرقية . وهناك ايضا طابئة بالممن والممرى بام درمان .

Guzzi, p.45.

(١)

(٢) اسماعيل بن عبد القادر ص ٢٢٧

Nushi Pasha, p.20

(٣)

Leverson, " Insurrection of the False Prophet "

(٤)

ونشر غوردون الأعمدة الخشبية ذات الرأس المدببة على بعد عشرين مترا خارج التعصينات ووضع الحيوانات النافسة المريعة الانفجار حول جميع الدوابي (١) وما وان براميل المياه الفارغة قد ملئت بالديناميت ووضعت في النقساط الضعيفة من غطاء الدفان وزرعت الألغام في جزيرة توفى وشور شجبات ومنداقة الحلفاية (٢) .

بداية العمليات العسكرية :

كان غوردون بلا شك يتأهب لخوض معركة عسكرية ولا تشييسر الدلائل الى انه فكر في الانسحاب او التسليم . وكان الانصار في ذات الوقت لا يقلون عن غوردون . مما ساعد فيما يتعلق بالاستعدادات الدوابي . فلقد واد الشيخ العبيد عزمه على تنفيذ توجيهات الممدى التي تناولت خطابه اليه فشرح انصاره في القاء حصار على المدينة من جهة الشرق وقطعوا اسلحة التلغراف وبدأوا في اطلاق قذائفهم على المانية قصر راسخ (٣) ثم تقدموا حتى وصلوا موقع الصباي المتاخم لمنطقة الحلفاية فتشرع غوردون من احتلالهم لجا و فارسل قوة من المايقة في ١٢ مارس ١٨٨٤ للسيطرة عليها الا ان ابراهيم العبيد تصدى لهم من اتجاهه واخذل بهم بمنطقة سائقة . فسارع غوردون لانتقامهم بإرسال باخرة محملة بالمدفعية تحت قيادة ابراهيم بك فوزي (٤) وبعد معركة دامت اثنى من ساعة انهزمت قوة غوردون وتمكن الانصار من اسر مائة وخمسين من افرادنا وقتلوا كثيرا من الاسلحة والذخيرة (٥) .

(١) Iushi Pasha, p.34.

Ibid.

(٣) ابراهيم فوزي ، ص ٢٠٢

(٤) ابراهيم ابورديني ، ص ١

(٥) الممدى الى محمد خالد ٤ جمادى اول ١٣٠١ (٣ مارس ١٨٨٤) زقل ٣

عنه المعلومات منممة في «ناشية الرمال» التي تعمل تاريخ ٨ جمادى ثاني

(٦ ابريل) نسيم شقيريو رخصا خطأ ١٨ جمادى ثاني ٤ ص ٧٧٦

وبما ان الخلافية كانت منطقة استراتيجية بالنسبة للاغتراب فقد
 ضم غوردون على استردادها ٠ فأرسل قوة في ١٧ مارس ١٨٨٤ مؤلفة من
 اربع فرس من الجيادية والباشيزي ٠ ثلاث منها تحت قيادة المشايخ السودانيين
 السيد باشا حسين وحسن باشا ابراهيم الشاللي ومولى بك مسيحي
 امرياطي وقدوا امرا ٠ الراية لميتو افا التوكي (١) فسيبت هذه القسوة
 النيل الازرق ٠ انبتت مع الانصار في موقع عرف بجلفينقر (٢) ٠ وقد جمعا
 وصف هذه القسوة في رواية بعث بها الشيخ السيد و بدر للمهدي الا
 ان هذه الرواية ما زالت مجهولة المنان ٠ ولكن المهدي نقل محتوياتها
 في خطاب بعث به للممد خالد زقل يقول فيه " ٠٠٠ " وكذلك بيوم الاحد
 الموافق ١٨ جمادى اول ١٣٠١ في ساعة النصف خرجت اليه جردة تماوي
 اربعة الاف من قيسر قصر اريخ بالشرق فقتلوا مع الحذايرين فتموتهم
 في اقل من نصف ساعة وقتلوا منهم اربعةائة نفر واستلموا منهم مدافع وجيشان
 اربعة ٠ بمطال والشهدا ٠ من الانصار عشرين شهيدا " (٣) وقد كان بين
 القتلى مولى بك ٠ واحد قادة الفرق الاربعة ٠ واخوه فضل الله (٤) ٠

استمرت بعد ذلك المناوشات بين الفريقين الى ان وصل اول
 فوج من البوش التي بعث بها المهدي من الغرب بقيادة محمد عثمان
 ابو قرية في مايو ١٨٨٤ (٥) ٠

وكان المهدي قد عين ابا عرجه اميرا على القوات المحاصرة

(١) ابراهيم البورديني ٤ ص ٢
 محمد عبد الرعيم ٤ ص ١٠ ٠ هذه هي المعركة التي اتهم فيها السيد
 باشا حسين وحسن باشا ابراهيم بالتواطؤ مع الانصار ٠

(٢) مكان مركز بوليس الخرطوم بحري الحالي
 (٣) المهدي الى محمد خالد ٤ جمادى اول ١٣٠١ / ٣ مارس ١٨٨٤
 الحاشية بتاريخ ١٨ جمادى ثاني (١٦ ابريل) زقل ٢ ٠

(٤) ابراهيم البورديني ٤ ص ٢
 (٥) اسماعيل بن عبد القادر ٤ ص ٣١٢

للمدينة في وقت ما قبل ٣ مارس ١٨٨٤ • ورغم ان خطاب التسمين لسم
بالمهرله اقرب بعد الا انه ذكر في رسالة لمحمد خالد زقل انه قد عيـن
أبو قريظة • اميرا لقوات البحر • (١) • كما انه يشير لذات الامر فسيبي
الملايك بصحة به لمحمد الملايك ود البشير •

مخوف المهدى من ان لا يقابل تسمين ابي قريظة اميرا للقوات
المناصرة بترحاب من ود البشير انه كان هذا الاخير من انسابه السديين
شعروا السلاح في ربه الحكومة في مالمع ايام الدعوة • فلا بد ان يسره
اسناد القيادة في منطقتهم لشخص فيره نبعث له المهدى برسالة يهـرر
فيها هذا التسمين فقد رجع ان بعض الامالي ما زالوا يحيطون حقيقة
الدعوة فتهاطلوا في الانضمام اليها • ولكي يتجنب المهدى امهـمـمـمـمـمـمـم
الموة منهم ارسل ابا قريظة ليجادلهم بالتي هي احسن (٢) وربما يشذر
لود البشير القيام بهذا الدور لانه سبق ان اشترك معهم في عدة مناوشات
دموية ستقف بلا شك عائفا في سبيل ابرام تسوية سلمية • ويلاحظ ان المهدى
سبق ان وبه رجال الشكرية واتباع العبيد ود بدر بالعمل مع ود البشير
ولكن كلا الفريقين قد تردد في تنفيذ هذا • كما ان صالح الممك الذي
ايدى استعداده للشمام رجع ان يتم هذا على يد ود البشير فآثر المهدى
على ضرورة هذه النتائج ان يهـتـمـm
او احقاد • وكتب في ذات الوقت لود البشير حتى لا يفقد ود هـ وتعاونـه • ولم
يأبه لشن الموقف لذاته الا ليرى امثال العبيد ود بدر وحيد القادر ابراهيم
ربما لان تاريخهم في الخدمة ما زال قصيرا • فقد ظل اولهما على الحميات
حتى اول عام ١٨٨٤ حين فاد له ان المهدى مختصر يلا ريب فاعلن الولاء له

(١) المهدى الى محمد خالد ٤ جمادى اول ١٣٠١ (٣ مارس ١٨٨٤)
زقل ٣

(٢) المهدى الى محمد الملايك البشير بعد ٨ جمادى ثاني ١٣٠١
(٦ ابريل ١٨٨٤) فيونات ٥٠ / ٣

اما الثاني فقد كان اكثر ايجابية و فبقى على تأييده للحكومة واقام بداخل
الخرطوم حتى وصول غوردون ، ولكن عندما اتضحت له حقيقة مشاعر الاساسي
قادروها نيانيا الى قرية الكلاكله . لم يكن اى مشاء اذن ، في موثف يمكنه من
استنار عقد لواء قيادة المنطقة لقائد عريق مثل ابي قرجة .

اصطحب ابو قرجة اربع فرق من جنود كردان باسلحتهم النارية
بالاسلحة اليدوية ، الاسلحة الثقيلة الذين تزايد عددتهم برصولة السيسى
لواء النيل الابيتي خاصة في منطقة القطينه حيث تقم عشيرته . وما ان
حصل رساله بالقويه من الخرطوم حتى بحث برساله لجنودون يطلب منه
التسليم (١) . ولقد كشف بهذا التزاما بالفتح الذى يتبسه المهدي في
مثل هذه الظروف فهو يستعد للعرب الا انه يحذر الدارف الاخر ويقدّم
له فرصة اخيرة لحل النزاع سلميا .

وعندما تجامل غوردون الغداه اهنن ابوترجه انه لا ينصر شيئا
سوى الحرب ومن ثم شرع في وضع الترتيبات الدفاعية لمواجهةهما . وكان قد
عسكر عند وصوله في منطقة الجريف الا ان بعض اهلها نصحوه بأن يسرى
قد تكون أكثر استراتيجية فارتحل اليها وكان اول من شيد الطوابق
الدفاعية لحصون الخرطوم هناك (٢) . ثم وضع عليها المدافع واقام الابراج
وما ابشحت ان أصبحت مراكز غوردون هدفا لقذائف الانصار يطلقونها
عليها من ^{١٩} تمصقاتهم وبقي في طريقها الى سنار (٣) ومنذ ذلك

(١) اسمايل بن عبد القادر ص ٣٢١

عده الرسالة مغتوبة ولانها قد ارسلت في حوالي يونيو ١٨٨٤ فربما
ارتعدا غوردون بالوثائق التي تحملها متبورت الى مصر في سبتمبر
وتناقلتها الايدي حتى وصلت الى المهدي واختفى اثرها عنا .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢

(٣) ابراهيم الجوديني ص ٣٠٤

الحين اخذت المناوشات العسكرية بين الفريقين تتخذ طابعا اكثر عنفا وان اقتصر على الممارك المحدودة النطاق . اذ كان كل منهما في انتظار تعزيزات يأمل ان تأتي مني القريب ولم يشأ بالتالي ان يرهق بثقله فمسي مصرقة فاصلة . كان غوردون يبذل جهدا احيثفد بالمدينة تحت سيطرته حتى تسلمه قوات من مصر . ويبدو ان تحليلات المندى لابي قرجة كانت القاء الحصار على الخرطوم والانتصار خارج براباتنا . حتى تسلم تباعا جيوشه التي تمركزت في الرهد .

فأقصر نشاط الانصار على تصديهم لجنود غوردون متى ما ظهروا خارج الهراوي والنفاد . وعلى ظهر البواخير والدراف في ذات الوقت رقابتهم على دخول اي مراد غذائية للخرطوم .

لم تحصل النيران في الجبهة الجنوبية الشرقية وحدها بل قام فسادا واحد بالتعاون مع عبد القادر ابراهيم بفتح جبهة في الزاوية الجنوبية الشرقية . فاجدا طابية في الضفة الشرقية للنيل الابيض واستعانا بقسم من جهادية ابي قرجة في اطلاق القذائف النارية التي كانت كثيرا ما تصيب اعدائهم داخل اسوار المدينة (١) لم يقف غوردون مكتوف الايدي ازاء هذا الوضع بل بفتح قوة من رجاله بقيادة عبد القادر ائندى حسم وساقى بك لا مسكات مدافع الانصار . ورغم تمكثهم من عدم المطالبة وتدمير منازل الكلاكلة التي كانت تمتص فيها القوات المهاجمة الا ان الانصار تبهمهموا مرة اخرى وعادوا لاحتلال مواقعهم (٢) . وفي ذلك الحين كانت اقراج من جيوش المهدي تشق طريقها تباعا نحو الخرطوم ، فوردت انباء عن تقدم قوة بقيادة حامد عبد الله الدنلاوي ، ويبدو ان هؤلاء هم الرجال الذين

(١) ابراهيم البوديتي ، ص ٢٠

(٢) نعم شفيرو ، ص ٨٠٠

استنصرهم اياهم فوجه من القليله وعوفي طريقه الى المخرطون . وفي ٤ يوليو قاد
سائمي بك فرقة للاستبناك منهم وقتل تقدمهم ولكن الانصار انتصروا عليهم فسي
سجود عفيف ابادوا فيه الفرقة وقتلوا قائدها . ومن ثم راسل الفوج مسيسره
حتى استقرت قرية الكلاله . فصار غوردون بعد خمسة ايام بارسال فرقة
اخرى بقيادة سيد افندي امين ورثم ان الانصار قد قتلوا في هذه المعركة
ما يقارب الالف قتيل الا ان قوة غوردون قتلت في ارقامهم على اخصسلا
الموقع (١) .

بقى غوردون في انتظار الغيثان حتى يتمكن من استخدام بواشره في
المبارك المرتقة ضد ابي قرجه . وفي ١٨ رمضان ١٣٠١ (٢٧ يوليو ١٨٨٤)
سسن . اول هجوم له على معسكر الانصار في بري . فبعث بقائده
محمد علي باشا على رأس قوة من الجنادة منقولة على ظيول البواشر
وششم الحوس بك على رأس قوة من الباشبورق . فنجحت هذه الحملة في انزال
الجزية بالانصار واستولت على ١٦٠٠ بندقية وبعض العرب والسيف . ومن
ثم تراجعت قوات ابي قرجه الى معسكرها الرئيسي في الجريف (٢) . ولكن
غوردون لم يهملهم بل تحقهم الى هناك . ودارت معركة في ٤ شوال
١٣٠١ (٢٢ أغسطس ١٨٨٤) انهزم فيها ابو قرجه . وقد اخبره نصر ومدا في .
واجبر الانصار على اخلاء معسكرهم والتراجع الى قرية وادجار النبي جنوبي
المخرطون (٣) كان وقع هذه الهزيمة شديدا على الانصار ان كانت بالفصل
ثاني هزيمة كبرى تلحق بهم بعد الهجوم الفاشل على الابيض . وما انما كانت
هزيمة لاخذ كبار قادة المماليك فقد ارسل خطابا لابي قرجه يواسيه وجاء فيه :
" ولا تبتئس بما حصل فان الله تعالى اراد ان يميز الخبيث من الغليب " (٤) .

(١) نسو شقير ص ٨١٠

(٢) ابراهيم البورديني ص ٤

(٣) بابكر بدري ص ٣٠ . يقول البورديني ان هذه المعركة كانت في صبيحة
اليوم الثاني لمعركة بري في حين يؤرخ نسو شقير الاولى ٢٧ يسوايسو
والثانية ١٢ أغسطس .

(٤) المصدر السابق

غافل غوردون بعد ذلك الانتصار فبحث بمحمد علي باشا وخرج
 الله بن علي في ١٣ شوال ١٢٠٢ (١٥ أغسطس ١٨٨٤) (لا تتمم سادة
 منطقة الحلفاية حيث نجح عدان فعلا في اجبار اولاد الشيخ العبيد رد بدل
 علي اخلاء الحنيفة واحسن سكان المدينة لأول مرة منذ مارس ان حدة الانتصار
 قد خفت كثيرا . واغرت الانتصارات الاخيرة ، التي احرزها الجنود ، فغوردون
 ايمحاول القضاء نهائيا علي تبعات الانصار في المنطقة وكان الشيخ العبيد
 قد اصدر منشورا لزعيم القبائل يدعونهم للتجمع في السيلفون فاستجاب اليه
 ١٠ الاف رجل كما استنفر الشيخ ماضي ٥ الاف محارب (١) فحسم اول
 يوم ١٤ اقامة مستكبرات ليم في شاطئ النيل الازرق حتى يتفكروا من مثل حركة
 بواغ غوردون اثناء قيامها بدوريات استطلاعية اوفي طريقها الي سنار .
 وما ان اتقن غوردون من هذا حتى بعث معه علي باشا في ١٢ شوال ١٣٠٢
 ٢٩ أغسطس ١٨٨٤) (علي رأس قوة مختلفة من البجهدايسية
 والباشيرزة والنجار (٢) وكان عد فيها القضاء علي الانصار قبل احتلالهم لاي
 مواقع بحدود منبهة سير الملاحه . وتسببت البواغ في ان يسير
 الهزيمة بالانصار واستولت القوة علي كميات من المؤن الغذائية .

وربما لهذا السبب تعقبهم محمد علي باشا حتى توغلت قواته
 داخل غابة ام نيبان ولجأ لهم بالمسالك تحزنوا لنيران الانصار المفاجئة .
 فكانت ضربة قاضية فقد قتل غوردون محمد علي باشا و ١٦٠٠ من غيرة
 جنوده الذين ينتمون للالاي السودانى الاول (٣) .

(١) ابراهيم فوزى ، ص ٢٤٨

(٢) ابراهيم البورديني ، ص ٥

(٣) المصدر السابق

ابراهيم فوزى ، ص ٣٥٠ - ١

استطول النهرى

كان الاستطول النهرى الصغير الموجود بالمدينة دحامة من الدعائم التي ارتكز عليها غوردون في دفاعه . فبالإضافة الى الاستفادة من تلك المراكب في وظيفتها البدئية كوسيلة لنقل الحبوب الغذائية والمكاثبات من العاصمة واليها فقد اتبعت فعالية جديدة في التصدي لهجمات الانصار من جهات النيل الابيض والازرق . كما انها استعملت للقيام بحملات تفتيشية منتظمة على النواحي امراة تحركات الانصار وما يدب من نشاط في محسراتهم .

فان اجازة الاستطول تاريخ بدأ في عهد محمد سعيد باشا حين وصلت اليه الخوادم اربع سفن هي " الفاسر " و " المسلحة " و " الترفيقية " و " نمره تسعة " (١) وقد وصل في اخر من السفن عندما اوكلت لصموئيل بيكر قيادة حطة المدريات الاستوائية وضم هذا الفوج كلاً من " تل الحويصين " و " البرودين " و " الصافية " و " المنصورة " و " شبين " و " امبابه " و " الاسماعيليه " و " الخديوي " و " نيازا " (٢) وعند مجي غوردون الى السودان في عام ١٨٧٧ طلب باخترتين اضافيتين هما " العباس " و " محمد علي " الا ان تجهيزهما للصقل لم يتم الا في عهد روف باشا ١٨٨١ - ٢ . وتمت ثم اثناء حصار الشراوم تركيب باخترتين مسميات " الحسينية " و " الزبير " ، فاعدت الاولى للاستعمال في أكتوبر ١٨٨٤ والثانية في ٢٧ نوفمبر ١٨٨٤ (٤) .

(١) Datsun, " The Campaign of Gordon's Steamers" (١)

The Royal Engineers Journal, 21st October

1888, p.8;

Hill, Sudan Transport, pp.3-5. (٢)

Ibid, (٣)

Hill, " Gordon's Steamers ", see p 218 (٤)

الا ان غوردون لم يتمكن بسبب الحرب من الاستفاظ بكسسل
المجموعة تحت تصرفه طوال مدة الحصار . فقد 'اولا' 'الصلبية' و'الفاشر'
التي استولى عليها الانصار رفي بربرث فقد 'محمد علي' في لنداسي
وقد استعملها محمد عثمان ابوتريجه فيما بعد في نقل الذرة من غمري
شوانا الى النيل الازرق الى معسكره جنوب الخرطوم (١) .

كما ان 'العباس' التي حملت منقوشة وثافتة الى مصر فسي
سبتمبر قد تعطلت على شجرة في قرية 'بني بين مروي' وابو محمد (٢) .
ورأى غوردون تعطل 'نمرة تسعة' واستعمال انزالها الى اسسلاح
بقية البواخر (٣) . وعطلت قوات الانصار 'الحسينية' عند فترة وجيزة
من انزالها للاما بالغرب من طابية الصنون . تبقى لغوردون بعد ذلك
اسدولا يتكون من 'الثغينة' و'تل الحسين' و'الماقية' والمنصورة
و'البوردين' و'الاسطهلية' .

كانت تلك البواخر صغيرة الحجم ولم تبني اساسا لتستخدم فسي
اية اغراض عسكرية . الا ان غوردون استطاع ان يدخل عليها من التعديلات
ما جعلها قادرة على القيام بمهام حربية ناجحة . فكان ان ثبت قطعها
خشبية محكمة على جانبي كل باخرة من الخارج وقطعا حديدية من الداخل (٤)
وسلح كلا منها بمدفع جبلي وضع في المقدمة وآخر في المنتصف مع
مجموعة تتكون من خمسين جنديا مزودين بكمية من الذخيرة والمسدس
الذخيرة .

Nushi Pasha, p.39.

(١)

Hill, "Gordon's Steamers"

(٢)

Hill, Sudan Transport , p.27.

(٣)

Nushi Pasha, p.20.

(٤)

واستخدام غوردون البواخر في نقل المكاثبات بين الشرقين وبربر
عينا تمام الانصار ينقطع الخط التلغرافي . فكان ان بحث في ايام الحصار
الاولى بحوسى بك شوقي لياتي بالبريد من بربر على ظهر الباخرة " العباس "
وتحت حراسة اثنين من السفن (١) وذلك بعد وسيلته في نقل الرسائل
الى القاهرة . ارسل مدة الحصار ، ان بات يبحث بها الى بربر بواسطة
المدى براخره وعمالها البحريين من هناك الى دنقلا .

كان دور البواخر في القيام بدور فية تحركات الانصار كبيرا . فلما
ان تناوحت الانباء عن تقدم قوة الانصار من جهة القطينة حتى اصبح
غوردون ارامه لساتي بك ليتم بعمله على ظهر الباخرة " المنصورة " ذات
هدف مزدوج ، ان عليهما اولا تنادي قوة الانصار وموقعها ثم الاشتباك منها
حتى لا تتقدم آمنة (٢) . وقد ادى حاتي بك هذه المهمة بنجاح ، فاعقبها
غوردون بأخرى على ظهر " تل الحوين " و " البرودين " واستمرت هذه
الحملات الى ان تمت خزيمة ابي قريجة وتراجع الى البحر . فدام غوردون
بعد ذلك على ارسال باخرة لتستكشف تحركات الانصار وتهاجم اى فئة
منهم تحاول الوصول الى برى او المنطقة التي تجاورها .

تميزت فائدة الاحمال بالدرجة الاولى في قدرته على
مهمات الانصار المتتالية على المدة . فلما ان يسم غوردون تجمعات لهم
غاج الانصار متحين يبحث بهنده على ظهر البواخر القمدى لهم واجبارهم
على التراجع . الا ان الانصار سوما ما نطخوا الى الدور الذي يقم بسمه
الاساؤل فحيدرا طاية في مبعوثك ودأبوا من هناك على ضرب البواخر
اثاء قيامها بالحملات المتتالية . فأرسل غوردون حاتي بك على رأس
مجموعة من الجند على ظهر كل من " البرودين " و " المنصورة "
و " الاسماعيلية " . فكان ان انزل ساتي بك نصف مجموعته الى الشاطئ

Nushi Pasha, p.24.

(١)

Ibid, P 41

(٢)

واحتفظ بالنصف الآخر في البواخر ليقيم بحماية المهاجمين عند تراجعهم (١) وقد نجحت هذه الحملة في تدمير الطابية والاستيلاء على المدفع الذي كان فيهما .

ورغم الشدائد المتعددة البواب الذي كانت تقم به البواخر إلا أن صرحهما كان يشكل نقطة ضعفها الأساسية . فقرر غوردون الاستفادة من المراكب الشراعية وتقدمتها بقطع من الخشب السميك وتسلحها بالمسدس فكان من جراء أن ارتفع العدد الذي يمكن أن تحمله الباشرة السور حوالي المائتين جندياً .

وقد تمكن بعد هذا من إيفاد ثمانمائة من الجنود النثميين والباشموزق على ظهر كل من " البوردين " و " تل العوين " و " المنصورة " و " العباس " لمهاجمة قوات أبي قريه في معسكرها ببرى . وقد أدت الحملة مهمتها بنجاح بل أن هذه العملية تعد من أنجح العمليات التي قامت بها قوات الحكومة على الإطلاق . أن طبقت في الهجوم خطة انزال قسوسات شهاجم وأخرى تبقى في البواخر لترسل بقذائفها نحو الانبار وتحمي قسوس ذات الوقت خط تراجع القوات الجرية فأجبرت انبار أبي قريه على إخلاء المعسكر والتراجع حوالي ١٠٠٠ متر جنوب الشرط كما تمكنت من الاستيلاء على كميات وافرة من المواد الخدائية . وقد أثبت أسلوب اشراك البواخر مع المشاة في الهجوم فعاليته فكان اشتركت كل من " المنصورة " و " تل العوين " و " الصافية " محملة بثمانمائة جندي في معركة العيلفون التي سزم فيها محمد علي باشا انتصار الشيخ العبيد واجبرهم على التفرق إلى قرية أم نجان (٢) .

ومن ثم يمكن القول أن العمليات الناجحة التي حققها غوردون

Nushi Pasha, p.63.

(١)

Ibid., , p.72.

(٢)

انشاء الحمار كانت في جملتها تلك التي ساعدت فيها البواخر بمفردها
او بمساعدة قوات يرية .

كذلك امتصطت السفن في حملات امداد المدينة بالاذنية من
سائر الباخرة المجاورة فارسل غوردون أولا محمد علي باشا على ظهر
سفن بواخر الى ابي حمرار ليجمع ما يجده فيها من مؤن .

وقد راجعت اثنتان من تلك البواخر رحلتها الى سائر تحصينات
قيادة بغيت بك يدراكي وقد عاد قائدا المحملتين بكميات من المسددة
والمواد الاخرى (١) ، ولحل نجاح هاتين المحملتين قد شجع غوردون ليمض
بمنحجي باشا بعد اربعة اسابيع لمدار مع مائتين من الجنود على ظهر
" البوردون " وقل الحوين ، وقد عادتا محملتين بمحملة من المسددة
تعتبر اكبرها ادخل للمدينة طوال فترة الحصار .

الا ان ذاك النشاط الفعال قد تقلص كثيرا عندما قسم
غوردون التخلي عن بعض قطع اسلحته . ففي ١٠ سبتمبر ١٨٨٤ تخلى
عن الباخرة " السباس " فرحلت على ظهرها ستيرت باشا وقناصل انجلترا
وفرنسا والمانيا وبعض التجار الوافدين في العودة الى مصر . كما رحلت
" المنصورة " و" السافية " مع هذه القافلة لتأمين خط سيرها حتى تتعدى
منطقة الخطر عند مشارف بربر . ورغم ان هاتين الباخرتين عادتا السس
الشرطون مرة اخرى في الشهرين من نفس الشهر ، الا ان مهمة اخرى خارج
نطاق الحصار كانت ممددة لهما ، انه قرر غوردون ان يبعث بهما لانتظار
حملة الانتقام في "سندى" مع باخرة اخرى هي "تل الدمين" فصادرت هذه
المجموعة الشرطون في ٣٠ سبتمبر (٢) وارسل فيما بعد " التوفيقية " وهي

Nushi Pasha, p.65.

(١)

Ibid, p.79.

(٢)

Journals of Gordon, Vol.II, 29th September 1884.

(٣)

تحصل البريد وأمر نصحي بأخا الذي عقد له لسوا قيادة اسطول العتمسة
بالاحتفاظ بها وإرسال تل الحوين بدلا عنها الى الخرطوم .

وعند وصول هذه بعث بها مرة أخرى مع "الجوردين" ومصح
تعليمات لحشم المرس بك بالبقاء في شندى على ظهير "المنسرة" في
حين يتوجه نصحي بأخا في "التوشية" و"تل الحوين" و"الصافية"
الى المته وتسد "البردين" مرة أخرى الى الخرطوم (١) .

ومما لا شك فيه ان غوردون ارتكب خطأ بإفاده تلك السفين
لانتظار محطة الانقاذ زمانا خمسة اشهر في شندى دون ان تقوم بأي عمل
من شأنه ان يساعد في تخفيف حدة الجوع والموت حول المدينة . بل
ان هذه البواخر كانت محطة تحام طوال مدة بقائها هناك ، ان
غوردون قد أمر الجند بعدم المبادرة بالمهجم خوفا من ان تقتل عليهم
توات الانصار التي تتفوق عليهم عدديا ، وكان من الممكن ان تواصل تلمسك
البواخر نشاطها في الدفاع عن المدينة خاصة وان الخرطوم كانت تمر بأحرج
فتراتها ان شهد شهر سبتمبر وصول جماعات انصارية للانصار وتعايشت
الاحتفالات بحرية لم يسبق لها مثيل .

عجز غوردون بعد ذلك التاريخ عن الدمدى الفعال لقوات
الممدى نائبك عن مبادرتنا بالمهجم الى درجة انه اضطر لاحسلا
السلخاية . ولم يتمكن اخفا من ايجاد اى حملات لسنار للحصول على

Hill , Sudan Transport , p.28.

(١)

ذكر بل ان غوردون قد بعث بخمسة بوأخرالى شندى الا انه في الواقع
قد بعث ثلاثة فقط في اول الامر ولحققت بهم رابعسة فيما
بعده .

مواد غذائية انه كانت اقربا تلك التي قام بها نصحي باثما بنماية
سبتمبر •

- لم تدم فترة الندوة الذي اعقب تواجج قوات ابي قريته طويلا •
فسوان ما استدعى المهدي قائده عبد الرحمن النجومي من جبل الدامير
ليقوم بحملة الى الخرطوم في ١٨ شعبان ١٣٠١ (١٣ يوليو ١٨٨٤) (١) •
وقاد النجومي الرشد في غسرة . رمضان ١٣٠١ (٢٥ يونيو ١٨٨٤) • علمس
راس جيتي ، بالقرب الستين الفا (٢) وقد اجتمعت معه قوات عبد الله
ود النور التي قدرت بالعشرين الفا (٣) • تسلمت غالبية المعسكرين
بالحرب والسيف الا انه كانت هناك قوة من الجهادية تبلغ عشرة الاف
رجل مسلحين بالبنادق ، بالاضافة الى قوة مماثلة من الخيالة (٤) • وكانت
معهم ايضا اربع مدافع بعلية واربع مدافع كروب وماروخ واحد (٥) وسار مع
هذه القوة مجموعة من الامراء بينهم حسن النجومي وعبد القادر و مدرج شيخ
قبيلة الحمدات محمد الله ما لم ين حاج عبدالله •

وما ان وصل النجومي الى ضواحي الخرطوم حتى شرع في تموين
المنشورات على الاهالي بحيثهم فيها على القيام لمساندة القوات المعاصرة
فاجتمعت اليه اعداد عاتلة (٦) •

(١) المهدي الى عبد الرحمن النجومي وعطان ابو عتبة وموسى الخلو
فيوضات ج ٣ / ١٩٣

Nushi Pasha, p.74.

(٢)

١. قدراهم الهرديني العدد بمائة الف وقدره ابراهيم فوزي بثمانمائة الف
(٣) عبد الله ود النور من قبيلة العركيين ، أعلن انضمامه للمهدي في اول
مراحل الدعوة • شارك في حصار عدة مواقع في كردفان بما فيها بيساره
والابني ، قتل في احدى مسارك حصار الخرطوم قبل حوالي شهر من
سقوط المدينة فسمي ابراهيم ابو بكر مثانه • ابو سليم ، معلومات حسن
تاريخ مدينة الخرطوم •

Nushi Pasha, p.75.

(٤)

Ibid.,

(٥)

(٦) ابراهيم الهرديني ، ص •

مكرو النجوي مع جزء من قواته في قرية التوزا مقابل طابيسسة الكلاكلة حيث يوجد اذيقدر من البندق والعدة والعتاد الحربي (١) وقد رجع الشيخ عبد القادر ابراهيم لاقامة محسكه في منطقة تواجه طابيسسة المسلمية في حين تحركت قوات عبد الله ونور وعبد الحليم مساعد في منطقة برى المحروقة بتسليتها ، اذ منها يمكن السيطرة على الملاحصة في النيل الازرق ومثل حركة بواخر فوردون في ذلك الاتجاه .

وكان السيد يزود قادته بتعليمات من الرند ، فبعثت يومه شيخ فضل و عبد الله الذي كان مقيما في شجرة مهيوك لينضم مع عبد الله و جماعة الي الشيخ السيد و يدور لتعزيز الجبهة الشرقية اذ انها تمثل المدخل الرئيسي لاية قوات تادمة من الخان . ولهم هذا السبب بعث اليهم بمعية قواته بقيادة ابي بكر و عامر (٢) .

خزن انفجوي المواد الغذائية في الجريف تحت حراسة حاج خالد العمري ثم شهد طابية وضع عليها كلا من شريف سليمان السيد وعبد النيل حامد و عمر الخليفة محمد سرار الذهب فجعلوا رجالهم في حراسة تأهب لارسال أية نجدة قد تطلبها برى (٣) .

رصد النجوي ايضا جملة طوابي في مقابل طوابي الخرطوم حتى يتمكن انصاره من ارسال قذائفهم عند ظهور اي من رجال الحامية خارج بواباتهم . وداوم المهدي على ارسال افواج من المحاربين بسنة متتامة وكما يفرهم من احدى رسائله وفيها يشير على النجوي بتعزيز

(١) امعاويل بن عبد القادر راس ٣١٨ - ٢٠

(١) المصدر السابق

(٢) ابو سليم ، معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم ، ص ١٥

القوات الحفدة على طول خط النارج وضع كل راية في موقع استراتيجي (١)
وعند مقتل عبد الله ود النور انتقل النجومي الى معسكر برى بناء على
تعليمات المهدي في حين حل ابو قريجة مكانه في مقابل طباطبة الكلاكلة (٢).

المرحلة الختامية للحصار:

وبعد فتح المهدي الى متاراف المدينة في ٢٣ أكتوبر ١٨٨٤ وصل
موقف الحصار الى ذروته المتوقعة (٣) فقد بدأت المصرة من الرمد قسي
٢٢ أغسطس • ولعل ضخامة حجمها قد اضطرنا الى اتخاذ ثلاث طرق
منفصلة الى الخرطوم • فسار المهدي والخلفاء في طريق الطيارة • شركميلة •
شات • الدريم • واتخذوا الايل الطريق العالي مروراً بخورسوة • حليلة
والقرعة الخضراء اما الطريق الجنوبي فكان يناسب البقارة نسبة لوفرة المياه
على طول امتدادها (٤) • ووصف احد شهود المصيف هذه المصرة بقوله
" بحال قيام المهدي من الرمد الى الخرطوم بالجيوش الجزارية النسي
ايمن لها نظير قامت الدنيا بأثرها وتوجعنا مسافرين كأننا قرعة على البحر
لا نعرف اولنا من آخرنا " (٥) •

وفدرت القوات التي جاءت في ركاب المهدي بحصار المصيف

(١) المهدي الى عبد الرحمن النجومي ٨ ربيع اول ١٣٠٢ (٢٦ ديسمبر ١٨٨٤)
فيونات ج ٣ / ١٧٨

(٢) المصدر السابق

(٣) Ohrawlder, p. 126.
Journals of Gordon 22nd October 1884

اعطي نسيم شقير تاريخين مختلفين لوصول المهدي يقول اولاً ٢٣ أكتوبر
س ٨٢٧ ثم يعود ويقول ١٩ أكتوبر ص ٨٤٦ •

(٤) Slatin, p. 305 اوترولدري يخطي تاريخ قيام المهدي

٨ أغسطس ص ١٢٦

(٥) يوسف، ميخائيل، ص ٦٧

/ ٢٠٠٠، ٢٠٠٠ شخص / (١) وقد شملت هذه بالإضافة إلى المخابرات من كثيرا من زعماء القبائل الذين سارعوا بإعلان الولاء للمهدي قبل منادى الريد وانضموا إليه مع عائلاتهم (٢) ولعل الهدف من النزول في القرى التي تقع على طول الطريق لم يكن الاستجمام وحده بل جذب الجيوش إضافة من الأمالي لتسير في معية المهدي إلى الخرطوم .

ومن الطريق بحث المهدي برحالة التي توافقه المعاصرة للعدينة يدعونه إلى تشديد قبضتهم عليهما ويعلن لهم أن العام بهم قد أصبح وشيك الوقوع (٣) كان الموقف في المنطقة يهدد بالانفجار إذ أن الاتجاه الحسام لكل فريق قد تعدد بصفة دائمة ولم يكن أي منهما يقبل التنازل عنه قيد أنملة . وكشفت الرسائل المتبادلة أن فريق المهدي لا يقبل حلا سوى التسليم المطلق ولا خلا منافع من الحرب . فكتب له الشيخ عبد القادر إبراهيم " ٠٠٠ ان ذات الامام الشريف حضرت مشاة وصحة من الجيوش ما لا يحصى عددها ومن قريب حاضر بجيوشه للهند فوجب علينا اعلامكم بذلك فليس وحمى ان تقبلوا وتفرقوا كلام المفسدين وتسلموا امركم لهسندا الامام عليه السلام لانه لا شك انه هو المهدي المنتظر عليه السلام وان جميع الدول يصير شلاكلها على يده ولانه مؤيد ومنصور بقوة الله . . . وهذا ما نسحنكم به ان اراد الله لكم ولاهى الهند وقبوله واعلموا يا سعادة المشردون اننا نناطبنا خيرة الامام المهدي في حقاكم ووردت افادته بما يوجب سروركم وتأمينكم ان حصل منكم له الانتقاد او التسليم " (٤) .

ويكرر الشيخ عبد القادر ذات الدعوة في خطاب آخر ويطلب من

Ohrawlder, p.126,
Guzzi, p. 155 .

(١)

(٢) اساميل بن عبد القادر ص ٢٢٢

(٣) المهدي إلى الفخراء الفجوي / ٤٣

(٤) عبد القادر إبراهيم إلى غوردون باشا ١٨ ذوالقعدة ١٣٠١ (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق أ

غوردون اغتنام هذه الفرصة لتأمين سلامته وسلامة المسلمين والا فان الانسحاب لن يترددوا بسببه ذلك في اقتحام اسوار المدينة * فهم في غاية التعميم وقوة العزم وكل منهم يندو ويرج راضيا بالحرب * (١) - الا ان غوردون كشف في رده على الشيخ عبد القادر انه لن يسلم لهم بل هو على استعداد لمواجهةهم عسكريا اذ يقول * زيادة على ما قمنا به استحكام الخراطيم من الشام وسلوك فأننا شاربين في احوال زلزلة ارضية بمراسلة الاجسسزاء الكبريائية * (٢) .

وبعث عبد الرحمن النجومي ايضا خطايا لغوردون يكرر فيه ما ورد في خطاب الشيخ عبد القادر ويقول * فان اتبعت وسامت الامر لاسه ورسوله فزت باجرك وابرجم من معك * (٣) فبنا رد غوردون لمقتنعهم بالا مجال لحل القضية حلييا فمولن يحترف بالعهدي ولن يستسلم لاسه فأتين النجومي عنده ان لم يعد هناك طريق سوى الحرب ومن ثم يسدأ يدعو غوردون اليها بقوله * واعلم ان العهدي عليه السلام ما قدمناك الا لمحاربة هذه افعتك وتولية لجيشه ولسيادته وما دام انت واليا مسمى د ولتين همام كما ذكرت وعصرت لتسوية احوال السودان فلا تجد غرضة لنفج قصدك وما مولاك الا في عشرين اليومين قبل حضور الجيش واستكمالها فانك ان تأخرت انت ومن معك بدائل الفترة الى ان تم وصول الجيوش وحل الرقاب الشريف بهذا الدلف وانتم تحت انتظار الانكليز فقد خسرنا فميدكم والمك فالاولى ان تبيع كافة حزمك وربالك وتخرج لمقابلتنا ومقاتلتنا خارج الامت حكام * (٤) .

(١) عبد القادر ابراهيم الى غوردون باشا غاية ذو القعدة ١٣٠١ (٢٢ سبتمبر ١٨٨٤)

ملحق بـ

(٢) غوردون الى عبد القادر ابراهيم ٣٠ ذي القعدة ١٣٠١ (٢٦ سبتمبر ١٨٨٤)

ملحق بـ

(٣) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى غوردون باشا

٢١ ذو القعدة ١٣٠١ (١٣ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ج

(٤) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى غوردون باشا

٢ ذو القعدة ١٣٠١ (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق د

وبلاحظ ان غوردون رغم رفضه المبدئي للتسليم ما زال يتجنب مسبب المصاركة الواسعة النطاق التي يمكن ان تنزل ضربة قاضية بقوته ، فهو يريد ان يستمد اطول وقت حتى تسهل حملة الانقاذ . ولا بأس في هذا الاثناء من بذل محاولة اخيرة علينا فننصح في افناع قادة الانصار بنبدأ امر القتال . فعرضي على النجومي وابوقريجه فكرة الاعتراف بهم سلاطين على الشرب اذا ما عادت الامور الي ما كانت عليه قبل الثورة (١) الا ان هذه المناصب لم تضر الاميون فلما بال عرض غوردون باستغداد نظام . ثم حسمت اخر رسائلكم القضية ، فلا دعوة للتسليم بعد ذلك ولا قبول لينا " فبعد ان هذا لم يكن بيننا وبينكم مكانة او مخاطبة الا المحرب " (٢) .

وقد غنمت مكاتبات المهدى التي بدت بها لغوردون نفس الاتجاه الذي سخطه رجاله فادته ، فلما التسليم او الحرب في حين اكد غوردون رفضه للعمل الاول واضرار على المهدى والبقاء من بعد للاقوى .

ولقد كتب المهدى في اول رسالة بحث بها لغوردون بعد وصوله لمشرح القينة بالقرب من ام درمان قائلا " فان انبت الى الله تعسا الى واسلمت وسلمت الامر لله ورسوله وعدقت بعزديتنا ارسل مخاطبة منك ومن معك جميعا الينا بعد وضع السلاح ورفع الصغارية لنرسل لكم من يؤمنكم وان لم تفعلوا ذلك فاذنوا لحرب من الله ورسوله " (٣) ثم كرر المهدى هذا النداء في كل خطابات التي بدت بها من ديم ابي سعد طوال الثلاثة اشهر التي سبقت مهاجمته للديانة . ويبدو ان المهدى كان يأمل ان تنحصر هذه الخطابات وتتم له السيطرة على الخرطوم دون اللجوء الى الحرب اذ

(١) غوردون الى الشيخ عبد الرحمن النجومي ه ٢ ذوالحجة ١٣٠١ (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق د

(٢) عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور الى غوردون ٣ ذوالحجة ١٣٠١ (٢٥ سبتمبر ١٨٨٤) ملحق ه

(٣) المهدى الى غوردون ١٢ محرم ١٣٠٢ (٢٢ اكتوبر ١٨٨٤) ملحق : و

كان يعتقد الا فائدة من الاقتتال اذا كان بالامكان اتباع طريق الصلح
سليماً (١) ..

ثم كتب المهدي رسالة لاهالي الخوطين يبدو انهما الاخيرة موجهة
عليهم اغتنام هذه الفرصة للنجاة بارواحهم ويأوئهم على انتظار النجدة من
الانكاز، فقال " نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد مهدي من يشاء
الى طريق الرشاد ويضل من يشاء " ومن يهد الله فهو الموتهدي ومن يضل
فلن تجد له وليا مرشدا وقد طال ما تكررت منا النطاع وارادنا نجاة عباد
الله ورسوله لدارين الله فاناب الله من اراد الله سعاده وشالف من
خذله الله لاسمه واعني بدمره فلا ادري ما الداعي الى عدم الانقياس
اوله تركاء مستشعرتم فحين يكون مهديا ام له منازع في ارادته
كلا بل هو القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بهمة الوقوف معه
على حد الادب ... ومن المعلوم اني عيذ دال الى الله فمن اتبعني
فقد عاز السعادة الكبرى ومن خالفني سددت عليه عذاب الخسرى ...
وقد طالما ذكرتكم بالله ورفعتكم لهما عنده وهدرتكم من وهدته فالى متى الفلة
والتسوية والى متى مبارزة مولايكم بالعداوة الميات لكم ان تميل قلوبكم
الى ما ينفعكم في اخرتكم ويجلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والنصيحة
او ترفعون النجدة والفرج فقد الانجليز وتصرفون نظركم عن خالقكم المهدي
بيده اموركم وقوامكم وهو القوي العزيز فما الانكاز وغيرهم اضعافا مضاعفة
بشيء في جنب قدرة الله التي يحجز عن وصف كتبها كل لمبيس
ونجيب " وما القوت الا من عند الله القريب المجيب " (٢) .

يقال احيانا ان المهدي لم يبدأ في مخاطبة غوردون عند وصوله

(١) المهدي الى محمد الطيب البصير بعد ٤ جمادى اول ١٣٠١

(٣) مارس ١٨٨٤ . فيوضات ج ٥٠٣

(٢) المهدي الى كافة اهالي الخوطين

انذارات بيكس ٢٥٥ - ٦

الى مشرع الفقيه الا بعد نهاية صوم (١٩ نوفمبر) ذلك لانه كان يتجنب الحرب في ذلك الشهر (١) ، ويصور هذا القول المهدى كأنما كان يستحسن الى الحرب ويبادر بالعنف الا ان الوثائق تثبت غير هذا . فرغم ان المهدى قد اعلن سراحه استعداده لخوض غمار الحرب الا انه بذل جهدا كبيرا ليخفى غوردهن بالتسليم وكانت استجابة الاخير الرضى الصريح (٢) ومن ثم قام يمد خافيا على احد بعد ذلك ان الحرب هي السبيل الوحيد .

وضع غوردهن الفرقة المصرية الاولى المكونة من ثلاثمائة وخمسين جنديا تحت قيادة يوسف افندي عنت في اول خط الدفاع من الجهة الغربية ، وبقي هذه عشرة فرق من الباشبوزق الشايقية والمنطويين تحسنت قيادة عثمان بك حشمت (٣) . ثم الفرقة المصرية الثانية بقيادة فرج بك علي وابراهيم بك صالح وكانت تسيطر على المنطقة الممتدة حتى بوابة الكلاكله وقد وضع هذا الجزء من خط الدفاع تحت قيادة حسن بك بهنساوى . والى الشرق من بوابة الكلاكله وضع غوردهن ثلاث فرق من الباشبوزق الاتسماك والشايقية ثم الفرقة السردانية الاولى تحت قيادة علي افندي صقرثسم تسعة فرق اخرى من الباشبوزق بقيادة سرور بك بخيت وبالي مسؤولاء الفرقة السردانية الثانية بقيادة محمد افندي عثمان ، ثم فرقتان من الباشبوزق . فالفرقة السردانية الثالثة بقيادة احمد افندي السركي وقد كان هذا الجزء تحت قيادة بخيت بك بطراكي .

وانتد غوردهن جملة احتياطات دفاعية في اقصى الجزء الغربي من خط النار ذلك لان انتفاخ النيل قد ادى الى ظهور جزيرة صغيرة

(١) رسوم منفيرة ص ٨٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٨٤٧

Nushi Pasha, p.148.

(٣)

بين طابعية المقرن وأم درمان ، ولم تغيب عن ذهن غوردون إمكانية احتلال تلك الجزيرة بواسطة الانصار فبحث لتوّه بمائة جندي لغراستها (١) ، إلا ان استمرار انخفاض النيل أدى الى اتساع تلك الرقعة حتى بلغ طولها حوالي ١٥٠٠ مترا فشرع الجند في حفر الخنادق وتشييد الاسوار حتى تمكنوا من تغطية حوالي ١٠٠٠ متر . وبعد ان حالة الارض ان التماسي وقع فيها الجند لم تمكنهم من اتمام الغصمات تراتبية فظل ذاك الجزر شجرة في غطاء الدفاح . ولقد قد هور الموقف من الناحية الشمالية أيضا ، ان ان غوردون اضطر لاجلاء الحلفاء عند ارسال البواخر الى شندى فما كان من الشيخ العبيد الا وتقدم لاحتلالها . وبدأ انصاره يرسلون فدايتهم بصورة منتظمة الى المدينة .

طبق الممدى حال وصوله خطته النهائية في توزيع قواته حول المدينة . فصدر محمد عثمان ابي قرجه في الجنوب الغربي بمحاذاة النيل الابيض ، في حين ناصر فضل المولى بك طابعية أم درمان وعسكر حمدان ابو عنيجه بين الطابية والغدير (٢) ، وارسل غوردون ثلاث بوخار لتحصين هجوم ابي عنيجه على طابعية أم درمان حيث نشبت معركة بين الفريقين كان تفوق الانصار فيها عدديا هو السبب المباشر في انزال الهزيمة بقوة الحكومة ، فافترقوا احدى السفن وهي " المعسنية " ، قرب جزيرة شينج ابو زيد وتجهت الاثنان في الرجوع الى الخرطوم تحت وابل من الرصاص (٣) استمر الفرائض بالخيران حتى تم تسليم عامية أم درمان فكان لهذا اثر مباشر على موقف الخرطوم ان اجتمعت قوات الممدى باسرها حول المدينة

Nushi Pasha, p.148.

(١)

Slatin, p.331.

(٢)

(٣) ابراهيم البورداني ، ص ٨

والت ترمل قذائفها ليلا وسارا على الجند والبواخر على حد سواء (١) ورثم هذا معدت الخرطوم قرابة الثلاثة اسابيع . ويبدو ان الانباء التي وصلت الى الممدي عن قرب وصول حملة الانقاذ جعلته يعجل بالهجوم .

كما ونجح من ناحية اخرى ، ان لا أمل البتة في السيطرة على المدينة سالها . ولكن هذه القوة الاتية من الخارج ربما تدعم حامية الخرطوم لدرجة لا تمكن الانصار من اسراز النصر السريع الذي توقعوه ، فمن الافضل - ان - شن هجوم شامل قبل وصولها . وتمكن الممدي من الاعلام بتفصيل خطة دفاع غوردون من بعض الجنود الهاربين فعلم ان القوات الدفاعية تقوم بحماية الغطاء القوي في حين تركت الثغرات تحت حراسة الاعمالى والضحايا (٢) . ولقد بدأ الهجوم في صبيحة الاثنين ٩ ربيع ثاني ١٣٠٢ (٢٦ يناير ١٨٨١) بالتركيز على اكثر المناطق ضعفا ، تلك التي من اقصى الغرب ، وسرعان ما فوجئ رجال حامية الخرطوم بالانصار وهم يضرعونهم من الخلف فلم تكن هناك مقاومة تذكر بل ان اغلبهم وضع السلاح دون ان يطلق قذيفة (٣) . لم يكن بإمكان رجال الحكومة ان يردوا عجبوا منه ما يقارب المائة الف منارب . بالاضافة الى هذا فقد افقدتم الارهاق الجسدى الذى تعرضوا له من جراء المجاعة التي اجتاحت المدينة كل لياقة تحلهم من خوض معركة متكافئة .

اما حملة الانقاذ فقد كان تاريخ وصولها الى القبة يوم ٢٠ يناير . وليس ذلك القول الذى يردده بعض المؤرخين بأن الحملة لم تسارعت طلائعها الى الخرطوم يوم وصولها القبة لتفككت سر، تغيب هر مجرى التاريخ

(١) ابراهيم البوردوني ، ص ٩

Slatin, p.342.

(٢)

Ibid, p. 343.

(٣)

هو مجرد تصور • فمأثرا كان يمكن ان نحصل حفنة مسمن
التي تسمى "البسودين" و "تل الحموين" امام تسليمك
الاحتفال ولعل القول بأن رسول الطلائع كان سيدفع ببرجال
الحامية التي الممودة لانه يشر بقرب رسول حفلة الانقاذ
و الاخر بعد من الواقع ان رجال الحامية كانوا فاسي
حاجة التي ممن يمارون قبي سفوفهم لا السن ممن يمرق من
روحهم المنوية •

الخلاصة

بسقوط الخرطوم في ايدي الانصار في السادس والعشرين من
يناير سنة ١٨٨٥ ، وضعت الحماية السطحية للمحطة التي أوكل امرتسفيدها
لفوردون . فبعد انقضاء زهاء السبعة اشهر في المدينة ، وضع تمامها ان
تعليماته التي تلقاها في كل من لندن والقاهرة ما زالت حبرا على ورق .
وفي المكان الاول ، لم يتمكن من اخلاء اى من الجنود والمدنيين من رحاها
الامبراطورية العثمانية الذين يترهبون في السودة الى مصر . كل ما تم في
هذا المجال هو ترحيل قرابة الالف شخص يشكلون في معظمهم عائلات
الجنود والجنود الذين هلكوا مع مكس باشا في شينكان . ولم يتعد نشاطه
ازاء حماية الخرطوم في هذا الموضع سوى نقل فرقتين من الجنود المصريين
الى ام درمان تأهبا للرحيل . الا ان تزايد جموع الانصار حول المدينة قد
اضاره لالغاء الخطة ، او على الاقل تأجيلها . فعاد بهم مرة اخرى الى
الخرطوم فبقوا فيها حتى سقوطها . لم يتمكن فوردون من عمل شي . ايضا فيما
يتعلق بالحمايات الاخرى التي كان من المقرر ان يشملها قرار الاخلاء . فقد
تأكد له ان الوضع في منطقة الخرطوم وفي المراكز التي تنتمي اليها تلك الحمايات
لا يسمح بسحب اى منها . فبقيت في مكانها تسعى بامكانياتها لتتمسك
شمل الانصار من حولها فسقط منها من خارت قواه وبقي بعضهم يدافع
عن نفسه لوقت لاحق لسقوط العاصمة .

اما الشئ الاخر من تعليمات فوردون ، ذاك الذي يتصل
بالجانب السياسي ، فلم يكن نصيبه من النجاح اكثر من الشئ الاول .
فقد فشلت محاولاته في ابقاء السودان تحت النفوذ التركي ولو سوريا .
وتأكدت اولى بوادر هذا الفشل عند سقوط بربر بعد حوالي ثلاثة اشهر من
تاريخ تعيين مجلس الوصاية البولنيين الذين نصبتهم فوردون ليحفظوا
سلطة الشديوى . اما بالنسبة للخرطوم فرغم انه شخصيا ظل يسيدار على
الموقف طوال مدة بقائه ، الا انه حاول تطبيق خطته بربر بتعيين مجلس من
الاعيان يحتل الخرطوم وعماذ العرش اغلب مقاعده . ولم تلق محاولته لافراء
نوى النفوذ من الاعالي بالسلطة صدى في نفوس هؤلاء . من ثم فساد
عبد القادر ابراهيم قاض الكلاكلة الخرطوم نهائيا رغم تمتعه بحضرة ذاك
المجلس . ولم يتمكن هو في الكريم ابو من قبول منصب مدير الخرطوم

الذي عرضه غوردون عليه متحسلا بغطاوة السكروسط. مذاقة فقدت الحكومة السيطرة عليها تماما . ولعله اثر مراغبة الوضع عن بعد غائبة وان قبياسه كانت تتأرجح في موقفها بين الفريقين المتنازعين .

لم تثمر اذن ، محاولات غوردون في الوصول الى مثل وسد . يتمثل في سحب السلطة التركية الفعلية وابناء نفوذ مصري يسنده جهاز حكومسي يقف للمهدي بالبرناد . لم يكن الوضع في الواقع يحتمل حلا وسدا . كانت الثورة قد انقلمت جميع القناعات القبلية ، واكد المهدي سيطرته التامة على اجزاء كبيرة من البلاد . فاندفع الناس لساندته بحماس منقطع النظير . وابدوا استعدادهم للتضحية بأرواحهم وأموالهم . كانت الرؤيا امامهم واضحة لا غموض فيها ولا لبس فهم يسمعون للسيطرة على الخرطوم كجزء من مخطط يستهدف القطر بأكمله بالانخاف الى هذا فقد توفرت لهم . الحوامل التي تساعد في استكمال هذا النجاح . توفرت لهم العناصر البشرية المسلحة بأسلحة تقليدية توفرت لهم ايضا كميات من الاسلحة الحديثة والاموال والجنود المحوي . ولم تفتقر حامية الخرطوم الى كل من هذه فاسب . بل انتشرت في المدن الاولى الى روح المبادرة التي تدفع الجنود الى غموض مشارك ضد الانصار بحماس حقيقي . فقد تاه الهدف من تلك العرب بالنسبة لهم وسط ضباب كثيف . فهل يحاربون من اجل ترسيخ اقدام الحكومة المصرية التي اعربت عن زهدهما في البلاد رسميا ؟ ام من اجل الحكومة البرلمانية ؟ ام من اجل غوردون ؟ كان بالعين ثمة جنود بين افراد الحامية لا تنقصهم الشجاعة والاقدام ولكنهم كرعوا التفرط في ارواحهم من اجل قضية غائبة اعدائها وغير محددة معالمها .

كان لا بد ان تكتمل سيطرة الانصار على البلاد بسد سقوط الخرطوم فتشمل المراكز التي لم تنزل تحت قبضة جنود الحاميات الحكومية . كانت كسلا في حالة حصار برأسطة حامل المزدى مصطفى مهدي واعوانه . فكتسب مديرا احمد عفت الى السلطات المصرية طالبا النجدة . الا انه لم يكن في الامكان الاستجابة له بسد سقوط الخرطوم . فقد انتزع المهدي السلطة التي كانت تحول لهم شق التدخل في البلاد من بين ايديهم . وقد شمس

حكاه مصران تفسراى اشارة بارسال جنود الى السودان على اساس انهما محاولة للتصدى عسكريا للانصار، الامر الذى سيعرض حدود مصر الجنوبية على الاقل للخطر . ازاء هذا الوضع لم يكن امام مديركسلا سوى الرضوخ لنداء التسليم الذى وجهه له عامل المهدى فتم هذا في شعبسسان ١٢٠٢ (مايو ١٨٨٥) .

اما حامية حنار فقد ، التى حبسها خنادقها لفترة لاحقة لسقوط الخرطوم حتى ارسل المهدى منهك هبة الكرم تم له الاستيلاء على الموقع في جنادى آخر ١٢٠٢ (مايو ١٨٨٥) .

ومن تم قد ان المهدى الى ضرورة تأمين منطقة شمال الخرطوم المتاخمة لحدود مصر والتي يمتد عبرها اسيل الطرق البرية والنهرية التي تربط بين البلدين . فأوكل لعبد الرحمن النجومي مهمة تعقب الحملة الانكليزية فصار الى المتعة وسقى فيها يتسقط اخبار الحملة . وفي يونيو من نفس العام عسرت حكومة جلالستون اخلاء دنقلا . فأمر المهدى محمد النير بالتوجه الى احتلالها فوقعت في قبضتهم لقمة سائغة .

نظم المهدى ايضا حملة بقيادة حمدان ابي فنجة استهدفت بعض قبائل الجبهة وجبال تغلى التي تمردت على سلطته .

لم تخل انتصارات الانصار ذروتها اذن في السادس والحشرين من يناير - كما يتبادر المذ من في اول مرحلة بل تم لهم هذا بحد خمسة اشهر من هذا التاريخ . فبعد ذلك الحين لم تسقط الخرطوم لحسب بل امن لهم سقوطها امكانية الاستيلاء على كل المراكز التي لم تزل تحت سيطرة المتاصيات ، وقد انقلب الانكليز على اعقابهم عائد من حيث اتوا . وبدأ المهدى يتطلع الى بسط نفوذه وسيطرته على مناطق خارج حدود البلاد . وهاد مرة اخرى الى ممارسة استراتيجيته الاعلامية التي دج عليها في نشر الدعوة من طريق المنشورات العامة والرسائل الخاصة . فكتب خطابا الى الخديوى وآخر الى الخالي مصر وزود دعائه بالوثائق فاخذوا يجسسون بلاد الحرب من مشرقها الى مغربها في محاولة للخروج بالدعوة الى تلاق يشمل العالم الاسلامي بأكمله .

المستشار

مصادر راجية

أ: مخطوطات دار الوثائق المركزية ، الخرطوم

Board of Officers headed by Muhammad Nushi Pasha,
The Life of Gordon Pasha in Khartoum,
Ramadan 1303.

Egyptian Intelligence, Class I, Box 5/20

ابراهيم البورديني ،

تقرير عن حصار الخرطوم وسقوطه

٢٠ أغسطس ١٨٨٢

Egyptian Intelligence, Class I, Box 10/52

عبد الرحمن النجومي ،

مخطوطات الفجسومي ،

Wahdia Class 8/ Box 4.

Wahdia Class 8/ Box 4. محمد خالد زقل ،

مجموعة زقل

افراد من البدو والجنين ،

تقارير وافادات من حصار الخرطوم و غار

Egyptian Intelligence Class I Box 8/54.

ابو سليم ، أ ،

معلومات عن تاريخ مدينة الخرطوم

(غير مصنفة وغير مرتمة)

د رائر رسمية ،

A Handbook of Khartoum Province

(غير مصنفة وغير مرتمة)

Leverson, J.,

- Insurrection of the False Prophet

Egyptian Intelligence, Class I, Box 8/3

Col. Fraser,

Report on the Relief of Khartoum,

30.4.1884.

Egyptian Intelligence, Class I Box 8/4

مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية - بجامعة دارم

نسخة المخطوط الخاص والعام

Box 98/4

١٠ رمضان ١٣٠١

استاذ عبد القادر،

مسادة المستند في سيرة الانام المهدية.

Box 99/6

عزير، النهم عاي الصامي،

الفيونات الوندية لساحب الخلافة المصطفية

مسند المندى المنشور

Box 98/5

مغالات لم تكتب

Parr, H.W., " A Rough Outline of the History of
Gordon Notes "

Box 424/10

Tarttelin, B, " The Gordon Currency Notes "

Box 424/10

Kill, R., " Gordon's Steamers "

unclassified

Public Records Office, London

Official Papers Egypt FO 78

Cromer's Papers 633.

Granville's Papers G/D 29.

British Museum

Gordon, C.G.,

The Journals of Gordon at Khartoum

Add.MSS 54473-9

Gladstone Papers, Add. MSS. 44176, 44547

Hansard Parliamentary Debates. 1884.

State Papers Vol.42. (Egypt № 1,5,6,12).

قسم السودان ، مكتبة جامعة الخرطوم

محمد نصرتي باشا ،

بورتال السودان

(أمير مصنف وغير مرقم)

عثمان دقنه ،

دفتر وقائع عثمان دقنه ، ف١٠

مكتبات خارصة

ابراهيم البوريني ،

تقرير عن مصادر الخطوط وسقوطه

٢٠ أغسطس ١٨٨٧

(برزخ حور ب م٠ م٠ حولت)

يوسف ميتايل ،

تاريخ عدياتي

١١٢٤ / ١٩ / ١٥

(برزخ حور ب م٠ م٠ حولت)

س١ : مديونات

محمد احمد المهدى

.. منشورات الامام المهدى

الجزء الاول ، ديسمبر ١٩٦٤ الطبعة الثالثة	•	•	•
الجزء الثاني ، يوليو ١٩٦٤	•	•	•
الجزء الثالث الاحكام والاداب يوليو ١٩٦٤	•	•	•
الطبعة الاولى			

نعم شقير ،

جغرافية وتاريخ السودان دار الثقافة بيروت (١٩٦٧)

ابراهيم فوزي ،

السودان بين يدى نوردين وكشمير

الكويت ، القاهرة (١٣١٩ هـ)

بابكر بدري ،

تاريخ حياتي مطبعة مصر ، الخرطوم (١٩٦١)

محمد عبد الرزيم ،

النداء في دفع الافتراء ، المقام (١٩٤٦)

Cazzi, G.,

12 Years Prisoner of the False Prophet

(English Translation ; Khartoum , 1967)

Hako E. ., The Journals of Major-Gen. C.G. Gordon, C.B., at

Khartoum, London (1885)

Ohrawlder, J., Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp

1882 - 1892 , London (1892)

Slatin, R., Fire and Sword in the Sudan

London, 2nd Ed. (1895)

المصادر الثانوية .

- Allen, Gordon and the Sudan, Macmillan and Co., London (1931)
 Cromer, earl of, Modern Egypt, Macmillan and Co., London (1908)
 Dictionary of National Biographies, Oxford, (1900).
 Elton, L., General Gordon, London (1953)
 Gailskell, A., The Gairra, A Story of Development in the Sudan,
 London, (1958).
 Hill, R., Egypt in the Sudan, Oxford University Press, (1958)
 - Sudan Transport, Oxford University Press, (1966)
 - A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan,
 Clarendon Press, Oxford, (1951).
 Holt, P.M., The Mahdist State in the Sudan 1881-1898,
 Oxford Clarendon Press, (1958).
 Shibeika, M., British Policy in the Sudan 1882-1902
 Oxford University Press, (1952).
 Wingate, F.R., Mahdism and the Egyptian Sudan,
 Macmillan and Co., London (1891).

الشيخ احمد كاتب الشونة ،

تاريخ ملوك السودان ، تحقيق م . شبيكة ،

الخرطوم (١٩٤٧)

مليحان كشه - تاسيس مدينة الخرطوم

(١٩٦٦)

الخرطوم

٢٢٢

دوريات

The London Times

The Royal Engineers Journal

Sudan Notes and Records

Bulletin of School of Oriental and
African Studies

الخرطوم